ملامح : التسامح والعنف والإرهاب

فى الأديان السماوية

حنفى المحلاوى

عالم الكتب

ملامح..
التسامح والعنف.. والإرهاب

عالم الكتب

نشر . توزيع . طباعة

❖ الإدارة :
16 شارع جواد حسنى - القاهرة
تليفون : 3924626
فاكس : 002023939027

❖ المكتبة :
38 شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة
تليفون : 3926401 - 3959534
ص . ب 66 محمد فريد
الرمز البريدى : 11518

❖ الطبعة الأولى
1424هـ - 2003 م

❖ رقم الإيداع 11129 / 2003

❖ الترقيم الدولى I.S.B.N

977 - 232 – 357 -5

❖ الموقع عل الإنترنت : WWW.alamalkotob.com
❖ البريد الإلكترونى : info@alamalkotob.com

ملامح..

التسامح والعنف.. والإرهاب

فى الأديان السماوية

حنفى المحلاوى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

فى ظل ما يتعرض له إسلامنا الحنيف اليوم من حملات شرسة، تستهدف النيل منه ومن أتباعه، سواء بإلصاق التهم الظالمة والباطلة به، أو بالادعاءات الكاذبة. . كان علينا أن نبحث مع غيرنا عن طريق جديد نسلكه فى سبيل الدفاع عن هذا الدين وتعاليمه. . مع إظهار ما به من صور خالدة تتسم بالتسامح والإنسانية فى أعظم صورها.

ولقد وجدنا فيما طالب به الأساتذة الأجلاء من المفكرين وعلماء هذا الدين. . السبيل إلى ذلك. . عندما رأوا فيما نادوا به أن هذا الطريق الجديد وبدايته لابد أن يستند على الأدلة والبراهين والتى يجب أن تكون فى الوقت نفسه بداية للغة حوار جديدة تبتعد فى حروفها وأساليبها عن تلك اللغة المستهلكة والتى تعودنا عليها لقرون طويلة والتى كانت قوامها ولاتزال الخطابة وأساليب البديع والمحسنات البلاغية.

فالعالم اليوم لم يعد يؤمن إلا بالأدلة والبراهين سواء فى حقل العلوم التجريبية أو الاجتماعية.

وللأسف فإن لغة الحوار هذه والتى باتت مفقودة لدينا الآن. . كانت هى الأساس الذى بُنى عليه الإسلام منذ بزوغ نور فجره على قلب نبى الرحمة محمد عليه الصلاة والسلام.

ومن يقرأ بفهم ووعى تاريخ الدعوة الإسلامية وكذلك تفاصيل السيرة النبوية المجردة من الحشو والإضافات يستطيع بكل سهولة أن يتعرف على ملامح تلك

اللغة التى تغيرت بمرور الأزمنة حتى اقتربت من حافة الانهيار خاصة عندما تركت الاعتماد على الأدلة والبراهين وانزلقت فى أنفاق الخطابة التى أصبح قوامها فى كل مراحلها. . المحسنات البديعية والألفاظ التى تسحر الألباب وتخدر العقول!

وعلى نقيض ذلك. . فقد نشط كل أعداء الإسلام فى كل العصور. . ودخلوا بكل أقلامهم وسيوفهم ومعداتهم من هذا الباب الخطابى الممقوت. باحثين من خلاله وفى غيبة العقل الإسلامى المستنير عن كل الأدلة التى تبرهن على أن هذا الدين به عيوب ونواقص كثيرة وهى، ليست من الإسلام فى شئ. وقد كان «للمتأسلمين» وبعض الذين دخلوا الإسلام عنوة من غير العرب، الدور الأكبر فى الإسهام فى إظهار مثل هذه الانتقادات!.

ومع مرور القرون، نجح أهل الغرب فى إتقان لغتهم القائمة على الأدلة والبراهين. . مع استمرار غياب العقل العربى والإسلامى المستنير، وانشغاله بتوافه الأمور!. فى الوقت الذى تراجعت فيه لغة العرب والمسلمين لابتعادها عن هذه الأدلة وتلك البراهين.

وحتى عندما التفت المسلمون لواقعهم وأرادا أن يغيروه وفق المفاهيم الجديدة، ارتبكوا واختلفوا وتطاحنوا، فى ظل مقولات فارغة سيطرت ولازالت تسيطر على معظم المناطق المضيئة فى عقولهم، وبالتالى فقد استمر نجاح الغرب المتطرف في نظرته لهذا الدين. . وأصبح للغتهم الجديدة مؤيدون كثيرون هنا وهناك. .

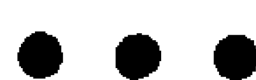
وأمام هذا الخطر الفادح والمرعب والذى بات يهدد المسلمين والعرب فى كل مكان. . كان لابد لنا ولكل المفكرين من اللحاق بهؤلاء العلماء المستنيرين من الذين أخذوا ينادون بالليل والنهار بضرورة البحث عن لغة حوار جديدة تعتمد فى الأصل على إظهار الأدلة والبراهين، لبيان ما فى الإسلام من صور عظيمة للحق والعدل والسلام، وهى قيم بالطبع يعرفها معظم أهل الغرب ولكنهم كثيراً ما ينكرونها لأغراض خاصة بهم!

ولقد بدأنا نحن اللحاق بهؤلاء المفكرين فى خطوة سابقة، من خلال كتاب

أفردنا كل صفحاته للرد على كل ما جاء فى لغة حوارهم المغرضة من افتراءات ضد الإسلام وعلى مدى كل العصور، وخاصة ادعاءاتهم بأن الإسلام يدعو للإرهاب!!

واليوم ومن خلال أوراق كتابنا الذى بين أيديكم اليوم نواصل السير فى الطريق ذاته، معتمدين على ما لدينا تاريخياً وعقائدياً من أدلة وبراهين، بعيداً عن لغة حوار فارغة.. تعشق المحسنات وصور البديع التى تدغدغ أحاسيس ومشاعر النائمين فى الأحلام!.

ولقد اخترنا أن نعالج فى كتابنا الجديد هذا.. نقطة جديدة وقديمة فى آن واحد! على أمل أن نقدم من خلالها صورة الإسلام الصحيح الذى يدعو إلى التسامح فى مقابل ما بات يدعو إليه أتباع دين مثل المسيحية الغربية بعد تحريفها وتطرفها وتحولها إلى عنف ابتعد بها عما نادى به المسيح عليه السلام، وكذلك ما اصطبغ به الدين اليهودى أو الإسرائيلى قديماً وحديثًا من صور وألوان سوداء اقتربت به كثيراً من بؤر الإرهاب المتعفنة.



ومن خلال ما نشير إليه من أدلة وبراهين، سوف يتمكن المتابع لنا فوق هذه الأوراق، من اكتشاف، ماهية الدين الذى يدعو إلى الإرهاب، وماهية الدين الذى يدعو إلى التسامح أو العنف. واعتمدنا فى ذلك على مناقشة كل ما كتبه غيرنا قديما وحديثا.. من خلال ثلاثة أبواب رئيسية:

الأول: خصصناه لبيان التسامح الذى يتميز به الإسلام دون غيره من أديان السماء، وفق ما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، أو ما جاء فى السيرة النبوية وتاريخ الدعوة الإسلامية، وتأثير تلك السماحة غير المسبوقة على مسيرة هذا الدين، بل وعلى الإنسانية كلها التى إنتفعت بالإسلام وإن لم تصرح بذلك علانية.

وهناك العشرات بل المئات والآلاف من الأدلة القاطعة والتى تؤكد صدق ما توصلنا إليه وتوصل إليه غيرنا من علماء المسلمين.

والباب الأول الذى نتحدث فيه عن التسامح فى الإسلام يحتوى هو الآخر على ثلاثة فصول، تحوى كل التفاصيل التى نريد أن تصل إلى كل ذى عقل راجح وأمين.

وسوف يشعر المتابع لنا مدى صدق هذه الأدلة وأمانتها ودقتها.

وفى المقابل نبين فى **الباب الثانى**.. كيف تحولت تعاليم الدين المسيحى على يد المتطرفين من أتباعه، خاصة فى أوروبا ومنذ بزوغ هذا الدين إلى حالات عنف شديدة، جاءت على عكس ما نادت به المسيحية الحقيقية ومن قبل أن تمتد إليها يد العبث والتزوير التى حركتها اليهودية المزيفة عبر التاريخ، مما جعلها تبتعد فعلاً عن أصولها التى أُنزلت من رب العالمين والتى قوامها الإيمان بالله والتسامح والأخلاق الحسنة الطيبة والدعوة إلى محبة الناس ومحبة الله!.

وفى هذا الباب نقدم ثلاثة فصول، نناقش من خلالها مسار ذلك العنف وتاريخه ونتائجه وأسبابه وضحاياه خاصة من المسيحيين قديما وحديثا.

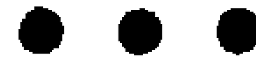
وأخيراً.. نتوقف عند تفاصيل **الباب الثالث** والذى نناقش فيه حالات الإرهاب اليهودى عبر التاريخ، وكيف تحول الدين اليهودى الذى أنزله رب العالمين على قلب نبيه موسى عليه السلام، إلى دين عنف وإرهاب، بعدما تم تزويره وتحريفه!، وهو يحتوى كذلك على ثلاثة فصول، نقدم من خلالها الأدلة والبراهين والتى لا تحتاج إلى المزيد من الإثباتات كى نوضح بها أن هذا الدين من بعد تزويره وكتبه المقدسة قد تحول إلى دين الإرهاب والبطش والخوف.

وللأسف ورغم وجود تلك الأدلة بين أيدى أعداء الإسلام من المسيحيين المتطرفين سواء فى الغرب أو أمريكا.. إلا أنهم يغضون أبصارهم عنها، ويحولونها إلى اتهامات باطلة فى اتجاه الإسلام!!..

وهذا أعجب ما فى هذه الدنيا الآن.. إذ تم اعتقال الحقيقة فى أنفاق الظلام وتم سجنها.. وبالتالى فقد أصبحت الأكاذيب هى الحقائق بعينها..

ومن أجل كل ذلك نقدم كل ما لدينا من حقائق تاريخية لنثبت من خلالها وبدون أدنى تحيز أو تعصب كل مظاهر وبواعث الإرهاب والتسامح والعنف فى

كل من الإسلام واليهودية والمسيحية، وتلك قضية على جانب كبير من الأهمية، لذلك ندعو الله العلىّ القدير أن يساعد غيرنا على فهم ما نقوله. . ، واستيعاب ما نقدمه من أدلة وبراهين.



ولقد رأينا من قبل الانطلاق فى رحاب تفاصيل الحديث عما حوته الأبواب الثلاثة السابق الإشارة إليها. . ضرورة أن نشير إلى حقيقة كان من الواجب الإشارة إليها وقد اعتبرنا ذلك على سبيل التمهيد. . .

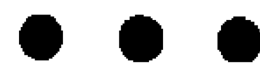
هذه الحقيقة تدور فى فلك تعريف المقصود بكل من اليهودية والمسيحية والإسلام سواء من ناحية العقيدة أو التسمية، لما رأيناه ضروريا فعلاً على الأقل لمن يقف على أوراق هذا الكتاب من غير العرب، كسبيل لتصحيح المفاهيم وإثبات الرؤى الجديدة القائمة على حسن الحوار والمجادلة بالأدلة والبراهين، وذلك هو العمود الفقرى الذى يستند إليه موضوع هذا الكتاب ـ لا من أجل تبرئة دين الإسلام مما يدّعونه عليه سواء ارتباطه بالإرهاب أو بالتخلف!! فالإسلام يحمى نفسه بنفسه من خلال نصوصه وشرائعه التى جاءت صالحة من رب العالمين، ليس للمسلم فقط، بل وللبشرية أجمعين ـ وإنما قصدنا من وراء ذلك بيان ما انطوت عليه الديانتان اليهودية والمسيحية من آفاق تسامح سرعان ما تحولت إلى إرهاب وعنف على أيدى أتباعهما!

وهذا ما يثير العجب والخشية فى آن واحد!، إذ جاء الدين الذى يهاجمونه، بخطوط الدفاع المتينة عن اليهودية والمسيحية، وفى المقابل. . كان موقفهم شديد الغرابة والذى ينطوى على أفكار، ليست فى حاجة إلى تصحيح فقط. . بل وفى حاجة إلى أن نمحوها من عقولهم. . وربما تكون كلماتنا التالية أحد تلك المصابيح المضيئة على هذا الطريق.

فروق مهمة.. لابد أن تعرفها..

كان علينا، ونحن نتحدث عن موضوع على جانب كبير من الأهمية، مثل موضوع هذه الأوراق والذى نناقش فيه موقف أتباع الديانات السماوية الثلاث، اليهودية والمسيحية والإسلام من التسامح والإرهاب والعنف، ضرورة أن نقف على مجموعة كبيرة من الفروق، التى اكتشفناها من خلال قراءات متأنية فيما يخص أتباع هذه الأديان الثلاثة، وذلك من قبل الانطلاق فى رحاب بقية التفاصيل التى سوف نلقى عليها الأضواء المبهرة من خلال أبواب هذا الكتاب وفصوله المتعددة.

ولسوف تتضح تلك الفروق وبشكل كبير من خلال مناقشتنا لأربعة محاور ترتبط ارتباطاً مباشراً بكل من اليهودى والمسيحى والمسلم كأناس أُرسلت إليهم تلك الرسالات السماوية وقادها ثلاثة أنبياء كرام هم: موسى وعيسى ومحمد عليهم أفضل الصلاة والسلام.



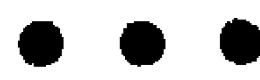
بالنسبة للمحور الأول.. فنقصد به تلك التعريفات اللغوية لهذه الألفاظ الثلاثة.. إذ نتساءل عادة سواء فيما نكتبه أو نتحدث فيه خاصة ما يتعلق بالدراسات الأكاديمية عمن يكون اليهودى وما المقصود بالمسيحى.. ومن هو المسلم؟!

وفى هذا السياق رأينا أن هناك عشرات الدراسات التى تناولت تلك التعريفات مع وجود اختلافات عديدة فيما بينها، وعلى وجه الخصوص ما جاء بشأنها فى المراجع الأجنبية.

وعندما نبدأ رحلة نقاشنا المرتبط بحديث هذا المحور والذى نقترب من خلاله من التعريفات اللغوية المعنية بهذه الألفاظ الثلاثة، ولأجل بيان ما بها من فروق كبيرة. يتضح لنا أن أول تلك الفروق. . يرتبط برسم الكلمة أو اللفظ المشار إليه . .

فإذا ما نظرنا لكلمات اليهودى والمسيحى والمسلم. نجد أن الأولى والثانية بهما ياء النسب، وأما الثالثة فلا يوجد بها تلك الياء!. مما يعنى أن لفظ كل من اليهودى والمسيحى فى العربية، لا يعتبر من الألفاظ الأصيلة، وإنما هى فى الواقع ألفاظ منسوبة لمعرفة أو علم، فاليهودى منسوب إلى رسالة الدين اليهودى، وكذلك المسيحى. . أما كلمة المسلم كلفظ فهو أصيل فى معناه. . وذلك لكونه مرتبطا بالدين الإسلامى مباشرة وبدون وسيط!.

وأما ثانى هذه الفروق فيتجلى بوضوح فى الوقوف على رسم هذه الألفاظ الثلاثة فى اللغات الأوروبية، خاصة الإنجليزية والفرنسية والألمانية، وقد اكتشفنا فى هذا السياق أن لفظى اليهودى والمسيحى قد تم تناولهما بكلمات مختلفة، فنجد أن اسم اليهودى فى اللغة الإنجليزية هو (Jew). والمسيحى (Chrstian) أما المسلم. . فقد احتفظ باسمه فى هذه اللغات أيضا. إذ لم يجد أصحاب تلك اللغات الأجنبية من كلمة مناسبة يعبرون بها عن المسلم، سواء كلمة (Moslem) وهذا يعنى الأصالة أيضا.



وإذا ما تركنا حديث تلك الفروق فيما يخص رسم هذه الكلمات الثلاث، كما سبق أن أشرنا. كى نتجه إلى اكتشاف فروق أكبر وأكثر أهمية، خاصة عندما تكون وجهتنا ناحية التعريفات اللغوية والمصطلحية سوف نجد أن لفظ اليهودى يدل فى الأساس على أن من يحمله إنما هو من أتباع الطائفة اليهودية التى نُسبت

إلى سيدنا موسى عليه السلام والذى تلقى من ربه كلمات التوحيد كى يهدى بها قومه الكافرين.

ولفظ اليهودى قد سبقه أيضا لفظان آخران، عندما نسمعهما لابد أن نعرف أن صاحبهما يهودى الديانة، ونقصد بهما لفظى عبرانى وإسرائيلى.. وهما لفظان يدلان على انتساب اليهودى إلى مكان واسم علم! فقد عُرف اليهود فى فترة زمنية سبقت كل فترات حياتهم التاريخية، خاصة عندما كانوا قبائل رعوية ترحل وراء رزقها هنا وهناك، باسم العبرانيين نظراً لعبورهم نهر الفرات خلف سيدهم وقائدهم النبى إبراهيم الخليل عليه السلام، وصاحب الفضل الأول والأكبر فى استقرار تلك الجماعات فى أرض كنعان وهو كذلك الرجل العظيم الذى قبل أن ينضم هؤلاء إلى شعبه، لحمايتهم ورعايتهم.

ثم عرفوا كذلك باسم بنو إسرائيل، نسبة إلى نبيهم الكريم يعقوب عليه السلام الذى تحول اسمه بناء على توجيهات إلاهية إلى إسرائيل.

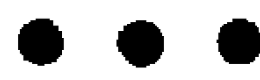
وبخلاف هذه الاجتهادات التى انتشرت فى كتب كثيرة عربية وغير عربية هناك أيضا اجتهادات أخرى فى مجال التعريف اللغوى والمعرفى لليهودى. فعلى سبيل المثال يقول صاحب لسان العرب: "الهود: التوبة، هاد يهود هودا: تاب ورجع إلى الحق فهو هائد، وفى التنزيل العزيز: **"واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة إنا هدنا إليك"** أى: تبنا ورجعنا إليك، وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير.

ويهود اسم للقبيلة، وقالوا: "اليهود".. فأدخلوا الألف واللام فيها على إرادة النسب، يريدون اليهوديين، وقوله تعالى: **«وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر»**.. معناه: دخلوا اليهودية. وهود الرجل: حوله إلى اليهودية وهاد ويهود إذا صار يهودياً، قاله سيبويه: وفى الحديث: «بكل مولود يولد على

الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه» معناه: أنهما يعلمانه دين اليهودية أو النصرانية ويدخلانه فيه"[1].

وكذلك يقول الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى بأنه قيل: إنهم سموا بذلك، لأنهم يهودون، أى: يتحركون عند قراءة التوراة، وقيل: إنهم سموا يهودا نسبة إلى "يهوذا" الابن الرابع ليعقوب عليه السلام.

وقد رجح بعض العلماء هذا القول واقتصر عليه.. ومن هؤلاء البيرونى الذى قال مؤيداً هذا الرأى: "إنما سموا باليهود نسبة إلى يهوذا أحد الاسباط، فإن المُلك استقر فى ذريته، وأُبدلت الذال المعجمة دالاً مهملة لأن العرب كانوا إذا نقلوا أسماء أعجمية إلى لغتهم غيروا بعض حروفها"[2].



وأما لفظ المسيحى، بالنسبة للبحث عن معناه والمعارف المتصلة به، فعند الحديث المفصل عنه، اكتشفنا أن كل المعاجم العربية وغير العربية وكذلك دوائر المعارف، قد تناولته منسوباً للسيد المسيح عليه السلام!، من دون تحديد مكانى معين لوجود هؤلاء الأتباع، وإن كانوا قد بدأوا من دون تأكيد فى أرض الجليل وما كان يحيط بها من بلدان وقرى صغيرة، مثل بيت لحم وما كان يسمى منها أيضا آنذاك يهودا والسامرة.

ولقد ظل أتباع المسيح عليه السلام محاصرين فى هذه المناطق الفلسطينية باعتبارهم فى الأصل كانوا من أتباع الطوائف اليهودية المختلفة والتى كانت منتشرة هناك فى ذلك الوقت، وخرجوا عليها إيماناً برسالة المسيح عليه السلام التى جاءت لتعيد الإيمان المفقود إلى قلوب بنى إسرائيل.

وقد آمنوا بالله وبرسالة المسيح عليه السلام، وضاق بهم المقام نظراً لما كانوا

---

(١) لسان العرب لابن منظور - ج ١٥ طبعة بيروت.

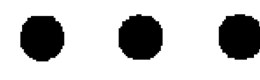
(٢) بنو إسرائيل فى القرآن والسنة. د. محمد سيد طنطاوى - دار الشروق.

يتعرضون له من مضايقات عديدة وصلت إلى حد الموت. . وقد فروا بدينهم هنا وهناك، وظلوا كذلك حتى اعترفت الامبراطورية الرومانية بالدين المسيحى كدين رسمى للدولة. .

وللأسف فقد جاء هذا الاعتراف جناية على المسيحية نفسها. . إذ أصابها التغيير والتعديل وفق إرادة بنى إسرائيل الذين بدأوا فى تحريف الديانة المسيحية مثلما حرفوا من قبل الدين اليهودى سواء من حيث الشكل أو المضمون، حتى صارت المسيحية المحرفة تدور فى فلك اليهودية وأتباعها.

وقد تحالفوا منذ القدم لإتمام تلك الجريمة مع رجال الدين الوثنيين فى الإمبراطورية الرومانية لإرضاء حكامها، ولتقريب تعاليم ديانة المسيح عليه السلام القائمة على توحيد الله وعبادته. . من عبادة الحكام ونسبتهم إلى الله عز وجل!!

وللأسف الشديد فمايزال ذلك التحالف قائما إلى يومنا هذا ولكن بأشكال وطرق مختلفة وفقاً لمقتضيات كل عصر!



والمسيحى بالمعنى اللغوى يعنى الرجل أو الإنسان الممسوح بالدهن! وفى دوائر المعارف: المسيح تعنى ما يمسح بقصد التقديس، والمسيح بالزيت لتكريس الأحبار والأنبياء، كما يمسح الملوك رمزاً لتتويجهم ومبايعتهم.

ومما يثير الدهشة أن كل، بل ومعظم دوائر المعارف المسيحية وكذلك المعاجم اللغوية، لم تهتم كثيراً باسم "عيسى بن مريم" وهو الاسم العظيم لهذا النبى الكريم، والذى تكرر ذكره كثيراً فى القرآن الكريم. . وقد استعاضوا عنه باسم "يسوع"!

ويبدو أن طبيعة هذا الاسم البشرية قد أبعدتهم عن استخدامه. . إذ نظروا إلى هذا النبى الكريم على أنه إله!!!. أو ابن إله!. وإلا فكيف يكون إلهاهم اسمه

"عيسى"؟! إن ذلك بالطبع لا يليق.. ومن هنا نراهم قد اختاروا له اسم "المسيح" أو "يسوع المسيح"!!!.

من كل ذلك نخرج بالمعنى المطلوب فى هذا السياق، وهو أن المسيحى لم يكن أبداً يمثل شعباً مستقلاً بذاته، مثلما كان اليهودى من قبل.. بل هو فى الأصل ينتمى إلى الطائفة اليهودية، ثم خرج عليها بإيمانه بالله الواحد الأحد!.

وهذا يعنى بالضرورة أنه لم يكن أبداً عنصرياً مثل اليهودى، الذى ظل على مدى كل القرون والسنوات متقوقعاً داخل يهوديته، حتى أثر هذا التقوقع على كل سلوكياته، سواء مع نفسه أو مع الآخرين!

وكذلك نستطيع أن نقول فى السياق نفسه أن المسيحى هو من أتباع إحدى الديانات السماوية التى اتسمت بالعالمية.. سواء فى العصور القديمة أو الحديثة بصرف النظر عما بها الآن من أخطاء!. وهذا مالم تحظ به أيضا الديانة اليهودية.



وحين نتوقف أمام لفظ المسلم.. أو مسلم فى مقابل اللفظين السابقين، "اليهودى والمسيحى" لأجل اكتمال الفائدة فى اتجاه التعريف اللغوى والمعارفى سوف نجد أن هذه الكلمة تدور فى فلك عدة معان تصب فى كلمات مثل السلام والتسليم والاستسلام لمشيئة الله والمسالمة والتسالم أى التصالح، وهى كلها معان عظيمة ولها دلالات مهمة فى حياة الإنسان، وكذلك ارتبطت بالإسلام كديانة أساسها الدعوة للسلام والسلامة والتسليم والسلم.

وفى المعجم اللغوى "مختار الصحاح" المزيد من هذه الدلالات اللفظية لكلمة المسلم ومشتقاتها.. كقول صاحبه: والسلم يعنى السلام.. وقرأ عمرو "ادخلوا فى السلم كافة"، وذهب بمعناها إلى الإسلام، والسلم: الصلح بفتح السين وكسرها يذكر ويؤنث، والمسلم: المسالم، تقول أنا مسلم لمن سالمنى، والسلام: السلامة، والسلام: الاستسلام، والسلام: الاسم من التسليم، والسلام: اسم

من أسماء الله تعالى.. والسلام: البراءة من العيوب فى قول أمية وقرئ: "ورجلاً سلماً"، والسليم: كأنهم تفاءلوا بالسلامة وقيل لأنه أسلم لما به[1].

ليس هذا فقط، بل ليس هناك خلاف على تعريف الإسلام قديما وحديثا بأنه: الخضوع والانقياد لله سبحانه وتعالى وفق ما جاء به وأخبر عنه الرسول ﷺ من الشرائع والأحكام[2].

هذا الدين الذى ينتمى إليه كل مسلم، وكما نعرف جميعا، قد بزغ نوره فوق أرض الحجاز، بنزول الوحى على قلب رسولنا الكريم محمد عليه الصلاة والسلام، ثم ما لبث أن انتشر فى كل ربوع الأرض، عندما دخل الناس فى هذا الدين أفواجاً، وهو لذلك دين يتصف بالعالمية، حيث لا يفرض على أتباعه أبداً التقوقع داخل رقعة جغرافية بعينها.

وكذلك فهو لا يتصف أبداً بالعنصرية مثله فى ذلك مثل الديانة اليهودية، حيث أراد الله سبحانه وتعالى أن يصحح ما فى قلوب أتباع الدين اليهودى الذين اخترعوا العنصرية، عندما جعلوا دينهم مقصورا عليهم فقط دون العالمين!

ونقطة أخرى لابد من إلقاء الأضواء المبهرة عليها، وهى أن دين الإسلام لم ينتشر عالمياً تحت وطأة الاضطهاد، مثلما كان الشأن فى انتشار الديانة المسيحية، وكما سبق أن أوضحنا.. وهو فرق لابد أن يحسب لدين الإسلام الذى انتشر بالقبول من دون الإكراه، وهناك آلاف الكتب التى تناولت بالتفصيل ملامح انتشار هذا الدين الحنيف داخل البلاد التى توقف فيها الدعاة المسلمون الذين انطلقوا بالدين الجديد من أرض الحجاز، لا يبغون إلا وجه الله تعالى.. بتبليغ رسالة التوحيد لكل البشر، باعتبار أن دين الإسلام هو دين للناس كافة!.



وفيما يخص المحور الثانى والذى نتبين منه المزيد من الفروق بين الألفاظ

(١) مختار الصحاح للشيخ الإمام أحمد بن أبى بكر الرازى.
(٢) التعريفات للجرجانى.

الثلاثة السابق الإشارة إليها. . فنقصد به الحديث عن الدلالات التاريخية لهذه الألفاظ، وهى كثيرة ومتنوعة. . وقد اخترنا منها دلالتين فقط على جانب كبير من الأهمية، ونستطيع من خلال الاطلاع عليهما الوقوف على المزيد من هذه الفروق الواجب معرفتها عن أصحاب تلك الديانات الثلاثة وطبيعة هذه الديانات.

فمن المعروف أن الدين اليهودى المنسوب إلى موسى عليه السلام، بزغ نوره فى أحد عصور فراعنة مصر. وقد اختلف العلماء فى تحديد هذا العصر. . وإن أخذ بعضهم بالشواهد. . فقالوا ربما يكون عصر رمسيس الأول أو الثانى!.

وقصة موسى عليه السلام وأتباعه من بنى إسرائيل مع فرعون مصر معروفة لنا جميعا، وقد انتهت بانتصار إرادة الله على إرادة الشيطان، وفاز موسى عليه السلام وأتباعه من بنى إسرائيل بهذا الدين الجديد الذى قدم لهم الخير كله، وإن عارضوا ذلك الخير كثيراً. . بل وعدوه فى صور متعددة ووسائل شتى.

كذلك ومن المعروف أن هذا الدين الجديد قد تلقاه النبى موسى عليه السلام فوق أرض ليست يهودية. وهى أرض سيناء المباركة التى انطلق منها هؤلاء الأتباع حيث فلسطين أو الأرض الموعودة أو المقدسة حسب زعمهم.

ومن بعد هذا الانطلاق ظلوا بعيدين عن أرض مصر، مستغلين الأراضى الجديدة فى فرض نفوذهم وبسط سلطانهم، وقد ظلوا على عنصريتهم هذه حتى بداخل الأرض الجديدة، وظهر ذلك جلياً فى تعاملاتهم مع السكان الأصليين، هذه المعاملات التى اتصفت كما سوف نبين ذلك بالارهاب والتخويف والسرقة والاغتصاب!!.

وحين نرجع إلى تاريخ المسيحية. نجد أنها ظهرت كنور من الله تعالى لهداية عباده من بنى إسرائيل. . كما سوف نلاحظ أيضا أن هذا الدين الجديد الذى جاء مكملاً للدين اليهودى ومصححاً لشريعته التى تم تزويرها على أيدى أحبار اليهود، قد ظهر فى أيام حكم الإمبراطورية الرومانية التى كانت تسيطر على أرض فلسطين. ، وفى وقت اضطربت فيه الديانة اليهودية وضاعت معالمها وسط ما اتصف به أحبارها من جشع وحقد وطمع.

ولقد سبق ظهور المسيح عليه السلام. . حالات تمهيد إيمانية كانت تبشر بموعد ظهور الحق، ونزول الدين الجديد إلى أرض الواقع ودعوة عيسى عليه السلام لدين الله القائمة على التوحيد.

مثال ذلك ما قام به النبى زكريا عليه السلام وابنه يحيى، وكذلك ما حكاه القرآن الكريم عن مريم وأمها التى عاهدت رب العالمين على أن تنذر وليدها أو وليدتها لله تعالى.

ولم تمكث الدعوة إلى المسيحية فوق أرض الجليل بفلسطين إلا سنوات قليلة حيث هرب أصحاب هذا الدين بجلودهم فراراً بدينهم الحق. . وخوفاً من اليهود وأعوانهم من رجال الامبراطورية الرومانية.

وهناك من يرى أن التاريخ المسيحى خلال السنوات الخمسين الأولى للتقويم الميلادى يكتنفه الكثير من الغموض خاصة لدى الباحثين من علماء الكتاب المقدس(١).



أما الدلالة التاريخية الخاصة بظهور دين الإسلام. فالمقصود بها هنا. . اختلاف الأزمنة التى تعاقبت بعد ظهور كل من اليهودية والمسيحية وما شابههما من تزوير وتحريف حتى بلغت المسافة الزمنية بين المسيحية الإسلام قرابة ٦١٠ أعوام.

وربما كانت نفس المسافة الزمنية بين كل من الدين اليهودى والمسيحى، وربما أكثر من ذلك، وهذا يعنى بالتأكيد أن الناس قد عاشوا فى ظلام الجهل والكفر بالله والابتعاد عن أصل رسالاته وتعاليمه قرابة ستة قرون. . وقد أصابتهم كل شرور الدنيا واستعبدهم الشيطان، وسيطر على مقدرات حياتهم مصوراً لهم هذه الحياة فى صورة غير الصورة الجميلة التى خلقها للبشر رب العالمين كى يستمتعوا

(١) الأصول المصرية فى اليهودية والمسيحية - أحمد عثمان- دار الشروق.

بها فى ظل الإيمان بالله والعمل بالشريعة التى تساهم فى تحقيق المزيد من الاستقرار لهم ولبلادهم.

ولو تدبرنا مدلول تواريخ ظهور هذه الديانات الثلاثة. سوف نعرف أن الدين الإسلامى رغم ظهوره متأخراً عن الديانتين اليهودية والمسيحية. فقد جاء مصححاً لما فى هاتين الديانتين من شوائب وتحريفات أضيفت إليهما.

وكذلك نلاحظ أن الله قد أراد بمشيئته أن يكون هذا الدين الجديد هو الوعاء الذى يستوعب كل تعاليم هاتين الديانتين أيضا.

وقد جاء الدين الإسلامى بهذه الصفة وبغيرها من الصفات الحميدة، حتى أنه قد جاء للناس كافة.. ولجميع من فى الأرض من البشر. وهو مايزال بهذه الصفات إلى يومنا هذا وحتى قيام الساعة!.

وكما نعرف جميعا.. فقد ظهر نور الإسلام وانطلقت رسالته التوحيدية من أرض مكة بالحجاز، فى وقت كانت فيه الجاهلية سائدة فى داخل هذه البلاد وفى خارجها، ومع ذلك فقد انتشر بسرعة لم نعهدها فى انتشار الديانتين السابقتين.. خاصة خارج أرض الحجاز.. حيث أقبل على اعتناقه والإيمان به قوم كثيرون من أتباع المسيحية واليهودية، بل ومن كل أتباع الكفر.. آنذاك.



وإذا كانت مناقشتنا لما جاء بالمحورين السابقين من دلالات لإظهار ما نقصده من الفروق الواجب الوقوف عليها بين أتباع الأديان السماوية الثلاثة.. لم تساعدنا حتى الآن فى التوسع على معرفة الفروق المقصودة.. فإن مناقشتنا للمحور الثالث ودلالاته الاعتقادية سوف تساهم كثيراً فى توسيع نطاق تلك الفروق وكما نأمل.. وقد اخترنا له عنوان "محور المعتقدات".. والذى يعتبر فى تصورنا من أهم المحاور الأربعة التى توصلنا إليها لحديث هذه الفروق. إذ من خلاله سوف نعرف بعض تفاصيل العقيدة والمعاملات والعبادات لدى أصحاب

تلك الديانات الثلاث. . وما طرأ عليها من تغييرات خاصة فى اليهودية والمسيحية مما أضاع معالمها تماماً، ومما استوجب معه أيضا ظهور دين الإسلام.



وبشكل عام نستطيع أن نؤكد ونحن مطمئنون لما توصلنا إليه أن العمود الفقرى لهذه الديانات الثلاث إنما هو واحد. . وأساسه مبنى على الإيمان بالله الواحد الأحد، والإيمان بيوم الحساب، ثم العمل بالكتاب الذى أُنزل على رسول هذا الدين أو ذاك!.

كما نستطيع أن نؤكد فى السياق نفسه أن العبادات وكذلك المعاملات كانت لابد أن تدور فى فلك عبادة الله الواحد الأحد، لأن من يعبد الله بإخلاص لابد أن يراه فى كل لحظة، وهو يعرف أنه يراه. . ومادام يراه، فلابد أن يعمل بما جاء فى الكتاب المقدس الذى أنزل على النبى صاحب الرسالة، تحقيقاً لصالح الإنسان نفسه.

وللأسف الشديد وكما أنبأنا بذلك القرآن الكديم، فقد تم تحريف كل ما جاء به الدين اليهودى وكذلك المسيحى. . تحقيقاً لأغراض بشرية خاصة وهروباً من التكليفات التى أُنزلت إلى الأرض بأوامر رب العالمين.

فبعد سنوات قليلة من إيمان طائفة من أهل الديانتين بما أُنزل على رسولهما من الخير والبركات. . ، وبعد صلاح أحوالهم وفقا لتمسكهم بدين الله المنزل من السماء. أصابهما الانحراف فى كل شىء.

وقد بدأ بنو إسرائيل هذا المشوار الملعون. . حتى خرجوا كلية عن المسار الصحيح للدين اليهودى.

ولما جاء المسيح مصححاً ومرشداً. . آمن به البعض من اليهود وكفر البعض الآخر ولكن بعد سنوات قليلة انحرف أيضا هذا البعض المؤمن أو من جاء خلفهم، وتاهوا وسط ظلام الكفر والانحراف والتحريف والتزوير. . ولايزالون، على هذه الحالة رغم ما جاء فى الإسلام من تصحيح واضح وصريح.

أما العقيدة فى الإسلام، فهى والحمد لله ثابتة فى كل مجالاتها ونواحيها. ومايزال القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هما مصدر التشريع فى هذا الدين الحنيف. وأعظم ما فيه أن أتباع هذا الدين.. يؤمنون بوحدانية الله وبالقضاء والقدر وكذلك بكل الأنبياء والرسل السابقين وكل الكتب السماوية الأخرى، وذلك مصداقاً لقوله تعالى: «**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون. كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله. لا نفرق بين أحد من رسله**» صدق الله العظيم.

وهذا الثبات، على الإيمان والتوحيد يعتبر من أعظم الفروق العقائدية الواجب الوقوف عليها، وذلك عند الحديث عن المقارنات السابق الإشارة إليها، وهى نفسها من أعظم الميزات التى تجعل من هذا الدين ثابتًا دائماً وقويا باستمرار.

ولو فتحنا الباب لقول المزيد من الفروق والمقارنات الخاصة بمحور العقائد فى الديانات السماوية الثلاث، لما وسعتنا كل هذه الأوراق.

وهناك المئات من المؤرخين وعلماء الدين الذين كتبوا فى هذا الموضوع كثيراً، ولكن ما نقوله نحن هنا.. يأتى على سبيل التذكرة، والتمهيد لما هو آت.

ولسوف يفاجأ المتابعون لنا من خلال أبواب وفصول هذا الكتاب.. بكم الانحرافات العقائدية التى شابت الديانة اليهودية ولحقت بها المسيحية. وتأثير تلك الانحرافات على سلوكيات أتباعهما، وهو أيضا ما سوف نتناوله باختصار من خلال مناقشتنا لآخر محاور هذه الفروق، وهو المحور الذى يتعلق بسلوكيات أصحاب تلك الديانات، وذلك من قبل الانطلاق إلى رحاب أوسع تشمل كل عناصر موضوع هذه الأوراق.



يقول بعض علماء النفس أن سلوكيات الإنسان وتصرفاته تجاه الآخرين تحكمها عدة معايير منها أساليب التربية والمعتقدات والبيئة التى يعيش بها وكذلك الأفراد الذين يتعامل معهم، وذهب فريق آخر ليضيف إلى ذلك وسائل التعليم وما ارتبط بتلك الوسائل من تعليمات تحث على الخير أو الشر..

ولو رجعنا إلى قراءة بعض الفروق التى ناقشناها آنفا فيما يخص ما ارتبط باليهودى فى حياته سواء فى الماضى أو فى الحاضر، سوف نجد أن سلوكياته قد تحكمت فيها ما سبق أن ذكرناه، بل ونجد كذلك أن اتصافه بالعنصرية فى معتقداته الدينية على غير ما يدعو إليه دين الله الذى أُنزل على موسى عليه السلام كانت من أكثر ما أثر فى هذه السلوكيات حتى حولته إلى إرهابى ينظر إلى كل من هو غير يهودى بأنه عدوه!!

أضف إلى ذلك تلك البيئة الرعوية التى نشأ فيها أجداده، وما اتصفت به من سلوكيات تقوم فى الأساس على السطو والنهب والاستيلاء على حقوق الآخرين، مما جعل عالما مثل الدكتور جمال حمدان يقول فى كتابه "اليهود انثروبولوجيا" إن تاريخ هؤلاء الناس كله يتسم بالدموية ويتصف بأنه لا أخلاقى ويدور معظمه حول الحرب والغزو، إلا أن الهزيمة دائما كانت من نصيبهم!

ومما يؤكد ما ذهب إليه العالم الراحل الدكتور حمدان أن معالم تاريخهم فيه تفاصيل كثيرة ومذهلة حتى بعد فترة دخولهم فى دين موسى عليه السلام، وقد قتلوا أنبياءهم وكفروا من قبل برسالة هذا النبى الكريم، بل وعادوه وأخاه هارون عليه السلام.

ولدينا بخلاف ذلك آلاف، بل وملايين الأمثلة والنماذج التى تظهر مدى إجرام وإرهاب هذا الشعب حتى من خلال ما سطرته أيديهم فى كتبهم المقدسة أو المزعومة بالتقديس! وكذلك هناك صفات أخرى عديدة، نتعرف من خلال الوقوف عليها على مدى انحطاط سلوك اليهودى، سواء مع نفسه أو مع جاره أو مع غيره من أصحاب الملل والنحل الأخرى.

ولسنا فى حاجة إلى التأكيد على أن هذه السلوكيات لم تنشأ من فراغ، بل لها تأصيل فى تاريخهم وفى تكوينهم أيضا. وقد تجلى ذلك فى مواقف كثيرة سواء فى العصر القديم أو الحديث!.



والعكس كان هو الصحيح تماماً فيما يتعلق بالمسيحى، الذى آمن بتعاليم عيسى

عليه السلام التى جاءت بالحق ونادت بالتسامح والعفو عند المقدرة. . وأتباع هذا الدين الحنيف، كانوا قد قاسوا الأمرين كما يقولون من سلوكيات بنى إسرائيل ومن ظلمهم آنذاك. . حيث آمن برسالة عيسى عليه السلام قومٌ لا بأس بهم من بنى إسرائيل. وهم فى تصورنا كانوا من سلالة بعض طوائف اليهود التى كانت قد حافظت على معتقداتها والتى نادى بها موسى عليه السلام، بلا تحريف أو تزييف.

ولما جاءهم الحق من عند الله. . تأكدوا مما فى صدورهم من حالات إيمانية، وبالتالى فقد سارعوا إلى الإيمان بما جاء به النبى عيسى عليه السلام.

ولقد ظل أتباع المسيح عيسى بن مريم على ما فى قلوبهم من حب وإيمان لله وسماحة نفس مدة وللأسف غير طويلة. حتى أُحكمت حولهم حصارات اليهود لأجل أن يخرجوهم من دينهم الحنيف.

وقد استجاب البعض وفر الآخرون بدينهم، ومنذ أن تحكم بنو إسرائيل وبالتحالف مع شيطان الرومان آنذاك فى البقية الباقية من أتباع عيسى عليه السلام تغير كل شيء في قلوبهم وفى عقولهم حتى باتوا على مقربة من سلوكيات هؤلاء القوم الكافرين.

وما ظهور بعض الذين ادعوا ألوهية عيسى عليه السلام إلا خير مثال على ذلك! . حيث حولوا مسار دعوته الإيمانية والقائمة على التوحيد إلى الشرك والكفر، مما كان له أكبر الأثر فى ذوبان التسامح داخل صدورهم وتحوله إلى عنف أخذ يتربص بكل ما هو عدو لهم. .

وللأسف فقد كان هذا العداء، وفى تصورهم يقوم على عدم الإيمان والتصديق بما ذهبوا إليه من ألوهية عيسى!!!.

هذا العداء السافر جعل بعض الفتية من قوم عيسى عليه السلام يهربون بدينهم القائم على الإيمان بالله كما سمعوه من آبائهم الذين آمنوا بعيسى عليه السلام، وهم أهل الكهف، أصحاب القصة المشهورة فى القرآن الكريم.

وللأسف أيضا فقد أخذ العنف المسيحى يكبر سنوات تلو السنوات حتى قارب فى مساره الإرهاب اليهودى. .

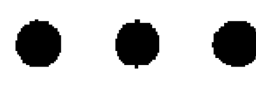
بل ونراه قد تحالف معه ضد كل المؤمنين بالله تعالى. . وقد ازداد ضراوة وعنفاً، بعد ظهور الإسلام الحنيف الذى فضح كل هذه الممارسات اللاإيمانية سواء فى قلوبهم أو فى سلوكياتهم.

بل وحين نقلب صفحات التاريخ سوف نكتشف أيضا أن الإرهاب اليهودى والعنف المسيحى قد استخدما بضراوة ضد أصحاب هاتين الديانتين أيضا، لا بسبب خلافات عقائدية، بل للفوز بمغانم دنيوية مشتركة!.

وفى كثير من الأحيان وكما تكشف عن ذلك أيضا كتب التاريخ، فإن التحالف الأسود بين الإرهاب اليهودى والعنف المسيحى قد استخدم أسوأ استخدام ضد المسيحيين أنفسهم وفى عصور مختلفة.

ليس هذا فقط بل لابد لنا أن نذكر أن هذا العنف المسيحى قد استخدم أيضا وبقسوة ضد اليهود سواء فى العصور القديمة أو الحديثة أو الوسطى.

وهناك ملايين المشاهد والأمثلة التى سوف نسوقها خلال أوراق هذا الكتاب مما يؤكد ما توصلنا إليه آنفاً، وما أحداث محرقة أفران النازية ضد اليهود خلال الحرب العالمية الثانية إلا واحدة من حالات العنف التى نقصدها.



وفى مقابل الإرهاب اليهودى والعنف المسيحى نجد سماحة المسلمين. . الذين ربطوا بين كل معاملاتهم مع كل البشر عامة ومع أهل الذمة من أصحاب الديانة اليهودية والمسيحية خاصة وبين ما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله الكريم. . إذ أوصى القرآن الكريم وكثير من الأحاديث النبوية بالمعاملة الحسنة الطيبة، والسعى لتحقيق النفع العام لكل البشر دون النظر لجنس أو لدين أو لعرق!

ورغم ذلك فنحن لا نعفى أبداً المسلمين أو بعضهم ـ من الذين خرجوا عن خط الإسلام الصحيح واحتفظوا فقط منه بالاسم ـ من المسئولية تجاه ما أصابهم

من ظلم وجور من جانب أهل الكتاب.. حتى أنهم تمكنوا من قلب الحقائق التى أدت إلى عكس صورة الإرهاب والعنف فى الجانب المسلم، وإبعادها عنهم.. مع أنهم هم فى الأصل مصدر كل تلك الأفعال.

وحدث ذلك بالفعل حين مال بعض المسلمين ناحية المنافع الدنيوية، ضاربين عرض الحائط بتعليمات الدين الإسلامى. والذى يدعو إلى التوازن بين متطلبات الحياة الدنيا والآخرة.

هؤلاء قد اتخذوا من الإسلام وسيلة لتحقيق غاياتهم سواء السياسية أو الاقتصادية، وبالتالى فقد ابتعدوا به عن مساره الصحيح، وكانت تلك هى الفرصة الذهبية التى يبحث عنها فريق من أهل الكتاب من الذين أرادوا إخفاء ما اتصفوا به من إرهاب وعنف.. فاستداروا ينقبون فى تاريخ الإسلام وتاريخ بعض أتباعه من الذين خرجوا على الإسلام وعن مساره الصحيح، وأخذوا يستخرجون من هذا التاريخ كل ما يساهم فى إزاحة صورة الإرهاب والعنف عنهم وإلصاقها بالمسلمين!!.

وكانت تلك من أكبر المصائب وأكبر التحديات أمام المسلمين حتى فى العصر الحديث؛ وذلك عندما فوجئوا بهذا الكم الكبير من الكراهية المدفونة تحت التراب آلاف السنين تطفو إلى سطح الأحداث، وكأنما هى الحقيقة وحدها من دون ما ارتكبه ويرتكبه اليهود والنصارى سواء ضد أنفسهم أو ضد غيرهم من البشر عامة وضد المسلمين خاصة!.

وقد ساعدهم على تحقيق ذلك وسائل وأساليب كثيرة سواء مادية أو إعلامية فى مقابل تخاذل قطاع كبير من المسلمين سواء مادياً أو إعلامياً أيضاً.

وفى وسط هذه الاتهامات كادت فعلاً تضيع سماحة الإسلام وقوة المسلمين، ولكن الله غالب على أمره مع أن أكثر عباده لا يعلمون.. حيث يقيض الله لهذا الدين فى كل حين رجالاً وجنوداً لانراهم سواء المنزلة من السماء أو الموجودة بيننا فى الأرض لتدافع عن سماحة الإسلام ولكى تظهر قوته فى مقابل إرهاب وعنف الآخرين.

الباب الأول

ما جاء به الدين الإسلامى من تعاليم غير مسبوقة

- **الفصل الأول:**

  الإيمان بالله واليوم الآخر
  والملائكة وكل الرسل

- **الفصل الثانى:**

  التسامح.. حتى مع
  أهل الذمة

- **الفصل الثالث:**

  قبس من أنوار الحضارة
  الإسلامية.. شرقاً وغربا

الفصل الأول

الإيمان بالله اليوم الآخر والملائكة وكل الرسل

منذ التقينا فوق هذه الأوراق وكـان بيننا شبه اتفاق، موثق فى قوائم الأخلاق، ومنصوص فيه علـى ضرورة أن نلجـأ فيمـا نذكـره أو نناقشه من قضايا أو موضوعات.. إلى الأدلة والبراهين، سـواء المكتـوب منهـا أو الشفهـى.

وقد بدأنا قدر المستطاع تطبيق نصوص هذا الميثاق، ونعتقد أننا سوف ننجح فيه إلى حد بعيد.. حيث تكون وجهتنا دائماً فيما نقدمه أثناء تناولنا لأى موضوع، إلى الأدلة والبراهين التى تؤيد سواء وجهة نظرنا، أو وجهة نظر الآخرين من الذين سوف يعارضوننا فيما نذهب إليه، وعلى وجه الخصوص ما ارتبط بالقضايا أو الموضوعات التى سوف نناقشها من خلال فصول البابين الثانى والثالث.

ومنذ هذه اللحظة سوف نواصل اتباع قواعد ذلك الميثاق وبنوده عند الحديث عن فصول هذا الباب أيضا والذى خصصناه للحديث عن سماحة الإسلام ودلائل تلك السماحة، مما يعنى ضرورة الرد القوى والشديد على كل ما يقال عن هذا الدين وما دفع الآخرين للربط، بينه وبين الإرهاب!!.

هذا الرد يقوم فى الأساس على تقديم الأدلة والبراهين المكتوبة والمروية سواء عند المسلمين أو عند غيرهم، وهى كلها وكما سوف نعرف بعد ذلك سواء من خلال هذا الفصل أو الفصول الأخرى مستمدة من كتاب الله الحكيم "القرآن الكريم" وهو كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه أبداً ولا من خلفه، ذلك لأنه تنزيل من لدن حكيم عليم وهو رب العالمين.

هذا الكتاب العظيم الذى هو دستور هذا الدين وعماده، قد أثبتت السنوات،

بل وكل الدهور.. صدق كل ما جاء به، وفى مختلف نواحى الحياة ولصالح البشر جميعاً!.

هذا الصدق مستمد فى الأصل من غاية الله لهذا الكتاب.. مصداقاً لقوله تعالى: **«إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون»** فى مقابل ما تعرضت له من قبل التوراة وكذلك الإنجيل للتحريف والتزوير.. مما جعلهما يبتعدان فيما سطره المزورون، بأقلامهم.. عن الغاية التى أُنزلا من أجلها من لدن رب العالمين.



والحديث الجدير بالاهتمام خلال هذا الفصل والذى نفتتح به رحلتنا من خلال هذا الباب والذى نستشف منه تلك الملامح السمحاء للدين الإسلامى رغم ما يروجه عنه أعداؤه من اتهامات باطلة لا نعرف من أين جاءوا بها!! هو ضرورة الوقوف على أصول ذلك الدين الحنيف.. الذى يقوم فى الأساس على ضرورة الإيمان بالله وباليوم الآخر وبالملائكة الكرام وكل الكتب السماوية والأنبياء والرسل.

هذه الأصول الخمسة قد اختتم بها رب العالمين سورة البقرة، وذلك فى قوله تعالى: ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾ الآية ٢٨٥ من سورة البقرة.

وما نود أن نشير إليه فى سياق حديث هذا التسامح هو ضرورة التأكيد على أن الدين الذى كان وسوف يكون عند الله هو الإسلام.. من أجل ذلك فقد كان هو الراية الآمنة التى استظل بأسفلها كل الأنبياء، حاملين فوق أكتافهم الدعوة لوحدانية الله، وبيان أصول عبادته، وهو ما يؤكد فى الوقت نفسه سماحة هذا الدين وقوته، واستمراره رغم أنف المعارضين والمحاربين له ولأتباعه!.

ولذلك وجدنا الكثير من العلماء والمفكرين يعولون صلاح الأحوال فى الدنيا وفى الآخرة على وحدانية الله باعتبارها من أكمل الغايات التى خُلق الإنسان لأجلها، بل وكانت سبباً فى تعميره للأرض إلى يوم القيامة..

فعلى سبيل المثال.. يرى العالم الدكتور عبد الصبور مرزوق أن الإطار الذى تكون به بداية تكوين المجتمعات.. وتكون بفقدانه نهايتها.. هو إطار العبودية والعبادة لله الواحد الأحد، سبحانه وتعالى، وهى أساس خلق الناس، كما كانت أساس ومحور جميع الرسالات السماوية لجميع رسل الله عليهم السلام، على نحو ما جاءت به آيات القرآن الكريم، وعلى ألسنتهم جميعاً، مثل قول الله تعالى:

** ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ سورة الأعراف من الآية ٥٩.

** ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ سورة الأعراف من الآية ٦٥.

** ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ سورة الأعراف من الآية ٧٣.

** ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ سورة الأعراف من الآية ٨٥.

** ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ سورة النحل من الآية ٣٦.

** ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾ سورة العنكبوت من الآية ١٦.

** ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ سورة الأنبياء الآية ٢٥.

ثم تأتى الآية الكريمة الكاشفة بوضوح على حد قول الدكتور عبد الصبور مرزوق عن علة الخلق فى قوله سبحانه:

** ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ سورة الذاريات الآية ٥٦[١].

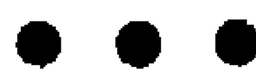


إذن ـ وكما يؤكد ذلك ما جاء بالقرآن الكريم ـ فإن كل الأديان السماوية التى أرسلها رب العالمين على قلوب رسله.. إنما تدعو إلى هذه الوحدانية باعتبارها قوام تلك الأديان وعمودها الفقرى..

هذا معناه، أن ما جاء بكل من الديانتين اليهودية والمسيحية، وبخلاف ما أصابهما من تزوير وتحريف.. إنما كان عماده الدعوة لوحدانية الله العظيم، لكن وفى ظل ما أصابهما على يد أصحابهما من المغرضين، فقد ابتعدتا عن خط سير هذا التوحيد، وبالتالى فقد تغير مفهومهما، وكل ما جاءتا به من تعاليم ونصوص إلهية.

هذا التغيير قد أبعدهما أيضا عن خط سير سماحة الأديان السماوية، وهو ما لم يصب ولله الحمد دين الإسلام، الذى لايزال فى قلوب أتباعه قائماً على الوحدانية والدعوة لله الواحد الأحد ولسوف يظل كذلك إلى يوم القيامة!

ولكل من يريد من الدارسين فى الغرب أن يتعرف على ملايين الفروق بين الإسلام وما جاء به فى المقام الأول من الدعوة لعبادة رب العالمين.. إله واحد لا شريك له، وبين ما جاء فى كل من اليهودية والمسيحية من تعاليم اقتربت بشدة من حافة الشرك بالله العظيم، فعليه أن يبدأ حالاً فى عقد تلك المقارنات والتى سوف توصل أصحابها حتماً إلى حقيقة الدين الإسلامى، فى مقابل ما هو موجود الآن فى كل من اليهودية والمسيحية.



(١) منهجية التغيير الاجتماعى فى القرآن الكريم ـ د. عبد الصبور مرزوق.

والدعوة إلى وحدانية الله تعالى.. كأحد الأصول المهمة والعظيمة في دين الإسلام.. وفى غيره من الديانات ومن قبل تحريفها.. لابد وأن يستتبعها كما يؤكد ذلك العلماء والفقهاء ورجال الدين.. عدة أصول أخرى لا يمكن أن تنفصل أبداً عن هذه الوحدانية. ويأتى فى مقدمتها.. العبادات: التى هى فى الأصل تكليفات ربانية، جاءت بها أوامر من السماء ونادى بها رسل كل تلك الديانات، وذلك لإثبات الوحدانية فى قلوب أصحابها.

وهى على تنوعها وأهميتها.. تقوم على اختبارات روحانية.. يكتشف الإنسان من وراء أدائها والالتزام بها مدى إيمانه بالوحدانية التى جاء بها هذا الدين أو ذاك، كما أنها أيضا الوسيلة الوحيدة التى عن طريقها يتقرب العبد من الله، . بمقدار ما يوجد فى قلبه من إيمان، ومساحات قد تصغر أو تكبر فيما يخص ذلك الإيمان بتلك الوحدانية.

ولقد أوضح الله هذه العبادات فى كل الأديان السماوية.. لكنها وكما يؤكد ذلك كل العلماء لم تكتمل إلا فى دين الإسلام، حيث بُنى هذا الدين بالنسبة لتلك العبادات على خمس هى كما قال رسول الله ﷺ: «شهادة أن لا إله إلا الله.. وأن محمداً رسول الله ﷺ وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً».

ويقول الدكتور محمد الجوهرى فى تعليقه على أهمية هذه العبادات التى تفرد بها دين الإسلام. إن الشهادتين والصلاة والصوم، والزكاة والحج هى أركان الإسلام، وهى وسائل لدوام الذكر والارتباط بالله سبحانه وتعالى وتزكية النفس وتصفيتها من الأدران كما أنها وسائل بناء النفس القوية والإيمان الصادق والبناء الاجتماعى المتين(١).

ورغم إيمان الإنسان، بأن كل دين قد أنزله رب العالمين على قلوب عباده. وأساسه الوحدانية كما قلنا من قبل، إنما يقوم على العقائد والعبادات، إلا أن

---

(١) الثقافة العربية والحضارة الإسلامية.. د. محمد الجوهرى.

هناك من العلماء من أضاف عدة أصول وتشريعات وأحكام، مما اتصل بحياة الإنسان فى شتى جوانبها، وذلك لكى يميزوا فيما قالوه بين ما جاء فى دين الإسلام وغيره من الأديان.

ومن ذلك قولهم: أن هناك بالإضافة إلى العقائد والعبادات كأصول للإسلام ما يسمونه بالأخلاق، مصداقاً لقول رسولنا الكريم: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، ومنهم من يربطونها بالتقوى باعتبارها محور الأخلاق الطيبة فى الإسلام، وقد احتفل بها القرآن الكريم كثيراً فيما جاء به من سور وآيات.

وكذلك هناك المعاملات، ويقصدون بها الأحكام التى تنظم علاقات الناس ببعضهم وتقيم الروابط بينهم على أساس العدل والرحمة والمحبة والتعاون ورفع أسباب الضرر والعدوان، ثم العقوبات التى تهدف إلى تهذيب النفس وتطهير القلوب، وأخيراً العلاقات، حيث حدد الإسلام العلاقة التى تربط الإنسان بربه وبالحياة والأحياء[1].

وأيضاً لو تدبرنا نحن هذه الأصول فى كل من اليهودية والمسيحية وحتى من قبل تزويرهما، فلن نجدها بهذا الوضوح وبتلك السماحة والسلاسة والسهولة. ذلك لأن الله تعالى قد جعل دين الإسلام هو خاتم كل الأديان، وبالتالى فقد جعل كل ما جاء به مفسراً وموضحاً ومستوعباً لكل ما جاء فى غيره من الأديان الأخرى.

ليس هذا فقط بل ومعترفاً بكل ما جاء فى هاتين الديانتين السابقتين، مما يعنى.. أن هذا الدين يقوم فى الأساس على الاعتراف بالآخرين وليس إنكارهم، كما هو حادث فعلاً فى كل من اليهودية والمسيحية، وذلك هو المفهوم العظيم الواسع للتسامح، وليس للإرهاب كما يزعمون!.

وإذا ما توسعنا قليلاً فى الحديث عن الإسلام من هذه الزاوية، ومن قبل أن ننتقل إلى حديث آخر من أحاديث ملامح ذلك التسامح العظيم لدين الإسلام،

---

(١) المصدر السابق.

لابد أن نشير إلى ما أشار إليه غيرنا من قبل، من أن دين الإسلام، إنما يتصف بالعالمية، وبأنه صالح لكل زمان ومكان، ولولا اتصافه بالتسامح، لما تمكن ذلك الدين من الصمود طويلاً ضد كل ما تعرض ويتعرض له دائماً من حروب عرفنا بعضها والبعض الآخر لايزال فى ذمة التاريخ.

ويؤكد الدكتور محمد عبد الله دراز على هذا المعنى فى قوله: "إن الإسلام فى لغة القرآن ليس اسماً لدين خاص، وإنما هو اسم لدين مشترك، هتف به كل الأنبياء وانتسب إليه كل أتباع هؤلاء الأنبياء".

وهو يستند فى ذلك على عدة أدلة وبراهين جاء ذكرها فى القرآن الكريم نفسه، حيث رأينا نوحاً يقول لقومه: ﴿ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ سورة يونس من الآية ٧٢، ويعقوب يوصى بنيه ﴿ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ سورة البقرة من الآية ١٣٢، وأبناء يعقوب يجيبون أباهم: ﴿ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾، وموسى يقول لقومه: ﴿ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ يونس من الآية ٨٤، والحواريون يقولون لعيسى: ﴿ آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون﴾ سورة آل عمران، وإن فريقاً من أهل الكتاب حين سمعوا القرآن: ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ سورة القصص الآية ٥٣[1].

ويتساءل الدكتور دراز فيما كتبه فى مؤلفه الهام "الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان": ما هذا الدين المشترك والذى اسمه الإسلام، والذى هو دين كل الأنبياء والرسل ؟!".

ونراه يجيب على ذات التساؤل بقوله: "إن الذى يقرأ القرآن يعرف كنه هذا الدين: إنه التوجه إلى الله رب العالمين فى خضوع خالص لا يشوبه شرك، وفى إيمان واثق مطمئن بكل ما جاء من عنده على أى لسان وفى أى مكان وزمان،

(١) القرآن والسلطان هموم إسلامية معاصرة . فهمى هويدى.

ودون تمييز شخصى أو طائفى أو عنصرى بين كتاب وكتاب من كتبه، أو بين رسول ورسول من رسله.

وفى هذا المعنى يوجه الله الخطاب: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ سورة البقرة الآية ١٣٦[١].

هذه الميزات المتعددة، هى التى جعلت من دين الإسلام، دين العالمية. الذى لابد أن يسود كل البشر إلى يوم القيامة ليس من منطق التعصب، بل من منطق تحقيق الفائدة العظيمة لكل البشر، بما حض عليه وما جاء به من تعاليم منها التسامح والمحبة والإخلاص القائم على عبادة الله الواحد الأحد.

هذا المعنى يؤكده أيضا الأستاذ الدكتور شوقى ضيف عميد المجمعين العرب وذلك فى قوله: "إن الإسلام هو الدين العظيم الذى اختاره الله كما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية ليكون خاتمة دياناته السماوية لتسعد به البشرية عن طريق تعاليمه الربانية سعادة كبرى فى الدنيا وفى الآخرة. كما وضع الله فيه قانوناً عالمياً ملزماً للمسلمين وغيرهم: أن تكون الحرية الدينية مكفولة لجميع الناس، فلا إكراه فى الدين ولا قهر لأحد فيه، وقد التزم بذلك الرسول ﷺ، والتزم به الخلفاء الراشدون، والتزم به المسلمون منذ فتوحاتهم على مر العصور، كما أن الإسلام هو الدين الوحيد الذى عاش فى دياره كل أصحاب الملل إلهية ووثنية، مع صيانة معابدهم وأموالهم، وأن تكون لهم محاكم خاصة بهم كنسية وغير كنسية من رؤساء أديانهم، وكانوا جميعا يسمون أهل الذمة إشارة إلى أنهم فى ذمة الإسلام وحمايته[٢]..

ويقدم لنا الدكتور ضيف من خلال ما سطره فى أحدث كتبه.. دلائل هذه

(١) المصدر السابق.

(٢) عالمية الإسلام ـ د. شوقى ضيف.

العالمية وأهم مظاهرها، وذلك بتقديم دراسة تاريخية على جانب كبير من الأهمية، رد بها على أقاويل المغرضين الذين يريدون تشويه هذا الدين وإبعاده عن مساره الصحيح فى خدمة الإنسان.

ونراه فى هذا السياق يتحدث وبالتفصيل عن أحد أهم مظاهر هذه العالمية والتى تفرد بها دين الإسلام، وهى ظاهرة التسامح والتى لا توجد فى أى دين سماوى بنفس مقومات ماهى فيه فى دين الإسلام، ونحن نراه يقول عن ذلك تحت عنوان «التسامح: إنه التساهل فى كل شىء سواء فى المعاملة أو فى الحقوق».

وفى الحديث: «أحب الأديان إلى الله الحنيفية السمحة» والحنيفية: ملة الإسلام، والرسول ﷺ يقول: إن الله يحبها لأنها سمحة ليس فيها ضيق ولا شدة. وضرب الله للمسلمين أعظم مثل للتسامح فى قوله تعالى فى سورة البقرة: **﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون﴾**.

ويؤكد الدكتور ضيف: على أن الله يسوى فى هذه الآية بين المؤمنين واليهود والنصارى من أهل الكتب السماوية والصابئين عبدة الكواكب قائلاً: إن من آمن منهم جميعاً بالواحدانية وبالبعث وعمل عملاً صالحاً لنفسه ولغيره، فكل هؤلاء لهم أجرهم وثوابهم عند الله يوم القيامة، ولا خوف عليهم فيها ولن يلحقهم أى حزن، فأى تسامح أعظم من هذا التسامح، حتى مع الصائبة الوثنيين إذا آمنوا بربهم وبالبعث، وعملوا عملاً صالحاً لهم ولمجتمعهم، والله يلغى بذلك التعصب للديانات، وهو سبحانه وتعالى يريد كذلك من المسلمين التسامح مع من يخالفهم فى الدين حتى ولو كان من الصابئة عبدة الكواكب أو من المشركين، وهو تسامح يبلغ بالحياة الإنسانية أقصى ما يريده الله لها من السمو»[1].

● ● ●

(١) المصدر السابق.

وإذا ما انتقلنا من الحديث عن وحدانية الله تعالى.. باعتبارها أهم أصول الدين الإسلامى، بل هى فى الوقت نفسه من أهم أعمدة كل الديانات السماوية.. وذلك للحديث عن ملمح آخر من ملامح تسامح الإسلام، كنوع من التفرد والذى يتميز به ذلك الدين فى مقابل ما تدعو إليه كل من اليهودية والمسيحية، كما سوف نرى ذلك فيما بعد، لسوف نكتشف أن هذا الملمح التسامحى فى ديانة الإسلام، بل وفى كل الديانات السماوية، لابد أن يكون بالضرورة نابعاً من الإيمان بالبعث ويوم الحساب، ذلك لأن الإيمان بالبعث والحساب، هو فى حد ذاته نابع من الإيمان بالله؛ الذى نص فى كل كتبه السماوية على ضرورة وقوع هذا الحساب فى يوم الدين.. إحقاقاً للحق، وتبرئة لذمة العباد أمام خالقهم يوم تقوم الساعة.

ولقد لاحظنا ولشدة أهمية الإيمان بيوم البعث وجود نوع من الارتباط فى بعض الآيات القرآنية بين الإيمان بالله ووحدانيته والإيمان بالبعث والحساب، وهذا فى تصورنا نابع فى الأساس من رغبة المولى عز وجل فى كشف عباده أمام أنفسهم يوم لا تخفى على الله خافية وهو الله جل جلاله. سواء من الذين ادعوا فى الدنيا أنهم قد آمنوا بوحدانية الله كذباً أو صدقاً.. رغم أن الله تعالى يعلم السر وأخفى.

إن المؤمن الحق والذى يضع فى حسبانه الوقوف بين يدى الله فى يوم الحساب، لابد له أن يراجع نفسه دوماً لاختبار قوة إيمانه بالله ووحدانيته.. وحتى لا يفاجأ بما سوف يناله من جزاء لعدم قوة هذا الإيمان.

وما نود أن نشير إليه فى سياق هذا الحديث هو ضرورة القول بأن الإيمان باليوم الآخر وفق ما نص عليه القرآن الكريم إنما يمتد إلى الإيمان بيوم القيامة وما سوف يتلوه من أحداث جسام ترتبط بيوم الحساب، ثم بيوم الجزاء الأعظم،

عندما يتعرف كل منا على مصيره. وذلك بناء على ما قدمت الأيدى والألسن من كلمات وأفعال، يعاقب أو يثاب عليها كل منا.

ولقد وردت آيات بينات كثيرات عما سيحدث فى اليوم الآخر ويوم القيامة ويوم الحساب ويوم الجزاء وما سوف يصيب الإنسان ما بين الجنة والنار!

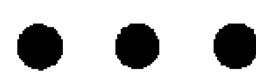
ومن هذه الأيات البينات قول الله تعالى فى سورة الزمر: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ (٦٨) وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (٧٠) وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٤) وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الآيات من ٦٧-٧٥.

ومن يفيض الله عليه بعلمه وحكمته.. ومن ثم يتدبر كلمات هذه الآيات الكريمات.. سوف يقضى لحظات طيبة مع البعث واليوم الآخر والحساب والجنة والنار.. إذ تنقل إلينا هذه الآيات صوراً صادقة عن اليوم الآخر وكيفية بدايته

ونتائجه ونهايته التى يسعد بها أصحاب الحظ الطيب من العاملين بكتاب الله وسنة رسوله الكريم. . حيث يورثهم رب العالمين أرض الجنة الطيبة كى يعيشوا فيها أبداً. . وسط النعيم المقيم. وفى المقابل، فإن الله تعالى يخلد أهل الكفر فى النار ماكثين فيها أبداً!

وفى حديث طيب. . يستحق منا الوقوف أمامه طويلاً. . ذكر الإمام الراحل الدكتور عبد الحليم محمود عن يوم البعث واليوم الآخر: «إن الله تعالى خالق، وهو واحد، مريد، عالم، قادر، وهو أيضا باعث، ومسألة البعث، مسألة أنكرها قوم يطلق عليهم الطبيعيون وفق ما أشار إليه الإمام الغزالى. وقد رد عليهم القرآن الكريم، وغيرهم من الذين ينكرون البعث ويوم القيامة.

وفى سورة يس آيات متتالية تحدثت عن رأى منكرى البعث، ثم ردت عليهم ردوداً متنوعة مختلفة واضحة وقوية، كما يسبق البعث ويعقبه أمور تحدث عنها القرآن فى كثير من الآيات ووصفها فى روعة أخاذة: «إنها تصف لنا يوم القيامة وتتحدث عن الحساب والميزان، كما تصف حال المؤمنين الكافرين وتصور النار فى صورتها البشعة الكريهة والجنة فى ريحانها وقصورها ورياضها الفيحاء»[1].



ويرتبط الإيمان باليوم الآخر وكما يؤكد ذلك الإمام الراحل الشيخ محمد متولى الشعراوى. . الإيمان بالغيب، باعتباره أول شروط التقوى، وباعتباره أيضا قضية هامة تحكم السلوك الإنسانى.

وفى ذلك يقول الإمام: «فأنت مادمت تؤمن بالغيب، وباليوم الآخر وبالحساب، فأنت تخشى الله سبحانه تعالى. . فى كل عمل تقوم به، فإذا مددت يدك لتسرق، تتذكر أنك ملاقى الله، وأنه سوف يحاسبك على ذلك، فتتراجع

(١) القرآن فى شهر القرآن ـ د. عبد الحليم محمود.

عن السرقة، وإذا أردت أن ترتكب ما حرم الله، وتذكرت الآخرة والحساب.. خشيت الله وتراجعت»..

ثم يضيف الإمام الراحل: «إذن أساس السلوك البشرى فى الدنيا هو الإيمان بالغيب، والإيمان بالغيب، يدخل فيه أساساً الإيمان باليوم الآخر، فإذا لم يكن إيمانك بكل هذا.. إيمان يقين، بمعنى أن ذلك يحدث وكأنك تراه أمامك يقينا لا يدخل إليه الشك أبداً. وإذن فى هذه الحالة تكون قد اهتززت ويستطيع من هنا الملحد أو غير المؤمن، أن يدخل إليك ليضع الشك فى نفسك، ويحاول أن يوهمك بأن كل حديث عن الغيب.. هو غير صحيح أو غير واقع، ومادام غير واقع، فإن السلوك الإيمانى كله يتغير».

ويصل الشيخ الشعراوى من كل ذلك إلى بيان أهمية الإيمان باليوم الآخر كأحد المصادر الرئيسية ليس للدين الإسلامى فقط، بل ولكل الأديان السماوية، ويبدو ذلك بوضوح فى قوله: «لولا الإيمان بالآخرة، لتحولت الدنيا كلها إلى مجموعة من الوحوش، يقتل القوى الضعيف، ويعتدى القادر على غير القادر، ويضيع الحق وتباح المحرمات، ولكن أخشى ما يخشاه المؤمن هو حساب الله له فى الآخرة.. لماذا؟! لأنه يؤمن أنه ملاقى الله سبحانه تعالى، وأن حساب الآخرة سيكون بقدرات الله سبحانه وتعالى»[1].

والمدقق فى معانى الكلمات السابقة سوف يكتشف بصدق قيمة الإيمان باليوم الآخر مثلما هو حادث فى حالة إيمان الناس بالله الواحد الأحد وهى كلها معان وأصول يقوم عليها الإسلام الحنيف.. كما هى فى الوقت نفسه أصول بُنيت عليها بقية الأديان السماوية. والتى اختفت معانيها وأصولها من صدور أتباعها.. فى ظل انتشار المادية التى ازدهرت فى عصر الإرهاب والعنف، كسمتين رئيسيتين لما يتصف به معظم أتباع هاتين الديانتين.

(١) معجزة القرآن ـ ج (٤) للشيخ محمد متولى الشعراوى.

وهنا يبرز دور الإسلام العظيم، حيث لايزال أتباعه يحافظون وبكل قوة على هذين الأصلين من أصول الإسلام، وهما الإيمان بالله وباليوم الآخر. .

ولسنا فى حاجة مرة أخرى إلى أن نذكر المتابعين لنا أن اليوم الآخر. . يرتبط فى واقع الأمر بيوم القيامة والبعث والحساب ثم مثوى البشر بعد الحساب، حيث الجنة أو النار!

والإيمان باليوم الآخر لذلك لابد وأن يشمل الإيمان بكل ما يرتبط به سواء من حيث وجود البعث كحقيقة مثبتة فى كل الأديان السماوية والدين الإسلامى أيضاً، وكذلك يوم القيامة ثم الحساب.

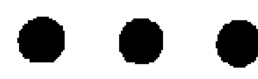
ومع ذلك فإن هناك بعض المفسرين وبعض المؤرخين خاصة المرتبطين بالإسلام من الذين يفرقون فى أحاديثهم بين هذه المسميات الثلاثة والتى تؤدى جميعها إلى معنى واحد هو اليوم الآخر. . باعتبارها مراحل تؤدى كل منها إلى الأخرى، وهم يقولون فى ذلك أيضا أن يوم القيامة على سبيل المثال يعتبر أولى مراحل اليوم الآخر، ويقع بعد حدوث الصيحة الكبرى من رب العالمين. ثم يعقبها موت كل شىء فى الكون. . حتى الملائكة، بعدها تأتى الصيحة الثانية من رب العالمين. . وهى صيحة اليقظة أو البعث. . إذ يأمر الله تعالى كل دابة فى الأرض وكل شىء فى كونه العظيم من قبل تدميره للبعث من جديد، وعلى إثر هذا البعث كمرحلة ثانية من مراحل يوم القيامة، تنصب الموازين القسط. . إيذاناً ببدء المرحلة الثالثة والأخيرة من يوم القيامة، وهى مرحلة الحساب، حيث يساق الناس زمراً إما إلى الجنة أو إلى النار كل حسب ما جاء فى كتابه، وما شهدت عليه جوارحه، وما تم الكشف عنه من أعمال أمام رب العالمين، وذلك مصداقاً لقوله تعالى فى سورة الأنبياء: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ الآية ٤٧.

وهناك بخلاف هذه الآية الكريمة عشرات الآيات البينات التى صورت وتصور

لنا مرحل اليوم الآخر.. وتلك أيضا إحدى ملامح التسامح فى دين الإسلام الذى يحض الناس على فعل الخيرات، ومن لا يمتثل لذلك ويعمل عملاً غير صالح، يتعرض لموقف فى غاية الصعوبة فى يوم القيامة ثم فى اليوم الآخر وأثناء الحساب!

ومن يقرأ فى تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية لا يجد أى صدى للإيمان باليوم الآخر.. وبالتالى فقد ضاع الحساب والعقاب من بين أيدى أصحابهما، ومن ثم فقد تحولوا إلى وحوش كاسرة، لأنهم لا يؤمنون بالآخرة، ولا يعرفون بأن هناك حسابا!

ولعل ذلك أيضا من الفروق العظيمة بين الإسلام وبين غيره من الديانات السماوية، والتى تُحسب لهذا الدين الحنيف، وبالتالى تبعده عن مسار ما يدعونه من إرهاب وتعيده فى أذهانهم وفى قلوبهم إلى المسار الصحيح، مسار التسامح القائم على الإيمان بالله وباليوم الآخر!.



ولايزال فيض حديث التسامح يجرى أنهاراً فوق كل الكتب والمؤلفات التى تحدثت عن الإسلام دون غيره من الديانات الأخرى.. لا لشىء إلا لأجل بيان تفرد هذا الدين وعظمته وقوته، باعتباره آخر ديانات السماء لأهل الأرض.

فبعد أن حض هذا الدين كأصل عظيم من أصوله المتينة على الإيمان بالله الواحد الأحد.. ثم الإيمان باليوم الآخر.. حض هذا الدين كذلك على الإيمان بالملائكة الكرام.

ولقد امتثل أتباع دين الإسلام لهذا الأصل امتثالاً عظيماً. حيث بات الإيمان بالملائكة يدخل ضمن ثوابت معتقدات أتباع هذا الدين ،بلانقاش أو رياء أو مواربة!!

وما نود أن نشير إليه فى سياق هذا الحديث.. أن الإيمان بالملائكة أيضاً..

إنما يدخل ضمن إيمان المسلمين بالغيبيات.. على عكس ما يحدث أيضا لدى أتباع كل من اليهودية والمسيحية!

ولسوف يتضح موقف هاتين الديانتين من الملائكة المكرمين، من استعراض ما كتبوه فى كتبهم وبأيديهم!، ومع أجل ذلك سوف نسرد هذا الحديث عن الملائكة لبيان دورهم كخلق جميل من خلق الله، وأشياء أخرى كثيرة تتعلق بهذا الخلق العظيم، والذى بدأ به رب العالمين عمارة هذا الكون من قبل خلق الإنسان.

إن عقيدة التوحيد على حد قول الكاتب الإسلامى أحمد بهجت تقوم على الإيمان بالملائكة، باعتبارهم سفراء الله إلى أنبيائه من الرسل، وهم كذلك جنوده فى كونه.. ذلك لأن الملائكة كأنقى خلق الله ينتمون إلى الملأ الأعلى، وهو يؤكد فى السياق نفسه مثل آلاف المفكرين غيره على أننا لا نعرف الكثير عن عالم الملائكة بالقدر الذى أخبرنا به رب العالمين..

فنحن مثلا لا نعرف متى خلق الله تعالى ملائكته المكرمين.. وكل ما نعرفه على سبيل اليقين أن الملائكة خلقوا قبل البشر، بدليل أن الله تعالى قد أخبرهم وكما يبين لنا ذلك القرآن الكريم أنه تعالى سيخلق الإنسان ويستخلفه فى الأرض وقد أمرهم أن يسجدوا لآدم، إلا إبليس الذى رفض ذلك الأمر ، ولذلك كان مثواه جهنم وبئس المصير(١).

ويضيف أن للملائكة صوراً فى الملأ الأعلى، وهى صور تتشكل وتتغير إذا نزلوا إلى الأرض فى مهمة، إذ نحن لا نرى الملائكة على صورتهم التى خلقهم الله عليها، ولا يستطيع الإنسان ذلك إلا إذا كان أميراً للأنبياء وخاتما للرسل ورحمة للعالمين، وقد رأى رسولنا ﷺ الملاك جبريل عليه السلام.. باعتباره سفير الله تعالى، على صورته التى خلقه الله عليها مرتين، مرة عندما بدأ نزول الوحى، ومرة عند سدرة المنتهى فى رحلة الإسراء والمعراج.

كما نعرف كذلك أن رسولنا الكريم ﷺ قد شاهد العديد من الملائكة فى

(١) الله فى العقيدة الإسلامية ـ رسالة جديدة فى التوحيد ـ أحمد بهجت.

السموات السبع فى أثناء هذه الرحلة.. وهم على أشكالهم التى خلقها الله.. وكذلك فى مهامهم التى وكلوا بها من قبل رب العالمين.



ولقد حاول بعض العلماء التعرف على طبيعة خلق الملائكة بالقياس لطبيعة خلق الإنسان والجن.. وكان سبيلهم إلى ذلك القرآن الكريم. الذى أكد لنا فى آياته البينات أن الله تعالى قد خلق الإنسان من صلصال كالفخار وقد تحول إلى حمأ مسنون، وكان أصله من طين، وكذلك خلق الله تعالى الجان من مارج من نار.. أما الملائكة، فقد أشارت السنة النبوية المطهرة، وفى حديث للنبى الكريم ﷺ روته السيدة عائشة عن رسول الله قال فيه: «خلقت الملائكة من نور».

وكما أن للملائكة خلقا مختلفا عن بقية مخلوقات الله تعالى، فإن لها كذلك مهام ووظائف تختلف باختلاف مايوكل لها من رب العالمين. من حيث أنهم خلق لا يعصون الله ما أمرهم، وهم يسبحون بحمده ولا يفترون أو يصيبهم التعب من هذه المهمة العظيمة.



والمتأمل للملائكة وضرورة الإيمان بوجودهم، خاصة فيما نص عليه القرآن الكريم ومادعت إليه سنة رسول الله ﷺ، يلتمس بسهولة مدى ما يتصف به دين الإسلام من رحمة وعدالة، تفوق ما جاء فى كل الأديان السماوية السابقة، رغم أن كل رسالات السماء إلى الأنبياء قد حملها جبريل عليه السلام بإذن ربه.. إلا أن هذا الملاك العظيم، ورسول الوحى لايحظى بالاحترام والتوقير والإيمان به وبأعماله إلا فى دين الإسلام فقط، بل وتظل روح المسلم فى اشتياق عظيم لرؤية الملائكة، وحتى من قبل أن يلقوا ربهم العظيم، وذلك حين يظلون على أمل تحقيق تلك الرؤية فى الليلة المباركة والتى خصصها رب العالمين لظهور هذا الخلق الجميل.. فى ليلة القدر والتى وصفها رب العالمين بقوله: ﴿ليلة القدر

خير من ألف شهر.. تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر﴾.

ليس هذا فقط، بل إن ملائكة الله تعالى لا تنسى أبناء آدم فى أهوال يوم القيامة والبعث والحساب..، ولاتنسى الشفاعة لهم، وإنما يعلق الله سبحانه تعالى قبول هذه الشفاعة عليه ويبدو ذلك بوضوح فى قوله تعالى: **﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾** سورة النجم الآية ٢٦.



ولقد بينت لنا تفاسير القرآن الكريم، أن الدين الإسلامى، كان من أكثر الديانات السماوية التى ارتبطت بالملائكة ودورها. سواء فى بث الدعوة عن طريق الوحى أو تثبيت رسول هذه الدعوة بالمعجزات، أو تثبيت أتباع هذا الدين فى معاركهم المتعددة مع الكفر والشرك.

ولقد تجلى ذلك بوضوح فى معركة بدر على وجه الخصوص، ثم توالى بعد ذلك ظهور الملائكة كجنود من عند الله تعالى لمساعدة عباده فى معظم حروبهم ومواقفهم الصعبة مع الشرك والكفر، بل وكثيراً ما نسمع أن الله تعالى ينزل ملائكته لمعاونة عباده فى حياتهم الطيبة، ماداموا على صلة حسنة بالله تعالى ومن خلال أعمالهم الصالحة..

بل واستطعنا كذلك ومن خلال الاطلاع على تلك التفاسير الوقوف على أخص المهام التى وكل بها فريق كبير من الملائكة.. مثل ملائكة الأرزاق وملائكة الرحمة وملائكة الموت.

ولعلها فرصة ليعرف غير المسلم الشىء اليسير عن أشهر ملائكة رب العالمين.. ذلك لأن بقية الأديان وكما مر علينا من قبل خاصة اليهودية، لا تعترف بوجود الملائكة، وبالتالى فهم لا يؤمنون بها ولا بدورها..

ويأتى فى مقدمة الترتيب العام لدور ومكانة الملائكة عند رب العالمين، كما عرفنا ذلك من القرآن الكريم.. جبريل عليه السلام والمعروف باسم جبرائيل فى اليهودية وهو الروح الأمين، وسفير رب العالمين لدى أنبيائه عليهم السلام.. هذا الملاك العظيم كان يأتى سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام فى صفات عديدة.. وقد عبر عن ذلك رسول الله فى قوله عليه الصلاة والسلام: «رأيت جبريل وله ستمائة جناح ينتشر من ريشه الدر والياقوت».

وسبق أن أوضحنا أن رسولنا الكريم قد رأى جبريل عليه السلام فى هيئتين: الأولى عند نزوله بالوحى ليلة القدر، والثانية عند سدرة المنتهى، وقد وصفه رب العزة بعدة صفات ذكرها القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿**علمه شديد القوى**﴾.. وقوله تعالى: ﴿**ذو مرة فاستوى**﴾، وقوله تعالى فى سورة التكوير: ﴿**إنه لقول رسول كريم**﴾ ثم يأتى ميكائيل عليه السلام فى المرتبة الثانية من مراتب الأنبياء ومقامهم عند رب العالمين.. وفق ما ذكره رب العالمين فى سورة البقرة فى قوله تعالى: ﴿**مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ**﴾ الآية ٩٨، وقيل إن سبب نزول هذه الآية وبهذا الترتيب هو ما ذكره اليهود عن جبريل وميكائيل.

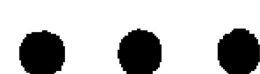
وأهم ما يضطلع به هذا الملاك العظيم من مهام وكل بها من رب العالمين هو: المطر والنبات اللذين يخلق منهما الأرزاق فى هذه الدار، وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه، حيث يصرّفون الرياح والسحاب كما يشاء رب العزة سبحانه، فما من قطرة تنزل إلا ومعها ملك يقررها فى موضعها فى الأرض[1].

وثالث هؤلاء الملائكة المكرمين إسرافيل عليه السلام والمعروف باسم عبد الرحمن. حيث يقول بعض الفقهاء أن هذا الملك كان أول من سجد من الملائكة فجوزى بولاية اللوح المحفوظ، وهو كذلك أول من يبعثه الله تعالى بعد الصعق لينفخ فى الصور للقيام من القبور، والحضور يوم البعث والنشور.

---

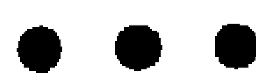
(١) ملك الموت والأنبياء ـ عبد العزيز الشناوى.

ومن بين هؤلاء الملائكة الكرام المعروفين لكل البشر، نظراً لدوره فى إنهاء حياتهم. . هو الملاك عزرائيل عليه السلام، وهو قابض الأرواح. حيث قال ابن عباس ومجاهد: «إن الأرض بين يدى ملك الموت مثل الطست يتناول منها حيث يشاء، وله أعوان من الملائكة يأتون الإنسان على حسب عمله، إن كان مؤمنا أتاه ملائكة بيض الوجوه، بيض الثياب، طيبة الأرواح. . وإن كان كافراً. . كانت هيئتها غير ذلك»[1].



ويتبقى لنا من حديث أصول الإيمان التى نص عليها رب العالمين فى كل كتبه. . حديث الكتب المقدسة والرسل والأنبياء. . باعتبارها الختام الطيب لما يجب أن يكون عليه المسلم وغير المسلم، ذلك لأن الله تعالى ما كان لينزل من كتاب أو ليبعث رسولاً إلا لكى يُعبد فى الأرض. . باعتباره الإله الواحد الأحد الذى لا شريك له ولا ولد؛ مصداقاً لقوله تعالى فى سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾. ومصداقاً لقوله تعالى: **﴿وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم.. وأشهدهم على أنفسهم. ألست بربكم. قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين. أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم﴾**.

وفى تفسير عظيم للإمام الراحل الشيخ محمد متولى الشعراوى لهذه الآية قال: « هذه الآية الكريمة التى أخبرنا بها الله تعالى تدلنا كيف أن الله يوجد فينا بالفطرة رغم أنه فوق قدرة العقل. فقد عرفنا وجود الله يقينا. . هذه المعرفة موجودة فى داخلنا حتى وإن لم يدلنا عليها أحد»[2].



وبالحديث عن الأصل الرابع من أصول الإسلام وقواعده المتينة والمقصود به

(١) المصدر السابق.

(٢) معجزة القرآن ـ محمد متولى الشعراوى ج (٢).

الإيمان بالكتب التى أنزلت من قبل رسولنا الكريم. . نستطيع الوقوف بالفعل على سماحة ذلك الدين الذى لا ينكر ما جاء قبله، سواء من نصوص أو أنبياء ورسل، وذلك فى مقابل. . موقف أتباع بقية الأديان الأخرى مما جاء بالإسلام. . حيث ينكر هؤلاء الأتباع كل ما جاء به هذا الدين الحنيف سواء فى الشرائع أو العبادات أو المعاملات.

وكما نعرف جميعا. . فقد أنزل الله على رسله ثلاثة كتب سماوية رئيسية. . هى بالترتيب التوراة ثم الإنجيل ثم القرآن الكريم، ومن قبل نزول التوراة. . ذكر لنا القرآن الكريم فى محكم آياته أن الله تعالى قد أنزل على إبراهيم عليه السلام صحفاً. وكذلك على داود عليه السلام زبوراً.

ولكن كما سبق أن أسلفنا فقد اتضح لنا أن هذه الكتب السماوية خاصة التوراة الإنجيل قد حرفت، وضاعت معالمها الأصلية سواء داخل صدور أتباعهم أو فيما كتبوه بأيديهم، إلا القرآن الكريم، الذى ما يزال على ما هو عليه من كلمات وحروف ومعان كما أنزلها رب العالمين على قلب رسوله الكريم محمد عليه الصلاة والسلام.

وما حدث لغير القرآن الكريم من الكتب السماوية المشار إليها آنفا، أن عباد الله لم يحافظوا عليها، إذ كلفهم الله بذلك، وقد نسوا حظاً مما ذكروا به، أى أنهم نسوا ما ذكرهم به الله سبحانه وتعالى، سواء بالتحريف أو بتلوية ألسنتهم به. .

ويعلق الشيخ الشعراوى على هذه الجريمة فى حق كتب الله المقدسة من غير القرآن الكريم بقوله: «إذن فتكليف الله سبحانه وتعالى لعباده أن يحافظوا على الكتب السابقة، ولكنهم مع ذلك أدخلوا فيها هوى النفس وأخضعوها للتحريف، لذلك عندما أنزل سبحانه وتعالى القرآن قال: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾. ولذلك يعتبر هذا الكتاب العظيم من معجزات رب العالمين فى الكون. . وكونه على حد قول الشيخ الشعراوى معجزة، فلابد وأن يبقى بهذا

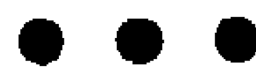
النص، وإلا ضاع هذا الإعجاز، ذلك لأن الله قد جرب عباده فى الحفاظ على الكتب السابقة فلم يحفظوها وحرفوها»[1].

وتلك سمة عظيمة أخرى من سمات هذا الدين الحنيف. . إذ جعل الله معجزته الدائمة فى كتاب حكيم يتلى بالليل والنهار، وقد جعل من قبل لكل من موسى وعيسى عليهما السلام معجزات عينية تناسبت مع ظروف العصر الذى كان يعيش فيه كل من هذين الرسولين الكريمين. فجعل لموسى عليه السلام معجزة التفوق فى السحر، وكذلك جعل لعيسى عليه السلام معجزة الطب.

ولم تقتصر معجزة القرآن الكريم على كونه معجزة لغوية فقط، بل جعل الله تعالى لهذا الكتاب الحكيم عدة معجزات ناقشها وبينها وأوضحها المئات من العلماء المسلمين وغير المسلمين، فقد حدد القرآن الكريم مصدر العلم للبشر، وذلك فى قوله تعالى: ﴿علم آدم الأسماء كلها﴾ كما جعل فيه منهج الحياة. فما من قضية تمس حياة البشر إلا ويوجد لها فى منهج الله وفى القرآن الكريم حلول وعلاج. وما من قضية أساسية من قضايا المجتمع إلا ويعالجها القرآن الكريم[2].

إن هذا الدين الحنيف يتفوق بما حباه رب العالمين بميزات عديدة على غيره من الأديان السابقة، ومع ذلك فهو أول دين سماوى لا يرفض ما جاء بالأديان الأخرى. . سواء من تعاليم أو كتب أو شرائع، بشرط أن تكون صادقة وغير محرفة.

ومن فضل الله تعالى على البشر، أن كشف لهم مناطق التحريف فى الكتب السابقة. ومع ذلك فإن هناك من هؤلاء من الذين ختم الله على قلوبهم بالكفر، وهم لذلك لا يريدون أن يعترفوا بهذا التحريف. وتلك هى القضية الخطيرة!!.



وما ينطبق من أحاديث عن الكتب المقدسة كأحد الأصول المهمة والتى يقوم

(١) المصدر السابق.

(٢) معجزة القرآن ـ المصدر السابق.

عليها الإيمان.. ينطبق كذلك على الرسل والأنبياء.. حيث يؤمن بهم جميعا أتباع دين الإسلام.. فى حين نجد أن الآخرين إما يقتلون هؤلاء الأنبياء. أو ينسبون لبعضهم صفة الألوهية، مع أنهم جميعاً بشر خلقهم الله لأداء مهمة مقدسة أساسها هداية البشر لوحدانية الله تعالى، كما أنهم كانوا من أكثر عباد الله الصالحين الذين تحملوا وصبروا على المكاره والأزمات والمشاكل وإيذاء قومهم. حيث وصف الله تعالى بعضهم فى كتابه العزيز، بأنهم أولو العزم من الرسل، وقال المفسرون إن الله قد قصد بهؤلاء عددا محددا ومعينا من أنبيائه، وقالوا إن المقصود من هؤلاء الأنبياء هم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم جميعا أفضل الصلاة والسلام.

وبشكل عام فقد ذكر لنا القرآن الكريم خمسة وعشرين نبياً ورسولاً بالاسم منهم ثمانية عشر وردت أسماؤهم فى أربع آيات متتاليات فى سورة الأنعام، كما ذكر بعض العلماء أن عدد الرسل قد بلغ مائة وأربعة وعشرين ألفاً، هؤلاء أنزل الله عليهم مائة صحيفة وأربعة كتب..

فقد أنزل الله تعالى على آدم عشر صحائف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى إدريس ثلاث صحف وعلى إبراهيم عشر صحائف إضافة إلى التوراة والإنجيل والقرآن.

ولا شك أن الإيمان بكل هؤلاء الرسل وما قاموا به من مهام عظيمة يدخل ضمن الإيمان بالإسلام، بل والإيمان بكل الأديان السماوية، وبدون تفرقة بين رسول وآخر، ولكن هيهات لهذا الإيمان الذى لا يوجد فى الأصل لدى أصحاب الديانتين اليهودية والمسيحية، وكيف يؤمنون بهؤلاء الرسل، وبعضهم يقتل هؤلاء.. والبعض الآخر يؤمنون بهم كآلهة أو كأنصاف آلهة!!، إلا المسلمون الذين يؤمنون إيمانا يقينيا، لا يشوبه شائبة بأن هؤلاء الرسل إنما هم بشر مثلنا.. وقد أرسل الله بهم لإبلاغ عباده برسالاته عبر السنين والقرون، حتى كان آخرهم محمد عليه الصلاة والسلام.

ونود أن نختم هذا البيان المبين عن رسل الله وأنبيائه من الذين نؤمن بهم ولا نفرق بين أحد منهم، بذكرهم بأسمائهم تعظيماً وتوقيراً لأشخاصهم ولأدوارهم التى تقوم فى الأساس على تبليغ وحدانية الله وبأنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له الملك وله الحمد.. وهو على كل شىء قدير..

ولقد سبق لنا القول بأن الرسل والأنبياء الذين جاء ذكرهم بالقرآن الكريم قد بلغوا خمسة وعشرين نبياً ورسولاً وهم بالترتيب خمسة أنبياء قبل إبراهيم عليه السلام: آدم، إدريس، نوح، هود، صالح، ثم يجىء إبراهيم أبو الأنبياء وابن أخيه لوط، ولإبراهيم ولدان كانا نبيين هما: إسماعيل ومن نسله خرج سيدنا محمد ﷺ، ومن اسحاق وابنه يعقوب خرج أنبياء بنى إسرائيل وهم يوسف، موسى وهرون، داود وسليمان، زكريا ويحيى وعيسى. ثم أنبياء اختلفت الأحاديث فى نسبهم أو قل عنهم الحديث وهم، شعيب، أيوب، يونس، ذو الكفل، إلياس، اليسع[1].



وكما سبق أن ذكرنا فقد وردت بالقرآن الكريم آيات عظيمة تؤكد التزام المسلمين بالإيمان بأنبياء الله جميعا دون تفريق، ومن ذلك قوله تعالى﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ سورة البقرة الآية ١٣٦.. وقوله تعالى: ﴿لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾. وقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ سورة النساء الآية ١٥٢.

وفى تعليق مهم للدكتور أحمد شلبى على هذه الآيات، نراه يقول: وواضح من هذه الآيات أن المسلمين يؤمنون بجميع أنبياء الله، أى لا يصدقون ببعضهم ثم لا يعترفون بالآخرين كما فعل اليهود الذين لم يعترفوا بعيسى ولا بمحمد.

(١) مع أنبياء الله الذين ورد ذكرهم فى القرآن الكريم ـ د. أحمد شلبى. سلسلة المكتبة الإسلامية.

ولا كما فعل النصارى الذين لا يعترفون بمحمد، وعدم الاعتراف بنبى من أنبياء الله هو نكران وتنكر لأمر الله العلى العظيم[1].

(١) المصدر السابق.

الفصل الثانى:

..التسامح الإسلامى.. حتى .. مع أهل الذمة!!

عندما يقرأ أحد المتابعين لنا موضوع هذه الأوراق وما سوف نتلوه فى هذا الفصل من براهين تؤيد سماحة الإسلام دون غيره من الأديان الأخرى وبالذات فيما يخص معاملة أتباع هذه الأديان من الذين نطلق عليهم اسم «أهل الذمة».. سوف يتساءل بحيرة: وكيف نخصص فصلاً بكامل أوراقه وموضوعاته لبيان ملامح ذلك التسامح الإسلامى مع أهل الديانات الأخرى.. مع أن هناك آلافا بل وملايين المواقف التى يستطيع كل ذى عقل راجح أن يتبين سماحة ذلك الدين بخلاف حديث أهل الذمة؟!

وفى الحقيقة.. إنه سؤال على جانب كبير من الأهمية. ولسوف يشعر المتابع لنا أيضا. من خلال الإجابة على ذات التساؤل.. أن حديث علاقة الإسلام والمسلمين بأهل الكتاب أو حتى علاقتهم بأهل الكفر، سوف يبين لنا أكثر مدى تسامح هذا الدين خاصة فى تلك الظروف التى يمر بها الدين الإسلامى فى وقتنا الحاضر، وما يتعرض له من حملات وحروب عنيفة من جانب هؤلاء الأتباع الذين نطلق عليهم «أهل الذمة» أو «أهل الكتاب»!!.

فعلى الرغم من وجود نصوص عديدة فى كتاب الله العزيز وفى سنة نبيه الكريم والتى تحض على حسن التعامل والرفق بأهل الكتاب.. وعلى الرغم من انصياع معظم أتباع هذا الدين، بل وكل هؤلاء الأتباع لما جاء فى هذه النصوص سواء القرآنية أو ماجاء بالسنة، وعلى الرغم أيضا من وجود ملايين المواقف الإسلامية التى تقوم على مبدأ التسامح مع هؤلاء والتعامل معهم بلا تفرقة أو عنصرية.. إلا أن غيرهم من الأتباع من أهل الذمة.. يقفون موقف العداء من هذا الدين، وهم كذلك يرفضون، هذا التسامح في التعامل ليس مع المسلمين

وحدهم، بل ومع أنفسهم أيضا، وقد انقلبوا بذلك إلى أعداء بعضهم ضد بعض!

وما كان منهم على مر الأزمنة من سلوكيات توضح هذا العداء السافر، إلا خير دليل، بل ودلائل قوية تؤكد ابتعادهم عن التسامح وسلوكهم طريق الإرهاب والعنف، فى مقابل هذا الدين الحنيف الذى يتهمونه ظلماً باتهامات نراها فيهم هم ولا نراها فى هذا الدين العظيم.

ولقد كانت وجهتنا دائما فى التعامل مع مثل هذه الموضوعات تعتمد فى الأساس على تقديم الأدلة والبراهين، فى عصر أصبح لا يعترف بالخطابة أو التأثير اللغوى للخطيب، بل يعتمد فيه أصحابه على كل ما هو مثبت بالأدلة، سواء داخل المعامل العلمية أو خارجها.

ولعلها دعوة لكل الذين يكتبون عن الإسلام دفاعاً عنه أو ترويجاً له، بضرورة العودة لتاريخ هذا الدين وانتقاء ما فيه من مواقف وقضايا وموضوعات نقوم فى علاجها وعرضها على الأدلة والبراهين. . والتاريخ الإسلامى العظيم به الآلاف، بل والملايين من هذه المواقف المعلنة، وهى تحتاج فقط إلى الإبراز والنور والأضواء المبهرة.

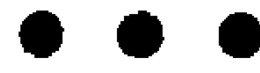
وهذا يستلزم منا إعادة قراءة ذلك التاريخ، وإعادة الاطلاع على تفاسير القرآن الكريم، لإخراج ما بها وبه من مواقف وموضوعات وقضايا تتصف بالشمولية القائمة على الأدلة والبراهين، وهى وسيلة نعتقد أنها فعالة للغاية فى الرد على حروب الغرب المسيحى ضد الإسلام حالياً، وكذلك دعاوى اليهود بأن هذا الدين يدعو إلى الإرهاب!!

وهناك العديد من الأساتذة الأجلاء من الذين بدأوا فعلاً هذا المشوار الطويل، ونراهم يحاولون من آن لآخر جذب المزيد من زملائهم إلى ذات الطريق، لإنارة المناطق المظلمة داخل نفوس أتباع غير دين الإسلام.

ونعتقد أن دخـول منطقة التسامح الإسلامى مع أهل الذمة، وتقديم الأدلة

والبراهين على تفوق هذا التسامح على ما عداه، سوف يكون له التأثير العظيم والذى نرجوه فى حسم هذه الحرب الشرسة سواء ضد الإسلام أو ضد أتباعه.

ولعل ما نبدأ به هذا المشوار يكون فرصة لمناقشة هذا الجانب والخروج من هذه المناقشة بما نرجوه من فائدة تعم جميع المسلمين وفى كل مكان، كما نأمل أن يستتبع ذلك جهود أخرى على نفس الطريق.



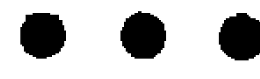
ولقد رأينا من الواجب أن نبدأ رحلة البحث عن التسامح الإسلامى لدى أهل الكتاب أو أهل الذمة مما سطره العالم اللغوى الكبير الأستاذ الدكتور شوقى ضيف فيما كتبه عن ملامح عالمية الإسلام.. ونظرة المسلمين لأهل الكتاب كأحد هذه الملامح المهمة، ثم بعد ذلك نفرد الحديث تفصيلا لهذه الملامح أو أكثرها أهمية، فقد أشار الدكتور ضيف أن الله تعالى قد وضع قانوناً عالمياً ملزماً للمسلمين ولغيرهم، مؤداها أن تكون الحرية الدينية مكفولة لجميع الناس فلا إكراه ولا قهر فى الدين لأحد، والتزم بذلك الرسول والخلفاء الراشدون ومن ثم كل أتباع هذا الدين.

كما كانت من ملامح وسمات هذا التسامح، وأيضا من مظاهر عالمية هذا الدين أن فتح الإسلام فى دياره لأهل الذمة جميع أنواع التعايش المادى من زراعة وصناعة وتجارة وأثرى كثيرون منهم ثراء واسعاً تمثله «ماريا القبطية» التى استضافت الخليفة المأمون وحاشيته حين مر بضيعتها فى زيارته لمصر..

وحتى أبواب الدواوين والأعمال الحكومية كانت لا توصد فى وجوههم منذ معاوية وابنه يزيد، وأخذ يتسع استخدام العباسيين لهم منذ القرن الثالث الهجرى، وارتفع بعضهم إلى مرتبة الوزارة فى عهد الدولة البويهية فى العراق وإيران وفى عهد الدولتين الطولونية والفاطمية بمصر.

ومن تتمة هذا التعايش كما يؤكد ذلك الدكتور ضيف فيما كتبه عن عالمية الإسلام مشاركتهم لهم فى أعيادهم وبخاصة أعياد النصارى والمجوس. وكان

أهل الذمة يؤدون للدولة الجزية، ولم تكن ضريبة دينية كما قد يظن، إنما كانت ضريبة دفاع يؤديها وحده القادر على حمل السلاح من الشباب والكهول نظير إعفائه من التجنيد، إذ لم يكونوا يشتركون فى حروب الجيوش الإسلامية، وكانت لا تتجاوز ديناراً واحداً.



ليس هذا فقط، بل إن التعايش العظيم المتسامح مع أهل الكتاب من جانب المسلمين لم يقتصر على ما سبق بيانه، بل رافق هذا التعايش المادى السديد تعايش فكرى قويم نقل فيه الآخرون إلى المسلمين كنوز العلم والفلسفة عن اليونان وغيرهم من الفرس والهنود.

وسرعان ما استوعب المسلمون هذه العلوم وأضافوا إليها إضافات باهرة، وقد ظلوا جميعا يقودون الحضارة العالمية العلمية الفلسفية ستة قرون من القرن الثانى الهجرى ـ الثامن الميلادى إلى القرن الثامن الهجرى ـ الرابع عشر الميلادى[1].

ولو أعدنا من جديد قراءة ما سبق أن ذكرناه مما سطره الدكتور شوقى ضيف وغيره عن ملامح التسامح الإسلامى تجاه أهل الذمة، سوف نكتشف أن هذا التسامح قد بدت له أربعة مظاهر أساسية هى: الحرية الدينية، الحرية المدنية، التعايش الاجتماعى والتعايش الفكرى.

ولما كان لكل مظهر من هذه المظاهر الأربعة أهمية خاصة لإبراز الجوانب الإيجابية وما أكثرها فى الإسلام، فسوف نتناولها بالتفصيل.. لبيان ما بها من ملامح تسامحية تنبع أساساً من تعاليم هذا الدين العظيم، والتزام أتباعه بالعمل فى ظل هذه التعاليم..

وذلك على النقيض من سلوكيات أهل الذمة الذين لم يراعوا هذا التسامح، وربما اعتبره بعضهم نوعا من الضعف، وبالتالى فقد شجعهم على التمادى فى عدائهم للإسلام، وحقدهم عليه وعلى أتباعه!.

(١) عالمية الإسلام ـ المصدر السابق.

وتلك من عجائب هذا الزمان وما نراه اليوم من دعاوى مغرضة ضد هذا الدين الحنيف، إلا نتيجة مؤكدة للتصورات المريضة لدى أهل الذمة والتى أخذت تنمو وتتفاعل مع العديد من الظروف على مر الأيام والسنين والدهور!

ورغم ما نحن فيه الآن وما هم فيه بالتناقض.. يجب علينا الاستمرار فى بيان ملامح هذا التسامح.. ذلك لأن الله غالب على أمره، وبالتالى سوف تكون الغلبة لدين الإسلام، هذا الدين العظيم، الذى يشتد عوده دائما فى ظل الأزمات والصعاب والنكبات، وهذا دليل آخر على قوة هذا الدين وسيادته وعظمته، لأنه لو كان ديناً هشاً أو جاء على غير أسس لانهار فوراً ومنذ أزمنة طويلة.



وما كان يجب علينا أن نسرد مظاهر التسامح الإسلامى نحو أهل الذمة، بدون أن نعطى ولو فكرة سريعة عن كنية هؤلاء.. وتاريخ التعامل معهم إنسانياً من واقع ما سطره التاريخ، والذى يؤكد فى كل صفحاته.. أن سماحة الإسلام مع أهل الذمة، قد بدأت ملامحه منذ السنوات الأولى لظهور الدعوة الإسلامية.

وهناك آلاف المواقف الإنسانية التى اتسم بها هذا الدين ونبيه الكريم وكلها تصب فعلاً فى نهر التسامح مع أتباع غير دين الإسلام.

وحتى تكتمل الفائدة كان علينا أيضا أن نغوص فى قلب صفحات ذلك التاريخ المضىء للإسلام لاستخراج ما به من ملامح مطلوب الوقوف على تفاصيلها.

وتبدأ هذه الرحلة مع الكلمات التى نستخرجها من جوف التاريخ للبحث عن كُنية أهل الذمة، ومدلول هذا الاسم الذى مايزال يُعرف بين المسلمين إلى الآن.

لقد ضمت الدولة الإسلامية أعداداً من غير المسلمين من أهالى البلاد المفتوحة من الذين ظلوا على دينهم، وعرفوا فى أول الأمر باسم «الرعية أو الأعاجم»، بمعنى أن العرب كانوا يرعونهم، ولكنهم عرفوا بعد ذلك من خلال كتب الفقه الإسلامى باصطلاح «أهل الذمة».

والذمة هنا تعنى العهد والأمان والضمان، كما هى تقرير بتوطين أهل الكتاب فى ديار الإسلام، وحمايتهم لدخولهم فى عهد المسلمين وأمانهم، وهناك من المؤرخين الذين توسعوا فى تفسير هذا اللفظ بقولهم إن لفظ أهل الذمة كان يعنى فى الأصل أن أصحاب الديانات الأخرى من الذين كانوا ولا يزالون يعيشون فى كنف الإسلام وبلاده، هم فى ذمة أهل الإسلام وأتباعه، من حيث الحماية والرعاية والمعاملة الطيبة الحسنة.

وقد اندرج تحت هذا المسمى فئات عديدة من أهل الكتاب من اليهود والنصارى والمجوس الذين اعتبروا ذمة إلى جانب الصابئة وهم (عبدة النجوم) بشرط أن يوافقوا اليهود والنصارى فى معتقداتهم، لذلك كان من حقهم أن يقيموا في بلادهم بناء على معاهدات الأمان أو الصلح أو أنهم خضعوا للعرب بحكم أن بلادهم فُتحت على أيديهم.

وقد تعامل المسلمون مع طوائف أهل الذمة وفق ما حدده القرآن الكريم عن هذه الفئات وتلك الطوائف. . حيث أشار هذا الكتاب العظيم إلى أهل الذمة وحدد طبيعة معاملتهم وعلاقتهم بالمسلمين فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ سورة الحج الآية ١٧.

وفى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ سورة البقرة الآية ٦٢٢.

كما أشارت أحاديث الرسول ﷺ إلى غير المسلمين من خلال اصطلاح أهل الذمة ومنها: «احفظونى فى ذمتى». . وكذلك ما جاء أيضا على لسان الخلفاء من بعده، وكذلك كتب التاريخ التى حفلت بأخبارهم والتى أشارت إليهم بهذا الاصطلاح الذى ظل شائعا فى الدولة الإسلامية على مر الزمن[1].

(١) معاملة غير المسلمين فى الدول الإسلامية ـ د. نريمان عبد الكريم أحمد.

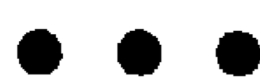
•• الحرية الدينية:

والسؤال الذى يطرح نفسه بقوة في سياق الحديث عن أهم ملامح التسامح الإسلامى مع أهل الذمة.. هو: ما هى الدلائل التاريخية التى يمكن الاستناد عليها.. لبيان أهم ملامح المظهر الأول من مظاهر ذلك التسامح وهو ما أطلقنا عليه اسم «الحرية الدينية»..؟!

ولاشك أن الوقوف تفصيلاً على تلك الملامح الخاصة والمرتبطة بهذا المظهر المهم من مظاهر تسامح المسلمين مع غيرهم، سوف يساهم كثيراً خاصة بالنسبة لغير المسلمين، وأيضا لبعض المسلمين الغارقين إلى الأذقان فى هموم غيرهم حتى نسوا الدين ونسوا أنفسهم، وبالتالى كادوا يصدقون ما يروجه أعداء هذا الدين عنه وعن أتباعه!!، خاصة إذا ما لجأ المتابعون لنا فوق هذه الأوراق وعبر هذه الملامح إلى عقد مقارنة بسيطة لكيفية التعامل بين المسلمين وبين غيرهم فى ديار غير الإسلام، وعلى وجه الخصوص فى أيامنا هذه، إذ دأب أهل الذمة حتى من المتعايشين مع المسلمين سواء فى بلادهم أو فى بلادنا على النظر إلى المسلمين على أنهم قد اتخذوا من الإرهاب صنعتهم، والعنف منهجهم!.

وقد نسوا بذلك أو تناسوا سماحة هذا الدين وما قدم ويقدم على الدوام لأهل الذمة على اختلاف مللهم ونحلهم!

ولقد سبق لنا القول.. ونحن نعيده الآن ونكرره عدة مرات بأن وسائلنا المشروعة فى الدفاع عن سماحة دين الإسلام، لن تعتمد على الشعارات وترديد الأقاويل والعبارات المفرغة من معانيها.. بل سوف تعتمد على وقائع تاريخية مثبتة فى كل الكتب، سواء العربية أو الأجنبية، وهى للأسف بين أيدينا وأيديهم منذ زمن طويل وإلى اليوم، ولا يكلف أحد منهم نفسه الاطلاع عليها أو معاودة قراءتها ودراستها! وطبعاً الهدف المقصود من ذلك.. معروف!



إن الحديث عن مدلول الحرية الدينية كمبدأ عالمى وضعه الإسلام، يعبر تعبيراً

عظيماً عن سماحة هذا الدين وتفوقه على بقية الرسالات السماوية، هذه الحرية الدينية جاءت منصوصاً عليها صراحة فى كل من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، بل ودعمتها ما صدر من الرسول الكريم عليه الصلاة السلام وأتباعه فى حق أهل الذمة، وهذا ما سوف نوضحه حالاً وبتفصيل يخدم الغرض الذى نرمى إلى تحقيقه على الفور.

لقد وضع الله جل شأنه فى القرآن الكريم قانونا عاماً التزم به الرسول ﷺ والمسلمون فى جميع عصورهم وديارهم، هو «لا إكراه فى الدين» وبذلك كان الإسلام يكفل دائماً فى بلدانه لجميع الناس شرقاً وغرباً على اختلاف مللهم ونحلهم الحرية الدينية.. فلم يجبر أحداً على اعتناق الإسلام مكرهاً قهراً، بل ترك الناس وما اختاروا لأنفسهم من الدين.

ويقول الله لرسوله فى سورة يونس منكراً عليه شدة حرصه على إسلام المشركين من أهل مكة: ﴿**ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا. أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين**﴾.

ومن ثم فقد التزم رسولنا الكريم ﷺ بما أوجبه عليه ربه على حد قول الدكتور شوقى ضيف، فكان لا يكره ولا يقبل أن يكره أحد صحابته شخصا على دخول الإسلام، فمن هداه عقله له وانشرح صدره واستنارت بصيرته له دخل فيه على بينة، ومن أضله عقله وعميت عليه دلائل هداه انصرف عنه[1].

فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «لا إكراه فى الدين».. نزلت فى مسلم من الأنصار من بنى سالم بن عوف يقال له الحصين، كان له ابنان نصرانيان فقال للنبى ﷺ ألا أستكرههما على الإسلام فإنهما قد أبيا إلا النصرانية، فأنزل الله فيه الآية، وأصبحت قانونا مقدساً عند الرسول والمسلمين.

وعن عتاب بن شمير قلت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله إن لى أباً شيخاً كبيراً وإخوة، فأذهب إليهم فعسى أن يسلموا فآتيك بهم، فقال له الرسول : إن

(١) عالمية الإسلام ـ المصدر السابق.

أسلموا فهو خير لهم، وإن هم أقاموا (أى ظلوا على دينهم) فالإسلام واسع عريض، أى دعهم وما يختارون بكل حريتهم.

ويؤكد الدكتور شوقى ضيف فى السياق نفسه أن كتب التاريخ وإلى اليوم لم تذكر أن أى شخص كان يدين بدين إلهى أو وثنى فى الديار الإسلامية قد أُجبر على الدخول فى الإسلام، ذلك لأن من أهم شروط دخول أهل الذمة فى الإسلام، ضرورة أن يعلن إسلامه أمام قاض وشهود، ليثبت أنه أسلم حراً وطواعية، مختاراً لدين الإسلام.

ومما يؤكد ذلك ما كان يحدث فى الأندلس عند دخول أحد النصارى إلى الإسلام، وفق ما ذكره ابن العطار الأندلسى فى القرن الرابع الهجرى حين قال: إنه لابد لإسلام نصرانى أو يهودى فى الأندلس من وثيقة يقدمها للقاضى وعليها شهادة شهود بأنه أسلم بدون إكراه، وأنه أيضا قد أسلم على يد فلان القاضى أو صاحب الشرطة أو صاحب المدينة أو صاحب السوق أى المحتسب(1).

ولقد ظل هذا التقليد قائما إلى يومنا هذا، وفى كل الدول الإسلامية إذ يشترط لمن يريد الدخول فى الإسلام.. ضرورة إعلان إسلامه علانية، وأمام عدة شهود.. ويكتب هذا الإسلام فى وثائق رسمية يتم إيداعها المحاكم، ويبين فيها هذا الشخص، أو ذاك دوافعه لدخول الإسلام، وأنه قد أسلم طواعية وبدون إكراه.

وهناك آلاف بل وملايين الأمثلة المكتوبة فى كل كتب التاريخ والتى يتضح منها سماحة هذا الدين مع أهل الكتاب فيما يخص حريتهم الدينية، ليس فى اختيار الدين الذى يناسب عقل كل منهم، بل والمحافظة أيضا على معتقداتهم ودور عباداتهم.

هذه الأمثلة ضاربة فى القدم ومنذ سنوات الدولة الإسلامية الأولى.. حيث كان ولايزال دستور دولة النبوة والتى قامت بالمدينة بعد هجرة الرسول ﷺ إليها

---

(1) المصدر السابق.

من مكة [سنة ١ هـ. ٦٢٢م] ينص على ذلك، وهو ما كان يعرف آنذاك باسم مواد الصحيفة أو الكتاب، وقد بلغت نصوص أو مواد هذا الدستور وفق إجماع عدد من المؤرخين ٥٢ مادة، شمل الحديث فى ١٤ مادة عن اليهود والباقى عن كل أصحاب الديانات الأخرى. إذ اعتبر هذا الدستور هؤلاء الرعايا «أمة من المؤمنين» وهم فى ذلك متساوون فى الحقوق والواجبات مع غيرهم من الأنصار والمهاجرين.. إلى جانب تقنين حقهم الكامل فى الاعتقاد الدينى الذى يختلفون فيه مع الإسلام والمسلمين(١).

ويأتى لنا الدكتور محمد عمارة بفقرات من أحد نصوص هذا الدستور فيما يتعلق بالتعامل مع اليهود آنذاك.. والذى ينص فيه على: «.. ويهود أمة من المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، وأن بطانة يهود كأنفسهم، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوقع [أى يهلك] إلا نفسه وأهل بيته، ومن تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة، غير مظلومين ولا متناحر عليهم، ينفقون على المؤمنين ماداموا محاربين. على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من يحارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون إثم».

ولقد استمر مسلك رسولنا الكريم مع اليهود آنذاك على هذا المنهاج، حتى بعد ما بدأوا بالغدر وأظهروا الخيانة..

ثم امتدت الحرية الدينية إلى خارج الجزيرة العربية، ومع كل الفتوحات الإسلامية. التى بدأت منذ عهد الخلفاء الراشدين، هذه الحرية التى قامت فى الأساس على ما جاء بالقرآن الكريم **﴿لا إكراه فى الدين﴾**. إذ ترسم الخليفة عمر بن الخطاب فى عهده خطى الرسول ﷺ .. سواء مع نصارى نجران أو نصارى بيت المقدس، وقد أوصى هو الآخر بضرورة وجود نصوص صريحة وواضحة تضمن حرية هؤلاء من أهل الذمة، من ذلك قوله:

---

(١) الإسلام والآخر - د. محمد عمارة.

«إن كنائس المسيحيين لا تسكن ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها شيء». . وقد التزم الخليفة عمر والمسلمون بذلك ولايزالون على هذا الالتزام إلى يومنا هذا، ليس فقط بالنسبة لدور العبادة الخاصة بالنصارى. بل إزاء معابد اليهود، وبالمثل معابد المجوس عبدة النار فى إيران والصابئة عبدة الكواكب فى شمال العراق. . ونتج عن هذا التسامح فى الحياة الدينية لأهل الذمة إزدهار الأديرة فى العراق والشام ومصر ازدهاراً عظيماً مما جعل كثيرين يكتبون عنها. كما كانت مصر مليئة بالأديرة المشهورة والتى مازالت على حالها منذ إنشائها لأول مرة.

وعندما كان يحدث أحياناً أن يتولى على بلد وال متعصب فيهدم كنيسة أو يهدمها مشاغبون. . فكانت الدولة تسارع إلى إعادة بنائها أخذاً بعهد عمر بن الخطاب وميثاقه لأهل إيليا الذى حرم فيه على المسلمين هدم كنائس النصارى أو انتقاص شيء منها أو من حيزها. ويؤكد الدكتور شوقى ضيف على أهم ملامح الإسلام فى مجال حرية أتباع الأديان الأخرى دينياً بقوله: «وتتمة للحرية الدينية التى كانت مكفولة لأهل الذمة من النصارى واليهود وغيرها أنهم لم يكونوا يتقاضون أمام محاكم الدولة التى تصدر فى أحكامها عن الشريعة الإسلامية، إنما كانوا يتقاضون أمام محاكمهم الملية الخاصة بهم كنسية أو غير كنسية، وكان رؤساء تلك المحاكم الملية يقومون فيها مقام كبار القضاة فى محاكم الدولة»(١).

يأتى ذلك فى الوقت الذى كان فيه الاضطهاد الدينى على أشده سواء ضد اليهود أو المسيحيين أو ضد بعضهم البعض، ولسوف تمر علينا نماذج من هذه الحالات التى امتلأت بها كل كتب التاريخ وفى مختلف العصور!

وما يجب التنويه عنه فى هذا السياق ضرورة القول بأن الحرية الدينية بالنسبة لأهل الذمة لم تتغير أبداً ملامحها من جانب المسلمين على مر كل العصور وإلى يومنا هذا، بدليل. . أن الإنسان حين يتجول فى أية مدينة إسلامية عربية أو غير عربية، يجد المئات من دور العبادة اليهودية أو المسيحية منتشرة هنا وهناك، مع

---

(١) المصدر السابق.

تجديدها والرعاية بها، بل وزيادتها دوماً، جنبا إلى جنب مع دور العبادة الإسلامية، مثل المساجد.

بل والأكثر من ذلك فإن الحرية الدينية لأهل الذمة قد امتدت بالنسبة للمسلمين ولحكامهم إلى العناية بآثارهم الدينية والحفاظ عليها.. وتبجيلها وما تناله من رعايا الإسلام من احترام دائم.

ومن يقرأ التاريخ بعناية، وبحياد الدارسين الذين يستهدفون الوصول إلى الحقائق فقط! وبعيداً عن التعصب، سوف يكتشف أن تاريخ الإسلام منذ بدايته على عهد الرسول ﷺ وإلى اليوم ومروراً بكل العصور به الملايين من الأمثلة التى تؤيد سماحة هذا الدين فى نظرته لأهل الذمة واحترامه لحريتهم الدينية.

ولا نريد أن نكرر أحاديثنا عما لاقاه ويلاقيه الإسلام وأتباعه، فى حرياتهم الدينية، داخل بلاد النصارى واليهود.. عندما اشتد عودهم وصاروا على قوة تماثل قوة المسلمين.. بل وتفوقت عليها لأسباب عديدة، وما يحدث الآن في كل ربوع أوروبا وأمريكا، ما هو إلا أحد مظاهر التضييق على المسلمين فى حرياتهم الدينية، بكل مظاهرها سواء ما يتعلق بإقامة شعائر هذا الدين أو دور عبادتهم، وطبعا الهدف معروف مسبقا من وراء كل ذلك، وهو محاربة هذا الدين وإجبار أتباعه على التخلى عنه وعن تعاليمه، ولكن الله غالب على أمره. لذلك ليس من الواجب علينا أن نقتدى بهم فيما يضعونه من عقبات وعراقيل لمنع انتشار الإسلام..

ولسوف نظل على ما أمرنا به الإسلام فيما يخص علاقتنا بأهل الذمة، مثلما كان بالأمس.. وما سوف يكون عليه غداً، فلهم دينهم ولنا ديننا.. ولا إكراه فى الدين.

•• الحرية المدنية:

وفقا لما هو سائد اليوم عن مفهوم الحريات المدنية، نجد أن سماحة الإسلام

خاصة فى تعامله مع أهل الذمة. . قد أكدت هذا المفهوم، بل وزادت عليه من خلال تقديم صور عملية لصيانة هذه الحريات وحماية أهلها.

ونحن نعرف أن الحريات المدنية فى عصرنا هذا وفى كل العصر، قد شملت كل ما يخص حياة الإنسان فى شخصه أو فى بيته أو فى متجره أو فى تعاملاته مع الآخرين، إذ لابد أن يكون الإنسان آمنا فى حياته مع الآخرين، مطمئناً لبقية أفراد مجتمعه مادام يتعامل معهم فى حدود القانون، والأخلاق والأعراف، بصرف النظر عن الاختلاف فى الدين أو فى العرق، وهذا ما حرص الإسلام على تحقيقه بكل دقة لأهل الذمة ولغيرهم من رعايا الدول الإسلامية.

وما نود أن نشير إليه أيضا أن الحرية الدينية السابق الإشارة إليها، وهى وكما سوف نكتشف ذلك بعد لحظات لم تكن هى السمة المميزة للدولة الإسلامية سواء الأولى أو فى مختلف العصور. . بل ارتبطت كذلك بالحرية المدنية. . بدليل أن عهود الأمان التى أعطاها الفاتحون الأوائل من المسلمين لرعايا البلاد المفتوحة، قد شملت حماية أموال وممتلكات أهل الذمة فضلاً عن أنفسهم وممتلكات كنائسهم.

ليس هذا فقط، بل كان لأهل الذمة أيضاً شئونهم الداخلية التى تُركت لهم لكى ينظموها كما يشاءون، وقد امتد عدل الإسلام فى نظرته للحرية المدنية لأهل الذمة إلى أحكام القضاء التى سادت بين المسلم والذمى فى قضايا القصاص والديات، كما امتدت عدالة الإسلام ناحية أهل الذمة فى حياتهم المدنية بالسماح لهم بالعمل فى الوظائف والجهاز الإدارى الإسلامى. . إذ من الثابت تاريخياً أن العرب قد أبقوا على النظم الإدارية التى وجدت فى البلاد المفتوحة كما كانت في كل إقليم قبل الإسلام، وظلت هذه الدواوين تحرر بلغة الإدارة السابقة قبل الإسلام فيما يخص ديوان المال والجباية(١). وكان العمل يجرى فى هذه الدواوين بالفارسية فى إيران واليونانية فى الشام، وفى مصر بالقبطية.

---

(١) ابن خلدون، المقدمة. ص ٢٤٤.

ويؤكد المؤرخون أن هذه السياسة التى اتخذت فى حق أهل الذمة بالحفاظ على حريتهم المدنية قد بدأت منذ خلافة عمر بن الخطاب، حيث استخدم الولاة فى صدر الإسلام كتاباً من هؤلاء، فكان لأبى موسى الأشعرى والى البصرة فى هذه الفترة كاتب نصرانى، كما ظل استخدام أهل الذمة لدى الخلفاء الأمويين، فاستخدم معاوية بن أبى سفيان النصارى فى مصالح الدولة، فعهد إلى سرجون بن منصور الرومى بخراج دمشق ثم إلى ابنه منصور بن سرجون. كذلك كان كاتبه على خراج حمص نصرانى هو ابن أوثال، وكان لهذا الكاتب قصر يعرف به[1].

كذلك سار الولاة الأمويون على نفس السياسة فى استخدام أهل الذمة، وقد تجلى ذلك فى الاستعانة بالعديد من اليهود والنصارى فى تدوير الجهاز الإدارى فى هذه الأقاليم الإسلامية المفتوحة سواء فى إيران أو الهند أو فى مصر ،حيث كانت حكومة الفسطاط تستخدم أهل الذمة فى إدارة البلاد. فكان هناك كاتبان قبطيان لإدارة مصر العليا ومصر السفلى فى ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر. كما كان رؤساء المالية قبطاً طوال عصر الأمويين، هذا فضلاً عن استخدامهم حكاما للأقاليم، فكان والى الصعيد فى نهاية ولاية عبد العزيز بن مروان قبطيا اسمه بطرس ولكنه اعتنق الإسلام بعد ذلك، كما كان حاكم مريوط قبطيا اسمه ناوفانس.

وحتى بعد تعريب الدواوين فى خلافة عبد الملك بن مروان عام ٧١هـ ـ ٦٩٥م، كان على أهل الذمة تعلم اللغة العربية لمواصلة وجودهم داخل الجهاز الإدارى الإسلامى. وبالفعل سارع عدد كبير منهم إلى نيل هذا الشرف، وبالتالى فقد استمروا فى وجودهم فى الدواوين وفى غيرها.

وحتى فى الأندلس فقد طبق المسلمون، سياستهم المعهودة فى الإبقاء على النظم الإدارية الموجودة كما حدث فى بلاد الشرق، وبالتالى فقد احتفظوا بما كان فيها من موظفين من أهل الذمة، سواء من اليهود أو من النصارى.

---

(١) معاملة غير المسلمين فى الدولة الإسلامية ـ مصدر سابق.

وتؤكد الدكتورة نريمان عبد الكريم أن نظرة الإسلام للحرية المدنية بالنسبة لأهل الذمة لم تتوقف على الاحتفاظ بهم فى الوظائف الإدارية فقط، بل شمل كذلك الالتحاق بالجيش الإسلامى، وتوضح هذه المشكلة وأصلها بقولها: «معلوم أن الذمى كان يدفع الجزية مقابل حمايته، لأنه لم يشترك فى الدفاع، لأن معنى ذلك الحصول على العطاء الذى يعد حقاً لكل مسلم.. لكن بمضى الزمن سمح لهم بالاشتراك فى الجيش الإسلامى، وربما يكون ذلك مرتبطاً بمشاركة الذميين للمسلمين فى الدفاع وعدم دفع الجزية، ففى مصر وخلال عصر الولاة كان ملحقاً بالجيش الإسلامى طائفة تسمى المطوعة، ربما كان أساسها أهل البلاد الذين كانوا فى جيش مصر أثناء الفتح العربى لها. كذلك سمح الأمويون بتجنيد أبناء البلاد المفتوحة للاشتراك فى المعارك شرقاً وغرباً، كما تولى أهل الذمة إمرة الجيش الإسلامى فى بعض الأحيان مما يؤكد التسامح الذى أعطى لهؤلاء، وإعطاء الفرصة للوصول إلى أرقى المناصب»[(١)].

ويمتد عطاء التسامح الإسلامى فى مجال الحرية المدنية لأهل الذمة، حيث يصل إلى مداه بالسماح لهؤلاء بالعمل باقتصاد الدولة الإسلامية، سواء من خلال اشتغالهم بالتجارة الخاصة بهم أو تولى تجارة الدولة الإسلامية نفسها، فقد أتاحت الدولة الإسلامية لأهل الذمة المشاركة فى الحياة الاقتصادية بما كفلته لهم من حقوق وواجبات وحريات، كما ساعدت فترات الازدهار الاقتصادى التى شملت مختلف النواحى فى مختلف العصور الإسلامية من تألق هؤلاء فى هذا المجال.

وقد شهد هذا الميدان أنشطة متعددة لأهل الذمة وهم تحت رعاية الدولة الإسلامية. من ذلك ما قررته الحكومات الإسلامية على تعاقبها مبدأ الحيازة والملكية للفلاحين كافة.. كما وضعت الضوابط التى تحافظ على أرض الذمى مثل المسلم.

(١) المصدر السابق.

كما شمل هذا التسامح التعاون مع أهل الذمة والاستفادة بخبراتهم المختلفة فى العديد من المجالات الاقتصادية الحيوية.

ليس هذا فقط، بل إن سياسة الرفق التى اتبعتها الدولة الإسلامية، فيما أصدرته من قرارات ضريبية شملت مختلف أوجه النشاط الاقتصادى، قد دفعت هؤلاء الذميين إلى المشاركة الفعلية فى الحياة الاقتصادية وفى الضرائب التى فرضت عليهم من خراج وجزية لم تثقل كاهلهم، كما أنهم كانوا لا يدفعون ضرائب على مواشيهم.. كما تساووا مع المسلمين خاصة من العاملين منهم فى مجال التعدين فى الضريبة المفروضة عليهم[١].

ويحدثنا المؤرخون كذلك عن أهم الأنشطة الاقتصادية التى شهدت الحرية المدنية بالنسبة لأهل الذمة، والتى يأتى فى مقدمتها التجارة، حيث أتاحت لهم حرية الانتقال داخل العالم الإسلامى الإبداع فى هذا الميدان.. والوصول إلى أقصى درجات الثراء.

كذلك لعب أهل الذمة دوراً ملموساً فى العمل بالصيرفة، كما ازداد احتكارهم لهذه الوظيفة خلال القرن الرابع الهجرى بسبب ما شهده العالم الإسلامى من انتعاشة على الصعيد التجارى، حيث شارك النصارى واليهود فى هذا العمل، وبالتالى ازدادت أعدادهم مع مرور الأيام. ولايزال هؤلاء على إجادتهم لهذه الحرفة، إلى يومنا هذا.

وقد يظن البعض أن ملامح الحرية المدنية التى تمتع بها أهل الذمة فى ظل سماحة الإسلام وحكامه ورعاياه.. قد اقتصرت على الأغنياء منهم من المشتغلين بالتجارة وغيرها فقط، بل بالعكس، فقد كشف لنا التاريخ.. أن هناك طوائف عديدة ومختلفة من أهل الذمة قد تمتعوا هم كذلك بهذه الحرية حيث كانت أبواب جميع أعمال المعيشة مفتوحة لأهل الذمة فى كل العصور الماضية ولازالت.

ويقول الجاحظ: العامة فى العراق كانت تأنس للمسيحيين خاصة وتؤثرهم على المجوس، ويرونهم أسلم صدوراً من اليهود.

(١) المصدر السابق.

ويقول أيضاً أنهم كانوا ينهضون بحرف جليلة مثل العطارة والطب، حيث كان منهم أطباء الخليفة والوزراء وعلية القوم آنذاك وأطباء البيمارستانات، حتى استقر فى نفوس الناس أن الطبيب الحاذق لا يكون إلا مسيحياً، كذلك كان منهم كبار المترجمين للثقافة اليونانية، وقد نال مترجموها من السريان أموالاً ضخمة من الخلفاء.

ويقولم المقدسى، فى القرن الرابع الهجرى كان منهم الخياطون والصباغون والأساكفة والخرازون.

وكان القبط فى مصر يعيشون غالباً على الزراعة كما تُرك لهم الإشراف المالى على شئون الخراج وضرائب الأرض والمزروعات، وظل لهم ذلك وحدهم على حد قول الدكتور شوقى ضيف طوال الأزمنة الإسلامية حتى الثلاثينات من القرن الماضى، مما يصور بوضوح اكتمال المودة والتآلف بين المسلمين والقبط فى مصر طوال العصور الإسلامية.

•• التعايش الإجتماعى:

وتلك صورة أخرى من صور التسامح الإسلامى مع أهل الذمة.. وهى تشمل ذلك التفاعل العظيم بين إنسانية أتباع هذا الدين وبين غيرهم من المخالفين لهم دينياً وعقائدياً فى أسمى صوره.. والمتمثل فى هذا العطاء الدائم والمستمر اجتماعياً بين كل الناس وبدون تفرقة سواء دينية أو عنصرية.

هذا التفاعل الذى شمل كل نواحى الحياة، إلى درجة وصلت إلى حد الترابط والتلاحم الذى كان كثيراً ما يظهر وقت الشدة والأزمات.. ولولا إحساس أهل الذمة بالحب والتعاطف والمحبة والتسامح من جانب أقرانهم من الرعايا المسلمين.. لما رأيناهم وعلى مدى أحداث التاريخ كله، فى مقدمة المدافعين عن المصالح العامة.. إلا القليل منهم من أصحاب الهوى من الذين كانوا ولايزالون يميلون إلى أقرانهم من أصحاب الديانات الأخرى، إما حسداً وإما حقداً على ما يناله غيرهم من أهل الذمة من رعاية غير مسبوقة من جانب المسلمين.

ولقد أثبتت حوادث التاريخ فى كل بلد من البلدان الإسلامية عمق الروابط بين إخوانهم، الأمر الذى كان يجعل منهم خير معين لهم فى أوقات النوائب والشدائد . .

وتاريخ مصر على وجه الخصوص به آلاف المواقف التى تجلت فيها تلك العلاقات الأخوية والاجتماعية بين رعايا مصر من أهل الذمة ورعاياها من المسلمين.

إن هذه العلاقات المتينة والروابط الاجتماعية الأخوية بين المسلمين وبين غيرهم من أهل الذمة. . لاشك كانت نتاج ما ناله الذميون من حقوق وحريات فى المجتمع الإسلامى، عرفت باسم «حق المواطنة» والذى يمثل الإطار التطبيقى لما جاء فى هذا الدين الحنيف من تعاليم سامية تدعو إلى بناء مجتمع على أساس من العدالة الاجتماعية، بعيدا عن الظلم الاجتماعى. ولقد استند هذا النظام فى الإسلام على القواعد الأساسية للإسلام من عدل ومساواة[١].

وحينما نعود بالتاريخ إلى الوراء حيث بداية الدولة الإسلامية فى عهد رسولنا ﷺ نجد أن حق المواطنة المشار إليه آنفا قد شمل كافة الحريات التى أتيحت لأهل الذمة، بداية من عصر الرسول ﷺ والذى طبقه على النصارى واليهود فى أرض الحجاز ثم على المجوس عن طريق الجزية والتى بمقتضاها أصبح الذميون رعايا من أبناء الدولة الإسلامية.

هذا الحق قد أتاح لهم فى هذه الفترة المبكرة من حياة الدولة الإسلامية ممارسة مختلف أوجه الحياة العامة فى المجتمع الإسلامى باعتبارهم أعضاء مؤثرين فى هذا المجتمع فساهموا كما سبق أن أوضحنا فى الحياة الاقتصادية.

وبديهى أن ينعكس ذلك على كل مظاهر الحياة الاجتماعية آنذاك. كما ساهم ذلك كثيراً فى نشأة كثير من العلاقات الاجتماعية المتميزة بينهم وبين المسلمين،

(١) نظام المواطنة فى الإسلام ومنجزاته للحضارة العربية ـ بحث عن تاريخ الحضارة الإسلامية ـ إبراهيم العدوى.

إضافة إلى تمتعهم بمكانة اجتماعية أتاحت لهم تكوين الثروات، وحرية الاحتفال بأعيادهم الخاصة[1].

وكما نعرف جميعاً.. فإن هذا التفاعل الاجتماعى لم يقتصر على عصر الدولة الإسلامية الأول.. بل بالعكس فقد ازداد بقوة عبر العصور، خاصة عندما أنس أصحاب البلاد المفتوحة إلى الفاتحين من أهل الإسلام ولمسوا فيهم التسامح والمحبة والإخلاص، والحب لهم ولكل ما يرتبط بهم، ولاتزال تلك الروابط قائمة إلى يومنا هذا، ونحن نراها تزداد وتقوى رغم ما يعتريها فى بعض الأحيان من خمول.. نظراً لتعرضها لبعض الضغوط الخارجية من رؤساء وأصحاب القوة من أهل الذمة، وما نراه اليوم من ادعاءات باطلة عن ارتباط الإسلام بالإرهاب، رغم هذا التسامح، ما هو إلا نوع من هذا الخمول والخمود! والذى سرعان ما يزول ويذوب.

والشىء الذى يثلج صدور كل المتابعين لنا فى الحديث عن تسامح الإسلام مع أهل الذمة اجتماعياً.. أنهم لم يكونوا يعيشون فى مجتمعات خاصة بهم داخل المجتمع الإسلامى.. فلم يوجد فى المدن الإسلامية أحياء خاصة باليهود والنصارى إلا فى النادر القليل، وقد سكنوا مع المسلمين جنباً إلى جنب، بل وكثيراً ما نرى أصحاب الديانات الثلاث يسكنون بجوار بعضهم البعض سواء فى منزل واحد أو شارع واحد، وهذا نابع فى الأساس من رغبة المسلمين أنفسهم، حيث لم يشأ العرب الفاتحون أن يجعلوا أهل الذمة جماعة منبوذة داخل المجتمع الإسلامى.

ليس هذا فقط، بل لقد امتد اهتمام حكام الدولة الإسلامية بأحوال أهل الذمة إلى الرعاية الاجتماعية شأنهم فى ذلك شأن كل رعاياهم من المسلمين.

وفى ظل هذا التسامح وهذه الرعاية فقد تمتعوا بالمظلة الاجتماعية وتطبيق التكافل الاجتماعى عليهم وعلى طوائفهم مثل المسلمين وبدون تفرقة.

---

(١) المصدر السابق.

وهناك العديد من الآيات القرآنية التى حضت على هذا التعايش الاجتماعى بين المسلمين وبين غيرهم من أهل الذمة. من ذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ سورة الممتحنة الآية ٨.. وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾.

وكذلك هناك العديد من الأحاديث النبوية الشريفة، والمواقف النبوية المشهورة والتى تبرهن دوماً على فاعلية هذا التعايش الاجتماعى بين المسلمين وأهل الذمة.

فقد روى أنه عليه الصلاة والسلام كان يحضر ولائمهم ويعود مرضاهم ويشيع جنائزهم ويزورهم ويكرمهم، وذلك وفق ما سجله ابن القيم الجوزية فى كتابه «أحكام أهل الذمة»..

وروى كذلك أنه مرت جنازة أمام رسول الله ﷺ فقام لها تعظيماً، فقيل له: إنها جنازة يهودى، فقال: «أليس إنساناً».

كما روى أنه لما زاره عليه الصلاة والسلام وفد نصارى نجران فرش لهم عباءته الشريفة وأجلسهم عليها.. وكذلك أوصى الجار المسلم بأن يحسن إلى جاره غير المسلم، وأجاز التعامل معهم فى البيع والشراء.

●● التعايش الفكرى:

ولما كان دين الإسلام فى الأصل قد بنى على العلم والمعرفة مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿علم آدم الأسماء كلها﴾ وقوله تعالى أيضا: ﴿إقرأ باسم ربك﴾ فقد كان لابد أن يمتد هذا التسامح مع أهل الذمة إلى نواحى الفكر والمعرفة والعلوم والفنون والآداب.

وفى تعليل مهم كتبه الدكتور شوقى ضيف عن أسباب انتعاش التعايش الفكرى بين المسلمين وبين غيرهم من أهل الذمة؛ رأى فيه أن ذلك يرجع إلى ما أحدثه الإسلام من امتزاج عظيم بين المسلمين وغيرهم، لما رأوا فى عقيدته البساطة واليسر وفى شريعته من إخاء ومساواة، مع محو جميع الفروق الطبقية والاجتماعية بين الأفراد فى الأمة الواحدة.

هذا الامتزاج القوى الذى حدث بفعل التسامح الإسلامى.. جعل الكثرة الكثيرة من شعوب الأمم المفتوحة يعتنقون الإسلام، وأن من ظلوا على دينهم يشعرون تجاه المسلمين وحكامهم بأخوة كريمة حتى لتراهم يرحبون برغبة إخوانهم المسلمين لا فى التعرف على المعارف التطبيقية المفيدة فى تخطيط المدن وعمارة المبانى واستغلال الأرض فحسب، بل أيضا فى التعرف على المعارف النظرية البحتة[1].

وكانت الثقافة المنتشرة آنذاك فى تلك البلاد المفتوحة هى الثقافة الهلينية، وهى مزيج من الثقافة اليونانية وثقافات شرقية أخرى..

وبحكم ما بثه الإسلام فى نفوس أتباعه من العرب من شغف بالعلم والمعرفة، فقد أخذوا على عاتقهم منذ نجاحهم فى فتح هذه البلدان فى التعرف على هذه الثقافات والأخذ بها، ثم التفاعل معها والمزج بينها وبين الثقافة العربية.

ولقد بدأت هذه الخطوة بتشجيع المسلمين للترجمة من كل اللغات الأجنبية المعترف بها آنذاك، والتى قام بها قطاع كبير من أهل الذمة.

ولم تتوقف هذه الترجمة عند فرع بعينه من فروع المعرفة. بل شملت كل ألوان المعارف.. ثم بدأت خطوة أخرى أكثر أهمية من خطوات الترجمة، تمثلت فى العكوف على دراسة هذه العلوم ثم الأخذ بأعظم ما فيها.. والإضافة إليها، خاصة فى مجالات الطب والعلوم والرياضيات، وقد نبغ علماء عرب

(١) د. شوقى ضيف ـ المصدر السابق.

كثيرون فى هذه المجالات ونالوا شهرات عالمية، كما لايزال التاريخ يحظى بالحديث عن إسهاماتهم فى هذه العلم، جنباً إلى جنب مع علماء أهل الذمة.

ويرى المؤرخون أن أكثر سنوات ذلك التفاعل الفكرى بين المسلمين وبين أهل الذمة قد بدت بوضوح فى عهد هارون الرشيد ووزرائه من البرامكة، إذ أنشأ لترجمة العلوم الأجنبية مؤسسة أسماها دار الحكمة. وتعاون معه فيها كبار السريان المستعربين الذين كانوا يحسنون اللغة العربية، واختار لرئاستها نصرانى يدعى «يوحنا بن ماسويه» وكان طبيباً نسطورياً استطاع عن طريق الاستعانة بغيره من النصارى من العلماء والأطباء نقل آلاف الكتب العلمية إلى اللغة العربية.

كما بلغت هذه الموجة الحادة من التعايش الفكرى بين المسلمين وبين أهل الذمة أقصى غاياتها فى عهد المأمون بن الرشيد، إذ حول دار الحكمة لأهل بغداد إلى ما يشبه معهداً علمياً كبيراً يختلفون إليه، وألحق به مرصداً فلكياً مشهوراً، كما أخذ فى إرسال البعثات العلمية إلى نواحى وبلاد كثرة، وكان من بين أعضائها أيضا فريق كبير من أهل الذمة.

وهناك مئات الأسماء من أبناء النصارى واليهود من الذين لمعوا فى ميادين العلم والطب بالتعاون مع العرب المسلمين، مما كان له أكبر الأثر فى ظهور علماء مسلمين نابغين فى مختلف هذه العلوم مثل ابن سينا والفارابى وجابر بن حيان وآخرين من علماء المسلمين الذين وضعوا أسس الكثير من العلوم التى لايزال صداها ماثلاً أمامنا وأمام العلماء فى الغرب إلى يومنا هذا.

ولم يقتصر هذا التعايش الفكرى بين المسلمين وأهل الذمة على العلوم التجريبية والطب والرياضيات فقط، بل امتد كذلك إلى علوم الكلام مثل الفلسفة وعلوم اللغة والتى قامت فى الأساس على المناظرات والمحاورات والمجادلات التى كانت تصور فعلاً تعايشاً فكرياً إلى أبعد الحدود، وقد ازدهرت

على حد قول الدكتور ضيف بفضل عالمية الإسلام الذى وسع فى دياره كل الملل والنحل إلهية وغير إلهية متعاملاً معها على قدم المساواة.



وما نريد أن نؤكده فى هذا السياق أن التفاعل والتعايش الفكرى بين المسلمين وبين أهل الذمة لم يتوقف لحظة من عمر الزمن، بل واصل مسيرته وبقوة على مرور الأيام والسنوات، مع ازدياد إحساس هؤلاء الذين لم يكونوا يدينون بدين الإسلام بسماحة هذا الدين وأهله، وفى ظل بقية ما كانوا يتمتعون به من حريات سواء دينية أو مدنية وما كانوا ينعمون به من رعاية اجتماعية على قدم المساواة مع غيرهم من رعايا المسلمين.

ولا شك كانت المحصلة النهائية لهذا التفاعل العظيم بين المسلمين وبين أهل الذمة فى مختلف المجالات قيام حضارة عظيمة نشر خلالها الإسلام أجنحته في كل فروع الحياة بما يفيد الإنسان نفسه، بصرف النظر عن الدين أو العرق.

هذه الحضارة التى استمدت كل مقوماتها سواء العلمية أو النظرية أو التطبيقية من تعاليم الإسلام ونصوص آياته القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة. وقد نعم خلالها كل رعايا وأبناء الدولة الإسلامية بالحب والحرية والإخاء والمساواة؛ بما لم ينعموا به من قبل فى ظل أية دولة أخرى أو ديانة أخرى، وذلك حديث آخر سوف نخصص له كل أوراق الفصل القادم.

الفصل الثالث:

قبس من أنوار الحضارة الإسلامية.. شرقاً وغرباً

إنها كذلك سوف تكون فقط.. ومضات نورانية من أسرار الحضارة الإسلامية، أو هى قبس من أنوارها.. كما يشير إلى ذلك عنوان الفصل.

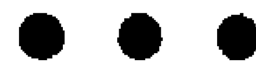
والسبب فى ذلك أن حديث هذه الحضارة وإنجازاتها منذ انطلاق صيحة الحق بالإسلام وبزوغ نوره فوق ربوع مكة والحجاز، لن يوفيه حقه كل هذه الأوراق.. باعتبارها أعظم حضارة إنسانية استهدفت حياة الإنسان ورفاهيته والعمل على تقدمه ورقيه وسعادته بعيداً عن كل ما يعرضه للأزمات أو الحروب، إلا ما فيه مصلحة ذلك الإنسان بصرف النظر عن اختلاف العقيدة. وتلك صفة تنفرد بها الحضارة الإسلامية دون غيرها، لأنها حضارة قوامها العلم والأخلاق ولذلك نراها قد استهدفت الإنسان بذاته وسلطانه، وماضيه وحاضره ومستقبله، مهما اختلفت عقيدته، أو وطنه أو وضعه الاجتماعى..

ونراها فى هذا الشأن قد استفادت من غيرها من الحضارات، كما أضافت بالتالى إليها الشىء الكثير.. وكان محركها الأساسى هو دين الإسلام، ذلك الدين الذى اختاره رب العالمين لسعادة الإنسان فى الدارين، فى الحياة الدنيا وفى الآخرة!

وقد يتساءل البعض، ولهم الحق فى ذلك: إذا ما كانت تلك هى مقومات الحضارة الإسلامية، فلماذا إذن لم تستمر طويلاً؟!.. أو تتفوق على الحضارة الأوروبية الحديثة؟

إن الإجابة على هذا التساؤل طويلة وعظيمة.. ولا مجال لها فوق هذه الأوراق، لكننا مع ذلك سوف نحاول الاقتراب من بعض ملامحها بالقدر الذى

تسمح به المساحة المتاحة من أوراق ذلك الفصل الذى هو بين أيدينا كختام لهذه الرحلة الطويلة. .



إن تراجع الحضارة الإسلامية، وبدون الدخول فى مناقشات جانبية قد تفسد ما نرمى إليه. . كان سببه الأساسى هو تراجع أصحاب هذا الدين عن تعاليم دينهم، والجرى وراء كل ما كان يبعدهم عنه، تقليداً لأصحاب تلك الديانات. . من الذين قذفوا بدينهم خلف ظهورهم!.

ولأن حضارة العرب والإسلام، قد قامت فى الأساس على قواعد من الدين الإسلامى فإن الابتعاد عن تلك القواعد. . بل والعمل على هدمها، كان من أهم هذه الأسباب التى أدت إلى تراجع تلك الحضارة.

ولكل صاحب عقل راجح فرصة لكى يبحث عن هذه الأسباب والتى سوف يجدها فى أسباب نهضة الحضارة الأوروبية ذاتها، عندما أخذت بأسباب الحضارة الإسلامية وأصولها ثم أضافت إليها، وأيضا وفقا لتصورات الإنسان المسلم سواء فى الدين أو فى الدنيا.

وهناك ملايين الأدلة التى تثبت لهؤلاء العقلاء. . أن حضارة الغرب، قامت بالفعل على القواعد المتينة لحضارة الإسلام. مع شىء من الإضافات المبهرة، والتى اعتمدت فى الأساس على عبودية الإنسان للمادة، وعشقه للدنيا وابتعاده عن الآخرة، ولذلك نحن وغيرنا نراها حضارة هشة. . حيث قامت فقط على الجانب المادى فى حياتنا، وبالتالى فقد أهملت الجانب الروحى، على عكس الحضارة الإسلامية التى نجحت فى تحقيق تلك المعادلة الصعبة والتى استهدفت صالح وحياة الإنسان، فى ظل تحقيق سعادة غامرة، وعالم يعيش فيه بلا مشاكل أو اضطرابات.



إن الحديث عن الفروق الكثيرة والكبيرة بين حضارتنا الإسلامية وغيرها من الحضارات الإنسانية سواء القديمة أو الحديثة. . خاصة الحضارة الأوروبية أو الأمريكية الحالية، يطول ويتشعب، بما يخرجنا ربما عن موضوع تلك الأوراق، ونحن نريد أن نبعث الطمأنينة فى نفوس المتابعين لنا. . حيث نقول إن الإجابة على السؤال السابق، سوف يجدون صداها بقوة فى الحديث عن الحضارة الإسلامية والتى سوف نتناولها من مختلف الزوايا وذلك قبل أن نستعرض بعض أقباسها المنيرة، والتى يتمتع بها الإنسان الآن ومنذ زمن بعيد.



ولقد رأينا فى هذا السياق أن حديث قبس هذه الحضارة لا يمكن أن يكتمل بدون الحديث عن أشياء وموضوعات وقضايا ارتبطت كثيراً بالحضارة الإسلامية مما جعلها أكثر تميزا عن غيرها من الحضارات سواء السابقة أو اللاحقة.

وكذلك فقد كان لزاماً علينا مثلاً أن نتحدث عن مفهوم الحضارة، وهل تغير ذلك المفهوم عما كان يدعو إليه الإسلام من واقع لابد من تحقيقه كهدف أساسى لصالح الإنسان، بصرف النظر عن دينه أو عرقه.

وكذلك كان لابد لنا أيضا أن نتحدث عن أصول وقيم الحضارة الإسلامية، بما يوضح لنا أهم الفروق التى جعلت من تلك الحضارة ذات أصالة لا يمكن تكرارها مهما تعددت الثقافات أو اتحدت.

ثم أخيراً كان علينا كذلك ضرورة الحديث عن المنتج الحضارى الإسلامى وأهميته، وموقعه ودوره فى خدمة الإنسان. من منطلق أن هذه الحضارة وكما وصفها الدكتور محمود حمدى زقزوق هى فريضة إسلامية شأنها فى ذلك شأن الفرائض الأخرى مثل الصلاة والصوم وخلافه.

ولذلك فإن العمل من أجل التعريف بتلك الحضارة ودورها، بل ومحاولة بعثها من جديد إنما يندرج تحت مفهوم عبادة الله سبحانه وتعالى. ولسوف يكون مسك ختام هذا الحديث. . بيانا سريعا لأهم رواد هذه الحضارة، ونحن نذكرهم

بكل الخير هنا على سبيل إنعاش الذاكرة الإسلامية، وبالتالى محاولة تقليد أدوارهم فى صنع تلك الحضارة، بدلاً من تقليد رواد الحضارات الأخرى.

●● مفهوم الحضارة:

مما لاحظناه فى مسيرة تتبعنا الواعى لتاريخ الحضارة الإسلامية، أن هناك بعض المستشرقين، سواء قديماً أو حديثاً. يصرون إصراراً غريباً على إنكار الحضارة الإسلامية ووجودها بالمرة!!. ولاشك أن ذلك ينبع فى المقام الأول من تلك النظرة التعصبية البغيضة لكل ما هو إسلامى أو عربى.

والغريب، ورغم ما قدمته تلك الحضارة العظيمة من خدمات جليلة للإنسانية على مدى عدة عصور، إلا أن هؤلاء المستشرقين وبعض أشياعهم للأسف من المسلمين.. يتصورون إلى حد اليقين أن المسلمين لم يكونوا فى زمن من الأزمنة أصحاب حضارة، بل هم فقط من الذين نقلوا تلك الحضارة عن غيرهم!!.

ولهم فى هذا الرأى عدة استنتاجات يلجأون إليها كثيراً لتأييد وجهة نظرهم تلك. فهم يشيعون دائماً أن هذا الدين قد نزل فى بيئة صحراوية، لم يعرف أصحابها شيئاً عن المدنية، وذلك على عكس ما كان بالنسبة للديانتين اليهودية والمسيحية، حيث ظهرتا فى بيئة مدنية كانت متصلة بحضارات أهل ذلك الزمان!

وهناك ردود علمية وعملية كثيرة استطاع علماء من المسلمين تقديمها كدفاع ضد هذه الآراء المغرضة، ولعل من أقربها فهماً إلى عقل هؤلاء، أن العرب وكما يقول بذلك تاريخ الإنسانية، كانوا كقبائل منتشرة فى الجزيرة العربية، قد اضطروا فى بعض أزمنة القحط والجدب.. إلى الهجرة خارج هذه الجزيرة، على الحدود المتاخمة للمدن خاصة المطلة على بلاد الشام والعراق.. بل إن هناك قبائل عربية كثيرة أخرى قد استوطنت تلك البلاد.. وتفاعلت مع سكانها الأصليين سواء، من المتصلين آنذاك بالحضارة الرومانية أو الفارسية..

ولاشك كان من هؤلاء العرب بعض الذين شاركوا فعلاً فى صنع هذه الحضارات، وتاريخ الإنسانية به الآلاف من النماذج العربية الأصل والتى لعبت دورها العظيم فى إنعاش تلك الحضارات بالقيم والمبادئ العربية المعروفة.

وهناك من المؤرخين الذين يرون. . أن معظم سكان الشام والعراق، إنما جاءوا من صلب هذه القبائل التى هاجرت من أرض الحجاز فى فترة زمنية مبكرة. . هذه واحدة. أما الثانية فإن سكان هذه الجزيرة الصحراوية ومن الذين بقوا بها حتى ظهور الإسلام. . إنما كانوا على اتصال دائم بأهل تلك المدن وأصحاب هذه الحضارات. ويشهد بذلك التاريخ نفسه، وما رواه من وقائع ارتبطت بتلك الرحلات التجارية والاقتصادية التى شهدت ذلك الاتصال الدائم بين عرب الجزيرة العربية. . وأهل الشام ومصر والعراق وبلاد فارس. . مما كان يعنى وجود تفاعل مستمر بين العرب آنذاك وبين غيرهم من أهل الحضر فى تلك البلدان. وقد شهد هذا التفاعل وكما سبق أن ذكرنا العديد من الصور الحضارية الراقية؛ ولم يتوقف فقط عند حاجز التجارة والاقتصاد. . بل كان هناك تعاون وثيق بين العرب وبين جيرانهم فى مجالات الطب والعلوم والحساب والفلك.

وهناك آلاف الأمثلة على وقوع هذا التعاون. . نذكر منه مثالاً واحداً عاصره رسول الله ﷺ. . وذلك عندما تصدعت جدران الكعبة قبل ظهور الإسلام بسنوات. . بفعل السيول والأمطار الغزيرة التى هطلت على شبه الجزيرة فى هذه الآونة! فما كان من أهل مكة إلا الاجتماع على ضرورة هدم تلك الجدران ثم إعادة بنائها من جديد.

وقد شجعهم على ذلك عثورهم على أخشاب لإحدى السفن الغارقة فى البحر الأحمر وبالقرب من مدينة جدة، وبعد المشاورات قرروا استغلال تلك الأخشاب فى إعادة هذا البناء، ورفع قواعد البيت العتيق وتسقيفه بتلك الأخشاب.

وكان لهم ما أرادوا. . حين استعانوا بأحد المهندسين أو البنائين اليهود من

الذين كانوا يقيمون خارج الجزيرة العربية، واسمه «نسطور» للمشاركة فى إعادة بناء الكعبة. .

فعلى الرغم من الادعاء بأنهم كانوا أمة بدوية، وهمجية على حد قول أحد المستشرقين المغرضين، إلا أنه كانت لها كل تلك المقدرة على استقدام الخبراء والاستعانة بهم فى تصريف بعض شئونهم!.

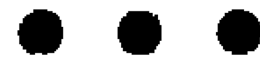
وهناك بخلاف ذلك آلاف الأمثلة الحيوية والتى تبرهن على استعداد العرب الحضارى ثقافيا وعلميا وفكرياً وفنياً، وقد جاء الإسلام كدافع عظيم لهم للسير فى طريق تلك الحضارة متخذين من تعاليمه النبراس المضىء، والذى أنار لهم ذلك الطريق للسير فيه إلى نهايته.

هذا الامتزاج بين العروبة وبين الإسلام، قد قدم للإنسانية أعظم حضارة عرفتها البشرية، وفى كل المجالات، وكانت بالفعل حضارة متميزة عن غيرها من كل الحضارات.

ولا شك أن التنويه عن هذا الخطأ العظيم الذى وقع فيه ولايزال فريق كبير من المستشرقين. . كان ولابد منه كبداية للدخول فى الحديث عن مفهوم الحضارة، التى عرفها العرب والمسلمون، مع انطلاقة أول كلمة من الوحى الذى نزل به جبريل الأمين عليه السلام حين بلغ عن رب العزة رسوله الكريم ﷺ: **«إقرأ باسم ربك الذى خلق»**.

ومما يؤكد ما توصلنا إليه بشأن تأصل ذلك المفهوم الحضارى عند العرب حتى من قبل نزول الإسلام ما أشار إليه الدكتور محمد الجوهرى فى قوله: «إن لفظ الحضارة من الألفاظ التى كانت معروفة عند العرب منذ القدم، وهى تعنى الإقامة في الحضر وهى المدن والقرى والريف، وهى غير البداوة التى تعنى الترحال والتنقل، وهذا يعنى أن الحضارة كانت تعنى الإقامة فى المساكن المبنية من الطين والحجر والأرض المنزرعة حول الأنهار والآبار، مع ما يترتب على تلك الإقامة

من التعاون والتآزر وتبادل الأفكار والمعلومات والرقى المادى والمعنوى فى الأخلاق والطباع والعقائد ووسائل الحياة المختلفة»[1].



ولقد شغل هذا المفهوم علماء كثيرين من العرب ومن غيرهم، وعلى رأسهم كل من ابن خلدون وول ديورانت. . حيث اجتهد كل منهما مع فريق آخر من أتباعهم من العلماء فى تفسير هذا المفهوم ومعناه لغوياً وثقافيا وفكريا وصولاً لارتباط المسلمين به ومدى استفادتهم منه!

وقد توصلوا فى هذا الاتجاه إلى تقسيم تعريف مفهوم الحضارة إلى ثلاثة اتجاهات، ولسوف نلاحظ جيداً موقع الحضارة الإسلامية من تلك الاتجاهات الثلاثة.

لقد ذكر الدكتور محمد عبد القادر الخطيب فى كتابه «دراسات فى تاريخ الحضارة الإسلامية» أن تلك الاتجاهات المعنية هى: الأول ويركز فيه أصحابه فى تعريفهم للحضارة على الجانب المادى للإنسان والحياة، أما الاتجاه الثانى فيركز فيه أصحابه على الجانب الروحى أو المعنوى للإنسان، حيث يعتقد هؤلاء أن الحضارة هى كل ما يثرى جانب الروح فى الإنسان ويرفعه إلى المكانة التى تليق به من حيث كونه إنسانا له قلب وضمير وخلق. والحضارة لذلك ما هى إلا التصورات والقيم والمبادئ التى تعصم الإنسان من الخطأ.

والاتجاه الثالث لمفهوم الحضارة، فهو الاتجاه الذى يجمع بين الجانب المادى والمعنوى للإنسان والحياة، فمفهوم الحضارة لدى هؤلاء عام ويشتمل على العقائد والتقاليد الخلقية والإنتاج الفكرى والطابع السياسى والاقتصادى والاجتماعى والفنى وكذلك صور الإنتاج المادى من المخترعات والعمائر والآلات وهكذا.



(١) الثقافة العربية والحضارة الإسلامية ـ مصدر سابق.

والسؤال الذى يفرض نفسه فى هذا السياق هو: وماذا عن المفهوم الحضارى للإسلام؟. أو ما هو مفهوم الحضارة الإسلامية؟!. هذا السؤال ذاته قد شغل أيضا العديد من المفكرين الإسلاميين فى كل العصور، الأمر الذى دفعهم لتأليف عشرات الكتب للإجابة عليه، وقد اجتمعوا على أمر واحد هو نجاح هذه الحضارة فى تحقيق جانبيها المادى والمعنوى بما يعنى أنها قد استطاعت دون غيرها أن تجمع بين كل متطلبات الإنسان فوق سطح الأرض وفق ما نادت به تعاليم ذلك الدين الحنيف الذى يؤمن فى المقام الأول بقيمة الإنسان ودوره فى تعمير الأرض.

وهناك عشرات الآيات القرآنية التى تحض الإنسان على السير فى نهج الحضارة والتمسك بأصلها وقيمها.. لتحقيق أقصى الغايات التى يتمناها الإنسان لنفسه ولغيره.

وهذا ما دعا مفكرا كبيرا مثل الدكتور حمدى زقزوق ليقول بأن الحضارة ما هى إلا فريضة من فرائض الإسلام التى ينص عليها ذلك الدين الحنيف، وهذا بالضبط ما جعل للحضارة الإسلامية ومفهومها ذلك الاختلاف الكبير بين غيرها من الحضارات.

إذ يكفى أن نقول فى هذا السياق أنها الحضارة التى تميزت بالروح الدينية والمدنية العالية والتى انعكست آثارها على كل مجالات الحضارة الإنسانية المتعددة، وكذلك تفردها بأنها تقوم على عمارة الدنيا.. إذ ثبت أن للمسلمين فضلا كبيرا فى تطوير المجالات المختلفة التى تتعلق بعمارة الأرض وتطوير الزراعة والصناعة. وكذلك تميزت هذه الحضارة عن غيرها ـ وهذا أيضا يدخل ضمن الحديث عن مفهوم الحضارة بمعناه الواسع ـ بأنها قامت ولازالت تقوم على وحدة الثقافة الإسلامية والتي انصهرت بداخلها ثقافات كل الشعوب التى دخلها الإسلام مثل الثقافات الفارسية والهندية والعراقية والفرعونية والحضارات اليونانية والرومانية والبيزنطية. بالإضافة إلى الحضارة أو الثقافة العربية التى كانت هى الأساس الذى بُنيت عليه الحضارة الإسلامية العريقة.

•• قيم الحضارة الإسلامية وأصولها:

وبما أن الإسلام هو خاتم الرسالات السماوية. . لذلك فقد جاء شاملاً لأمور الدنيا والدين، وشاملاً كذلك لحياة الإنسان المادية والروحية. فقد جاء الإسلام وفق ما توصل إليه جموع المؤرخين جامعاً لخلاصة الأديان كلها. . لذلك نراه لم يترك صغيرة أو كبيرة فى حياة الإنسان وفى حياة بناء الأفراد إلا عالجها مرة تفصيلاً وأخرى إجمالاً، لذلك فقد جاءت قيم الحضارة الإسلامية قيماً شاملة لمتطلبات كل جوانب حياة الإنسان، يغلفها ويظللها الإيمان بالله الواحد الأحد، والذى خلق ذلك الإنسان وسخر له سبل هذه الحياة ويسرها، مصداقاً لقوله تعالى فى سورة فصلت: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ الآية ٥٣.

من هنا نرى أن أهم القيم التى بُنى عليها الإسلام حضاريا هى التى تدور فى فلك الإنسان ومصلحته وعمارته فى الأرض. وكذلك ما ارتبط بها من تعاليم دينية عظيمة أتى بها هذا الدين العظيم، ثم النظرة المحايدة لأهداف تلك الحياة.

والحديث عن الإنسان وعن الدين كان من أهم الأحاديث التى شغلت أيضا قطاعاً كبيراً من المفكرين من الفلاسفة. . وكان لبعضهم فيما عالجوه من قضايا شطحات بعقولهم بعيداً عن مسار حديثهم المنوه عنه والمرتبط بالحضارة الإنسانية والإسلامية.

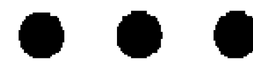
وبنظرة موضوعية لمكانة الإنسان فى الدين الإسلامى سوف يتضح لنا عظمة هذه الحضارة التي أكدت معانى ذلك الإنسان ودوره فى صناعتها، بشرط أن تكون وجهته فيما يصنع من ابتكارات إلى قدرة الله الذى علم الإنسان مالم يعلم.

وهنا يبرز الخلاف الكبير بين قيم الحضارة الإسلامية وقيم غيرها من

الحضارات التى أخذت تدعى أن نتاجها فيما توصلت إليه من ابتكارات ووسائل راحة للإنسان، إنما مآله العقل وحده! وبالتالى ليس هناك مجال لوجود الله أو علاقته بهذا التقدم!!!.

وللأسف فإن جميع مقومات الحضارة الغربية وكذلك مفاهيمها الآن وبالأمس تستمد وجودها من هذا الاعتقاد الخاطئ الذى يرى أن ربط الدين بالإنسان إنما يساهم فى تعطيل مسيرته الحضارية! وهو ما جعلهم ينظرون أيضا إلى دين الإسلام على أنه دين يعطل مسيرة الحضارة.

ونراهم كثيراً ما يرددون ذلك.. بل ونجد هذا الباب هو المدخل الذى يضحكون به على قطاع كبير من المسلمين حتى من علمائهم.. وقد صدقهم البعض ولايزالون.. رغم ضيق أفق هؤلاء من أصحاب ذلك الاعتقاد، بل واقتناعهم المريض بأن ما يقولونه هو فقط مجرد كلام يحاولون من خلاله تضليل أصحاب هذا الدين والعمل على زيادة الكراهية له فى نفوسهم، كنوع من الضغوط المتنوعة التى تهدف إلى الترويج لأفكار دينهم، والذى للأسف يحسبونه هو دين الحضارة والمدنية من دون الأديان الأخرى!!



وحين نعود للحديث عن هذه القيم تفصيلاً، نجد أن الإنسان كما سبق أن ذكرنا يحتل قمة هذه القيم.. من وجهة نظر الإسلام. باعتباره العمود الفقرى للحضارة الإنسانية فى ظل تعاليم هذا الدين العظيم.

وقد منح الله هذا الإنسان نعماً كثيرة، لاستخدامها فى صنع هذه الحضارة وبالتالى لتحقيق سعادة كل الجنس البشرى فى الحياة الآمنة المطمئنة.

وهناك الآلاف من المفكرين والفلاسفة من الذين يرون أن هذه النعم المتعددة يأتى فى مقدمتها العقل الذى منحه الله للإنسان كأعظم تمييز له عن بقية المخلوقات الأخرى. وذلك من منطلق أن الله تعالى قد اختار الإنسان بجنسه المعروف دون بقية مخلوقاته كى يتحمل الأمانة المتمثلة فى التكليف والمسئولية،

وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ﴾ سورة الأحزاب الآية ٧٢.

هذا الاختيار بالتكليف، نابع فى الأساس من تمييز الإنسان بالعقل، الذى خلقه رب العالمين، حتى يستطيع ذلك الإنسان تحمل تبعات هذا التكليف، ولقد استطاع الإنسان بهذا العقل.. الاختيار ما بين الشر والخير والنافع الضار.. كبداية حقيقية لإقامة حضارة مبنية على إرادة الاختيار لصالح المجموع. كما استطاع الإنسان بهذا العقل أيضا أن يبحث وينقب ويفهم ويدرك العلاقة بين الأشياء، كما استطاع فى الوقت نفسه اكتشاف القوانين التى تحكم الكون، ويدرك الأسباب والمسببات.

وكذلك كان العقل هو موطن العلم الذى هو مفتاح الحضارة الإنسانية، سواء العلم التطبيقى أو التجريبى أو العلوم النظرية.

وإذا ما أمعنا النظر طويلاً فى أهمية العقل لحياة الإنسان وحياة المسلم بشكل خاص.. فسوف نجد أنه كما يعتبر من وجهة نظر العديد من العلماء موطن العلم والمعرفة.. نجده كذلك هو الآلة التى خلقها رب العالمين.. للتعرف على وجوده وقدرته وقوته وجلاله أيضا. وقد ربط الله تعالى بذلك ما بين قدرة العقل فى الوصول إلى قيم الحضارة وبين الوصول إلى الوحدانية المنشودة والتى يساندها القلب فى ذات الوقت.

إن حجة الإسلام الإمام الغزالى يصف العقل على حد قول الدكتور زقزوق بأنه: «نموذج من الله» كما يصفه الجاحظ بأنه: «وكيل الله عند الإنسان».

ونظراً لارتباط العقل بالعلم والمعرفة باعتباره المعول عليه وعليها فى إعمار هذا الكون وصنع الحضارة فقد جعله الله فريضة من فرائض الدين، وقد جاء فى

الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ: «من سلك طريقا يلتمس به علماً سهل الله به طريقاً من طرق الجنة، فإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم وإن العلماء هم ورثة الأنبياء». صدق رسول الله ﷺ.

ولقد صاحب العقل وارتباطه بالعلم والمعرفة رغبة أكيدة فى التمتع بالحرية فى الاختيار. . هذه الحرية التى أقرها الإسلام قد جعلها أساس التكليف، وبالتالى فكانت في الوقت نفسه الأساس الذى بُنيت عليه الحضارة الإسلامية التى استهدفت حرية الإنسان وصلاح أحواله فى الدنيا والآخرة.



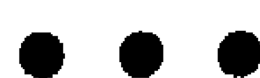
أما ثانى ملكة من ملكات الإنسان التى خلقها الله تعالى كميزة وكنعمة عظيمة له من نعمه المتعددة على خلاف كل المخلوقات. . فنقصد بها ما بداخل الإنسان من أحاسيس ومشاعر طيبة فى غالبيتها مادامت بعيدة عن مسار الشيطان، إذ استطاع الإنسان ولايزال من خلال هذه الأحاسيس والتى مزجها بالعقل واختياراته، أن يمهد لقيام حضارة إنسانية عظيمة الشأن. . تهدف كذلك لتحقيق صالح الإنسان وسعادته فى الدنيا والآخرة، ولولا تلك الأحاسيس المتنوعة بداخل الإنسان لتحول فى لحظة من اللحظات إلى آلة صماء. كما يعود إلى تلك الأحاسيس فى الوقت نفسه ظهور ملكات الإنسان العقلية الممزوجة بالروحانية والحب والإخلاص. كما ساهمت تلك الأحاسيس في ظهور أنواع من الفنون والآداب استخدمها الإنسان لتهذيب أخلاقياته، ورفع معنوياته ودفعه إلى الأمام فى ظل ثروة علمية ربما قضت عليه وعلى أحلامه إذا ما تجردت من تلك المشاعر وهذه الأحاسيس الإنسانية التى خلقها الله جنبا إلى جنب مع العقل.

ولاشك يعتبر قلب الإنسان هو أعظم مصادر تلك الأحاسيس، ومن خلال خفقاته المتعددة ظهرت حضارة إنسانية ملؤها المشاعر، خاصة فى ظل الدين الذى

يدعو إلى تنميتها جنبا إلى جنب مع العقل وانطلاقاته سواء فى عالم الحقيقة أو فى الواقع أو الخيال.

ولنا أن نتصور تلك القيم العظيمة التى بُنيت عليها الحضارة الإسلامية، والتى امتزجت بالعقل والمعرفة.. وبالأحاسيس الإنسانية والمشاعر الطيبة مما أدى فى نهاية المطاف إلى ظهور حضارة تميزت ولازال هذا التميز قائماً، على الأقل بداخل صدور وجنبات المسلمين من أصحاب هذه الحضارة وبصدور أحفادهم من المسلمين الجدد من الذين يحاولون قدر إمكاناتهم الآن.. اللحاق بهذا الركب الذى تأخروا عنه كثيراً!

ولسوف يصلون إليه بإذن الله فى أقرب وقت يتاح لهم، ذلك لأن بذور تلك الحضارة مازالت تنبت فى قلوبهم وفى صدورهم وعقولهم، وربما تأخر وصول الماء بعض الأيام أو السنوات إلى هذه البذور مما عرضها إلى الجفاف أو إلى التلف المؤقت فى بعض الأحيان!



وكان لابد مع وجود كل من العقل والأحاسيس ضرورة وجود أداة أو أدوات تترجم ما فى داخل صدور وعقل وقلوب المسلمين من إشعاعات حضارية استمدت جذوتها من الإسلام الحنيف، هذه الأداة خلقها الله فى صورة عضلات مفتولة، تبدو لكل منا دائماً فيما يقدمه الإنسان من أعمال يدوية تبدأ بها حضارته قديما.. ثم استغنى عنها بعض الوقت عندما أسعفه العقل فى مجال الاختراعات، فصنع الآلات التى يستخدمها عوضاً عن عضلاته وقوته الجسمانية.

وكذلك نرى هذه النعم العظيمة متمثلة فيما يكتبه الإنسان من علوم ومعارف، باعتبار تلك العضلات هى الناقل الأمين لأفكار الإنسان، وتدوينها فوق الأوراق أو داخل المعامل.

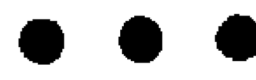
وفوق كل ذلك، فقد خص الله تعالى الإنسان.. بوسائل يتنقل بها هنا

وهناك، مثله فى ذلك مثل بقية المخلوقات.. وكانت تلك الوسائل هى غايته أيضا فى قديم الأزمان، من قبل اكتشافه للحيوانات التى بدأ يستخدمها فى التنقل.. ثم استغنى عنها أيضاً عندما دله عقله على المزيد من الاختراعات التى ارتبطت بالتنقل والأسفار البعيدة.

ولقد لعب كل ذلك دوره فى تنمية وصنع الحضارات والتى استهدفت فى المقام الأول حياة الإنسان وسعادته فى الأرض.

وقد أوصى الله تعالى من خلال تعاليم الأديان وخاصة دين الإسلام، ذلك الإنسان كي يحافظ على هذه النعم، بل ويعمل على تنميتها واستمرارها لصالح حياته وحياة الآخرين.

ولا تجد دينا مثل الإسلام، وهو الدين الذى حرص كل الحرص على سلامة العقل والأبدان، وأوصى كل البشر بالعناية بها.. باعتبارها سبيله نحو الرقى والتقدم والازدهار، وبالتالى صنع الحضارات.



ولو بحثنا معًا عن مكانة الجناح الثانى من أجنحة قيم الحضارة الإسلامية، سوف نكتشف أن الدين يلعب دوراً أساسياً فى صناعة هذا الجناح الذى لولاه لما استطاع الإنسان خاصة المسلم من التحليق فى آفاق حضارته العظيمة.

وكما اختلف المؤرخون والفلاسفة والمفكرون فى حديثهم عن الإنسان.. كقيمة حضارية مهمة، فقد اختلفوا كذلك فى حديثهم وتعريفهم للدين وأهميته فى مسار تلك الحضارة. بل وأهميته فى حياة الإنسان بشكل عام.

فعلى حين يرى الدكتور محمود حمدى زقزوق أن الدين يعد نزعة فطرية أصيلة فى نفس الإنسان، بحيث لم يكن هناك أمة فى التاريخ قد عاشت ثم مضت دون أن يكون لها تصور بشكل من الأشكال عن الدين، والألوهية والمصير.

وإذا كان الدين يلبى حاجات الإنسان الروحية فإن ذلك يعنى أنه قد جاء لمصلحة الإنسان. إلا أن علماء الاجتماع لهم رأى آخر فى تعريف الدين. حيث يرى أكثرهم، بأنه نظام متكامل من المعتقدات وأسلوب حياة وشعائر ومؤسسات يمكن للأفراد من خلالها أن يعطوا أو يجدوا معنى لحياتهم بالتوجه والالتزام بما يعتبرونه مقدساً أو له قيمة نهائية[١].

وكذلك هناك رأى مهم عن تعريف الدين كتبه الإمام الشيخ محمد عبده.. يقول فيه: إن الدين وضع إلهى ومعلمه والداعى إليه البشر، تتلقاه العقول عن المبشرين والمنذرين، فهو مكسوب لمن لم يختصهم الله بالوحى، ومنقول عنهم بالبلاغة والدراسة والتعليم والتلقين، وهو عند الجميع أول ما يمتزج بالقلوب ويرسخ فى الأفئدة وتصطبغ النفوس بعقائده وما يتبعها من الملكات والعادات وتتمرن الأبدان على ما ينشأ عنه من الأعمال عظيمها وحقيرها، فله السلطة على الأفكار وما يطاوعها من العزائم والإرادات فهو سلطان الروح ومرشدها إلى ما تدبر به بدنها[٢].

وهناك بخلاف ذلك آلاف التعريفات الخاصة بالدين.. ولا ندرى لماذا ذهب أصحابها بعيداً عن جوهر الدين ذاته، كما ذهب أصحاب التعريفات السابقة.. مع أن تعريف الدين واضح وصريح، وقد عرّفنا به رب العالمين فى قوله تعالى: ﴿**إن الدين عند الله الإسلام**﴾.

ولكن ماذا نفعل للفلاسفة وللمفكرين من الذين يريدون الذهاب بنا بعيداً عن كل مدلول معقول، رغم أن لهم الحق فى ذلك وفق رؤيتهم الخاصة، والتى من الحرية الأخذ بها أو رفضها!

ومعنى أن الدين هو الإسلام فإنه من الضرورى الأخذ بما جاء فيه من تعاليم

(١) الدين والسياسة فى الولايات المتحدة الأمريكية مايكل كوربت وجوليا سيتشل كوربى.
(٢) الإسلام دين العلم والمدنية ـ للشيخ الإمام محمد عبده ـ تحقيق ودراسة د. عاطف العراقى.

وعقائد وعبادات، ولقد سبق لنا القول فى مواضع كثيرة عن ماهية الإسلام ومعناه.. والأصول التى يقوم عليها ويدعو إليها.

والدكتور محمود زقزوق يؤكدها فى قوله: أنه إذا ما تأملنا تشريعات الإسلام كلها بما فيها العبادات نجد أنها جميعا تنطلق من منطلق واحد هو مصلحة الإنسان وسعادته فى الدنيا والآخرة، ومن هنا نجد أن القرآن الكريم يركز على موضع أساسى هو الإنسان، فكل ما فى القرآن إما حديث إلى الإنسان أو حديث عن الإنسان أو عن أمر يتصل بالإنسان بشكل أو بآخر.

وفى هذا المعنى يحاول الدكتور زقزوق الربط بين الإنسان وبين الدين، باعتبار الإنسان على حد قوله هو قضية القضايا فى الدين، ذلك لأنه محور الكون وسيده، والذى أعطاه هذه المكانة الفريدة هو الله الذى جعله خليفة فى الأرض وأسند إليه مهمة تعمير الكون وصنع الحضارة فيه(١).

ويصل بنا الدكتور زقزوق إلى نتيجة مهمة فى هذا السياق، حيث يتجلى ذلك فى قوله: إن المتتبع لتاريخ الحضارات السابقة وما تركته لنا من آثار لاتزال قائمة يستطيع أن يتعرف بسهولة على ما كان للفكرة الدينية فى هذه الحضارات من دور وأثر عظيم، فالدين فعال فى كل حضارة، وهذا أمر لا يمكن تجاهله.

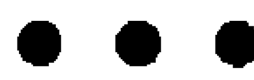
هذا على سبيل الإجمال بالنسبة لنظرة الأديان للإنسان، فما بالنا بنظرة الدين الذى جاءت كل تعاليمه من أجل مصلحة الإنسان، وقد نظر إلى هذه المصلحة بطريقة متوازنة.. من حيث الاهتمام بالدنيا والاهتمام بالآخرة.

هذا الدين الذى طلب من الإنسان وفق ما جاء بالقرآن الكريم ضرورة أن يقيم التوازن المطلوب بين هذين الاهتمامين: الاهتمام بالدنيا ثم الاهتمام بالآخرة، ولقد نبهنا رب العالمين إلى ذلك فى قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ سورة القصص الآية ٧٧.

---

(١) د. محمود حمدى زقزوق ـ مصدر سابق.

وهذا كله يعنى أن الإسلام كدين حضارى عظيم إنما يدفع أتباعه دفعاً لصنع الحضارة وضمان استمرارها، ليس فقط بتأكيده على العلم وأهميته البالغة فى صنع الحضارة، وإنما أيضا بتأكيده على ضرورة دراسة الحضارات السابقة والاستفادة من الدروس والعبر التى يمكن استخلاصها من هذه الدراسة.. ومن ذلك ما جاء فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: **﴿أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾**(1).



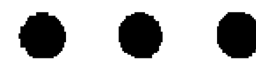
وإذا ما تركنا أحوال الإنسان، وارتباطه بالدين كقيمة من قيم الحضارة الإسلامية.. لنعرف الشىء اليسير عن بقية تلك القيم، لابد لنا أن نتحدث فى السياق نفسه عن آخر تلك القيم ونقصد بها نظرة الإسلام للحياة الدنيا والآخرة. ذلك لأن الحضارة لا يمكن أن تستقيم فى ظل غياب معرفة الإنسان للحياة الدنيا والآخرة وأهدافه فى كل منهما.

هذه المعرفة ذاتها تمثل بالنسبة لمسيرة الحضارات أهمية كبيرة وعظيمة. وقد تجلت هذه الأهمية وتلك القيمة فى الحضارة الإسلامية من دون غيرها، وهذا ما جعل لهذه الحضارة ميزة خاصة عن غيرها.. رغم عدم استمرارها وتعرضها لهزات كثيرة ومتنوعة على عمرها الطويل.

ونظرة الإنسان المسلم للحياة الدنيا والآخرة، هى نظرة جادة وعميقة ومؤثرة، وقد لعبت تلك النظرة الدور البارز فى مسار الحضارة الإسلامية، مما جعلها تحقق المعادلة الصعبة فيما يخص متطلبات المادة والروح أو الجسد والأحاسيس، وهو ما تعانى من فقدانه الآن الحضارة الأوروبية، كما عانت منه من قبل الحضارات السابقة على الإسلام، وهى الحضارات التى تتجاهل بالتعمد الجانب الروحى أو الإنسانى أو الإحساس الطيب بداخل ذلك الإنسان.

(1) المصدر السابق.

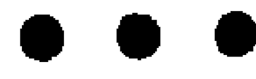
هذا التجاهل جعل من رواد الحضارة الأوروبية مثلاً. . يشجعون العلم الذى نتج عنه أضرار للإنسان، وتعطيل مسيرة حياته، وخير مثال على ذلك تشجيعهم للاستنساخ البشرى، وغيره من التجارب العلمية التى تعجل بنهاية الإنسان نفسه فوق سطح الأرض مثل التجارب النووية وتجارب البيولوجيات. . والإقبال على استخدام المبيدات والكيماويات والألوان والأصباغ الصناعية حتى فى صناعة أكلات الإنسان ذاته».



إن الحضارة الإسلامية قد نجحت إلى حد بعيد فى تحقيق ذلك التوازن العظيم بين متطلبات الحياة الدنيا والآخرة، إلى جانب تحقيق ذلك التوازن بين المادة والروح أو بين ما يتطلبه الجسد وما تشتاق إليه الروح أو النفس الطيبة.

والعودة إلى تاريخ هذه الحضارة، خاصة فى مجال العلوم التجريبية والطب يمكننا من اكتشاف عظمة هذه الحضارة فيما توصلت إليه من اكتشافات، وازنت بين احتياجات الإنسان فى حياته الأولى والآخرة. وكان مصدر ذلك فى الأساس هو التمسك بالشريعة الإسلامية ونصوصها وما جاء به هذا الدين الحنيف من تعاليم عظيمة.

فما من اكتشاف علمى توصل إليه العلماء العرب والمسلمون إلا كان وراءه مصلحة الإنسان، من خلال تقديم الحلول لكل مشاكله دون المساس بالثوابت التى نادى بها الدين الإسلامى والتى أساسها الحفاظ على الإنسان، مما يجعله دائماً يعيش فى رفاهية وأمان واطمئنان جنباً إلى جنب مع أخيه الإنسان.



هذا عن أهم قيم الحضارة الإسلامية، فماذا عن أصولها؟! إن هناك أيضا العديد من المؤرخين ومن المفكرين من الذين توسعوا فى دراسة هذه الأصول وتنوعها. وقد اختلفوا كذلك فى حصرها وبيان أهميتها، لكننا ومع ذلك سوف

نقدم أكثر هذه الأصول شهرة من حيث الاتفاق بين هؤلاء المؤرخين، ومن حيث أيضاً اقترابها من العقل والفهم، وقد اعتبرها عالم مثل الدكتور محمود زقزوق من صنف القيم وليست من الأصول. وهى التى يأتى فى مقدمتها التفكير باعتباره أول فضائل الإنسان ونعم الله عليه، حيث حض الإسلام على التفكير ودعا إليه.. بدليل وجود آيات قرآنية عديدة من التى أشارت إلى هذا المنهج، وضرورة استمراره فى حياة الإنسان. حتى أن مفكراً كبيراً مثل العقاد قد اعتبر التفكير فريضة إسلامية، وكذلك ابن رشد الذى اعتبر النظر العقلى واجباً شرعياً.

أما ثانى أصل من أصول هذه الحضارة.. فهو العلم الذى يعتبره الدكتور شوقى ضيف من أولى ما عانق الإسلام به عباده وفق ما جاء فى القرآن الكريم إذ خاطب الله رسوله ﷺ بقوله تعالى: ﴿**اقرأ باسم ربك الذى خلق**﴾.

وقد بث الإسلام والقرآن الكريم روح العلم فى أتباعه.. وأول ما يلاحظ من ذلك تغييره لدلالات ألفاظ كانوا يعرفونها، فإذا هى تحمل دلالات جديدة،

ويضيف: وواضح أيضاً أن الإسلام لا يعانق العلم فحسب، بل يتحد معه مكوناً علوماً ثلاثة هى علم التفسير وعلم الحديث أو السنة وعلم الفقه.

ليس هذا فقط، بل إن القرآن الكريم بجانب حضه على هذه العلوم الدينية ينوه كذلك إلى العلوم الطبيعية والفلكية والرياضية والطبية[1].

وبجانب العلم هناك أصول أخرى مثل العمل، وحسن المعاملة والأخلاق والنظام والحض على اتباع حقوق الإنسان.

•• المنتج الحضارى الإسلامى وأهم رواده:

وبعد مائة عام تقريبا.. من انتشار الإسلام خارج أرض الحجاز.. وبعد هذا التفاعل العظيم الذى حدث بين العرب والمسلمين الفاتحين وبين غيرهم من

(١) د. شوقى ضيف ـ مصدر سابق.

المسلمين الذين دخلوا هذا الدين طواعية من رعايا تلك البلاد المفتوحة.. أخذت أنوار الحضارة الإسلامية فى السطوع رويداً رويداً..، فكلما تمكن ذلك الدين فى صدور أتباعه سواء من المسلمين القدامى أو الجدد.. ازداد إقبالهم على المشاركة فى صنع هذه الحضارة، مع أنهم كانوا من قبل على أوضاعهم العلمية والحضارية.. بدون تغيير يذكر..

هذا التغيير العظيم الذى أحدثه ذلك الدين.. جعلهم أكثر مشاركة وأكثر فعالية فى تقديم كل ما هو جديد فى المنتج الحضارى الإسلامى ممزوجاً بما كان سائداً آنذاك فى مجتمعاتهم، مع تعديله وفقاً للرؤية الإسلامية والقيم الإسلامية التى جعلت من الحضارة مطلباً للجميع بصرف النظر عن العنصرية الدينية أو القومية.

ولقد تنوع هذا المنتج الحضارى تنوعاً غير مسبوق، وفق ما حض عليه القرآن الكريم وما نادت به السنة النبوية المطهرة، إذا سبق لنا القول وفق ما سطره عالم جليل مثل الدكتور شوقى ضيف، أن القرآن الكريم قد دفع المسلمين دفعاً نحو حضارة علمية أساسها العلوم الدينية ثم العلوم الطبيعية والطبية والفلكية، وكثيراً ما أشار هذا الكتاب الحكيم فى كثير من آياته إلى تلك العلوم وفوائدها للإنسان.

هذه الإشارة وذلك التنويه قد ملأ قلوب المسلمين شغفا بالعلم فى مختلف أنواعه، فما إن انتقل الرسول الكريم ﷺ إلى الرفيق الأعلى حتى انكب المسلمون على دراسة العلوم الدينية: مثل علم التفسير وعلم الحديث أو السنة وعلم الفقه..

كما أخذوا فى الوقت نفسه فى التعرف بعد الفتوحات الإسلامية على ما لدى الأمم المستعربة من علوم الكيمياء والفلك والرياضيات والطب.. لذلك سرعان ما قامت حركة كبرى من الترجمة لنقل أصول هذه العلوم إلى العربية من منطلق التعايش الفكرى وعقلانية الإسلام..

ولقد استطاع المسلمون الأوائل استيعاب هذه العلوم بعد ترجمتها، بل ونجحوا

فى تحقيق إضافات عديدة إليها، وبمشاركة أهل هذه البلاد المفتوحة بعدما تحولوا إلى الإسلام.

جرى ذلك فى الوقت الذى نشطت فيه الحركة الفكرية العربية فى اتجاه وضع أصول علم النحو استجابة لتلك الشعوب والتى اشتاقت لتعلم اللغة العربية.. لتحقيق المزيد من المشاركة الحضارية الفعالة.

إذ أحست هذه الشعوب على حد قول الدكتور ضيف بالحاجة الشديدة لمعرفة أوضاع العربية فى الإعراب والتعريف للكلمات، ومن هنا فقد أخذت حركات تعليمية كبرى تنهض نهضة واسعة فى العلوم الدينية واللغوية والعلوم الأجنبية ثم العلوم الطبيعية.



وما نود أن نشير إليه فى سياق الحديث عن المنتج الحضارى الإسلامى وإسهاماته فى سعادة البشرية كلها.. أن ما سوف نذكره هنا سوف يكون كما أكدنا من قبل على سبيل الاقتطاف دون البيان الكامل لهذه المنتجات الحضارية، ذلك لأن هناك عشرات الكتب التى وضعها أصحابها لبيان تلك الإنجازات الحضارية للإسلام..

والمتتبع الواعى لكل ما كتب عن الحضارة الإسلامية، فيما يخص منتجاتها الفكرية والثقافية والعلمية سوف يكتشف أن آفاق تلك الحضارة قد انطلقت فى عدة طرق وفروع وعلوم ومنافذ فكرية تنوعت وفق مقتضيات كل عصر من عصور هذه الحضارة حتى وصلت إلى تكاملها وعظمتها فى الأندلس وفى المغرب العربى وفى بلاد التركمستان وبلاد الفرس.

ولقد استطعنا نحن بجهود كبيرة أن نحصر هذه المنتجات الحضارية للإسلام فى رافدين أساسين.. لعبا الدور الرئيسى فى إبراز قيمة وأهمية هذه الحضارة، الرافد الأول وتمثله العلوم الثقافية أو العلوم النظرية.. أو علوم الكلام.

وقد سبق لنا التنويـه عن بعضها مثل علوم التفسير والحديث والفقه واللغة والنحـو ثم علـوم الفلسفـة التـى برز فيهـا مفكرون عظماء غيـروا مـن مسيـرة مثل هذه العلوم النظرية.. وما كان سائـداً آنذاك وقت اشتداد عود هذه العلوم عند اليونـان وأهل أثينـا، مثـل أرسطـو وأفلاطـون وغيرهـم.. إذ ظهر فى هذا الميدان الثقافى من المسلمين أساتـذة عظمـاء من أمثال ابن رشد والغزالى والجاحـظ والبيرونـى وآخـرون. ولا ننسى أن نشير فـى سيـاق حـديث هذا الرافد المهم من روافد الحضـارة الإسلاميـة أيضاً إلى تفـوق العـرب المسلمين فـى الأدب بكـل أنواعه. حتى كان لهم اليـد الطولـى فـى اختـراع ألوان أدبية جديـدة انتقلت هى الأخرى إلى الغـرب، مع ما انتقـل من علـوم تمـت ترجمتهـا إلى اللغات الأوربية كبداية لاستيعاب الآخرين وإرهاصات هذه الحضارة العظيمـة.

كذلك كان من الضرورى الحديث عن الفنون الإسلامية بكافة أنواعها والتى لاتزال إلى يومنا هذا تتفرد بالتوحد والجمال وعلو القيمة والأهمية..

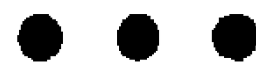
ولاشك كانت هناك عوامل كثيرة ساهمت بقوة فى ازدهار هذا الجانب من جوانب الحضارة الإسلامية. إذ أنشأ الفضل بن يحيى البرمكى وزير هارون الرشيد ببغداد مصنعا للورق، فانتقل الناس من الكتابة فى الجلود والقراطيس المصنوعة بمصر من ورق البردى إلى الكتابة فى الورق المعروف لدينا الآن لخفته ورخص ثمنه. عندئذ كثرت الكتب والمؤلفات، كما ساهم ذلك أيضا فى كثرة الوراقين الذين يعيشون من نسخها، وقد أنشأ كثيرون منهم دكاكين للتجارة فيها. وبالتالى راجت الحركة الثقافية بكل أنواعها، مما أدى فى الوقت نفسه إلى انتشار المكتبات العامة والخاصة.

وكانت باكورة تلك المكتبات ما عرف باسم «دار الحكمة» كأول مكتبة عامة أنشأها هارون الرشيد للاستفادة مما بها من مؤلفات.

أضف إلى ذلك انتشار المكتبات بالمساجد والمنازل، وهناك عشرات المكتبات

العامة والمشهورة فى تاريخ الحضارة الإسلامية والتى لعبت دوراً كبيراً فى نشر الثقافة الإسلامية وبالتالى ساهمت فى دعم الحضارة الإنسانية بكل معانيها.

ومنذ أواخر القرن الثانى الهجرى وطوال القرون التالية.. ازدهرت الحضارة الإسلامية فى ظل ازدهار الثقافة الإسلامية بمختلف موضوعاتها وأنواعها، مع ظهور رواد لتلك النهضة الثقافية فى كل البلدان الإسلامية من الذين لايزالون يحملون إرهاصات هذه الحضارة، وقد تمكنوا من توصيل أنوار أقباسها دوماً إلى الدول الأوروبية التى كانت آنذاك تنام فى عسل التخلف!



وعندما ننتقل للحديث عن الرافد الثانى من روافد تلك الحضارة العظيمة، ونقصد به الرافد العلمى.. سوف نجد كذلك زخماً عظيماً وميراثاً كبيراً من هذه العلوم التى اخترعها العرب المسلمون وبالتالى انتقلت إلى الغرب، وبنوا فوقها حضارتهم الحالية.

ولقد أعجبتنى كثيراً تلك العبارات التى استفتح بها الأستاذ الدكتور محمد الجوهرى حديثه عن العلم فى الحضارة الإسلامية والتى ذكر فيها بالحرف: «كثيراً ما يطلق عصر العلم على عصر النهضة الأوروبية، ولاشك أن عصر النهضة الأروبية كان له إسهاماته العظيمة فى تقدم العلوم، لكن التقدم الكبير للعلوم حدث فى القرن العشرين. أما البداية الحقيقية لعصر العلم فترجع إلى العصر الأموى والعصر العباسى، حيث أخذت العلوم بداياتها الحقيقية وآثارها العملية فى العصر الإسلامى».

أضف إلى ذلك أن عصر العلم فى أوروبا قد قام على فكرة التحرر من الأفكار الكهنوتية المسيحية التى كانت تتصادم مع العقل، أما فى العرف الإسلامى، فقد جاء عصر العلم متزامنا مع بدايات الإسلام وانتشاره في ربوع البلاد المفتوحة، ذلك لأن الإسلام ليس فيه ما يتصادم مع الحقائق العلمية..

من كل ذلك نرى أن للإسلام ولحضارته العظيمة الإسهامات المهمة فى العلوم الإنسانية بمختلف ألوانها وأنواعها. . سواء ما كان منها فى الطب والصيدلة والكيمياء والطبيعة والفلك. أو ما كان منها فى بقية العلوم التطبيقية الأخرى.

وما يثبت ذلك بوضوح وجود العشرات من الرواد المسلمين من العلماء الذين ساهموا فى صنع هذه الحضارة التى انتقلت بكل تفاصيلها إلى الغرب، دون الاعتراف بذلك إلا على استحياء!

ويكفى تدليلا على ذلك القول بأن العلماء المسلمين كانوا هم رواد المناهج التجريبية العلمية فى كثير من المجالات العلمية. . وقد جعلوا التجربة العلمية شرطاً للوصول إلى الحقيقة العلمية.

ولسنا فى حاجة مرة أخرى إلى القول بأن الحديث عن مظاهر الحضارة الإسلامية. . لن يسعه كل هذه الأوراق. . وإنما ما قدمناه كان على سبيل الاقتباس والاقتطاف. . لبيان عظمة هذا الدين. . الذى قام على التسامح والمحبة وتقديم كل ما يحقق سعادة الإنسان للإنسان، بصرف النظر عن لونه أو عرقه أو لغته! وهو للأسف ما تفتقده كل الحضارات التى قامت سواء من قبل الحضارة الإسلامية أو من بعدها.

وما نود أن نؤكده من قبل أن نفترق فى هذا الباب أن الحضارة الإسلامية قادمة لا محالة. . لأن هدفها عظيم وأصولها متينة وقوية. مادام الله قد أراد لهذا الدين الحنيف أن يكون هو مسك الختام، وذلك من قبل أن تقوم الساعة، وتنتهى الدنيا، بل ويذوب الكون إيذاناً بظهور الحق، بعدما تقام الموازين، ليعرف كل منا ماله وما عليه.

ولقد سبق لنا أن نوهنا عن بعض رواد الحضارة الإسلامية فى ميدانها الثقافى والفكرى. . وها نحن نقدم بعض رواد النهضة الغلمية لتلك الحضارة، والذين يأتى فى مقدمتهم الرئيس العالم الجليل ابن سينا صاحب أشهر المؤلفات فى الطب والعلوم. وكذلك جابر بن حيان رائد الرياضيات ثم أبو بكر الرازى مؤسس علم

الكيمياء الحديثة والإدريسى الجغرافى العظيم، ورائد علم الجغرافيا، وأول من رسم خريطة للكرة الأرضية، وكذلك العالم المسلم الملقب بابن غياث والخوارزمى الذى ابتكر علم الجبر ووضع أسسه. . إضافة إلى البيرونى الذى لمع فى علوم الفلك وحساب المثلثات.

ليس هذا فقط. . بل هناك بخلافهم العشرات من هؤلاء العلماء الأوائل الذين لابد أن نقتدى بهم لإعادة روح العلم لحضارة الإسلام فى العصر الحديث. . لا لكى تتماشى مع غيرها من الحضارات حاليا. . بل كى تتفوق وتتقدم مسيرة تلك الحضارات.

الباب الثاني

.. كيف تحولت المسيحية من مسار التسامح إلى العنف؟

- **الفصل الأول:**

  بين نصوص الإنجيل

  وسلوكيات أتباعه

- **الفصل الثاني:**

  .. العنف المسيحى كان ولايزال

  ضد المسيحيين أيضا!!

- **الفصل الثالث:**

  ملامح التعاون بين الإرهاب

  اليهودى والتطرف المسيحى

الفصل الأول

بين نصوص الإنجيل وسلوكيات أتباعه

قد نكون من الذين يؤمنون إلى حد التقديس.. بأن الدين المسيحى، قد ظل قرابة ثلاثمائة عام يسير فى ضوء ما جاء به المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام من تعاليم أوحى بها الله إليه. وهى التى تقوم فى الأساس على التوحيد وعبادة رب العالمين.. والتصديق بما كان قبله فى رسالة موسى عليه السلام غير المحرفة ثم التبشير بالرسول الكريم محمد عليه الصلاة والسلام كخاتم الأنبياء والرسل، متخطية بذلك ما التصق بها من تحريف أصابها بعد هذا الوقت بسنوات قليلة.. وظل ملتصقا بها منذ أن اعترفت الامبراطورية الرومانية بالمسيحية، كدين رسمى للدولة وللامبراطور!

هذا الاعتراف الرومانى بالدين المسيحى، قد جاء بعد فترة اضطهاد طويلة تعرض لها أتباع ذلك الدين الحنيف، وللأسف لم يتوقف هذا الاضطهاد الذى صاحب الاعتراف الرومانى بالمسيحية إلا بعد وقوع ذلك التحريف الذى أصاب هذا الدين، عندما جعل بعض أتباعه من المسيح عيسى ابن مريم إلهاً أو نصف إله؛ وذلك على عادة أهل الرومان آنذاك.. حيث كان الحاكم أو الكاهن أو رجل الدين، ينظر إليه على أنه ينتمى إلى طائفة الآلهة!!

ولقد أكد هذا الاعتقاد الرومانى الجديد للديانة المسيحية مشاركة بنى إسرائيل فى تحريفهم لتعاليم المسيحية انتقاماً من المسيح عليه السلام نفسه.. بعدما فشلوا في قتله، وقد عرفوا بأن الله تعالى قدر رفعه إليه، وأنهم قد اتخذوا من حادث الرفع هذا حجة يقنعون بها أتباع المسيحية بأن المسيح هو إله أو ابن الإله!

والغريب أنهم قد نجحوا فى إقناع القلة من أتباع الدين المسيحى بهذا الاعتقاد، وأفهموهم بأن هذا الإيمان الجديد سوف يساهم فى رفع حالات الاضطهاد عنهم.

بل وأكثر من ذلك، فقد دفع بنو إسرائيل بعض حكمائهم من الذين ادعوا الإيمان بالمسيحية الأولى. لكى يكتبوا الإنجيل الذى سمعه بعض أهليهم محرفاً مع تغذيته بنفس فكرة ألوهية المسيح؛ إرضاء لحكام الرومان آنذاك!

ولسوف يتضح لنا ذلك بجلاء حين نستعرض بعض الذى قاله أساتذة علماء الأديان. . عن مراحل تسجيل الإنجيل وكتابته!.



ومع ذلك فإن الشىء المؤسف حقاً أن ما جاء بالإنجيل الكريم من تعليمات ووصايا طيبة. . ليس له أدنى ارتباط بما جاء به أيضا من التأكيد على فكرة ألوهية المسيح، ولسوف نلاحظ ذلك بوضوح حين نسرد بعض هذه الوصايا والتعاليم السمحاء التى نادى بها المسيح عليه السلام باعتباره عبداً من عباد الله الصالحين الذين تم اختيارهم لتبليغ رسالة السماء من لدن رب العالمين من أجل تصحيح واستكمال الديانة اليهودية بعد ما أصابها من تحريف وتزوير!.

ولو حاولنا أن نربط بينها وبين خرافة ألوهية المسيح سوف نفاجأ بوجود فروق عديدة بين هذه التعاليم الطيبة السمحاء وبين ما حرفه بنو إسرائيل وشياطينهم من الانس من الذين نجحوا فى مهمة تحريف الإنجيل مثلما حرفوا التوراة من قبل!

ولقد جاء القرآن الكريم ليفضح تلك المحاولات اليهودية والتى غيرت الديانة المسيحية بما أضافوه من عندهم من تفاصيل اقتربت كثيراً من الذات العلية، عندما رفعوا النبى عيسى عليه السلام إلى مرتبة الإله، أو أنه ابن الله!.

بل وأكثر من ذلك فقد فضح القرآن الكريم محاولات اليهود وقولهم بأن ما ادعوه على المسيح عليه السلام من أنه إله. . إنما كان بتعليمات من عنده عليه السلام ويتضح ذلك بجلاء فى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا

لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ  مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

• • •

وهناك بخلاف هذه الآية الكريمة عشرات الآيات القرآنية والتى تدافع عن هذا النبى الكريم باعتباره بشراً خلقه الله من غير أب.. مثلما خلق من قبله آدم عليه السلام من غير أب أو أم!

بل ويبين لنا القرآن الكريم أن هذه لم تكن الجريمة الأولى التى يرتكبها اليهود فى حق رب العالمين بادعائهم أن عيسى هو ابن الله.. حيث هناك جريمة قد سبقتها حين ادعوا فى كتبهم المقدسة.. أن عزيرًا ابن الله فبئس ما ادعوا.. وقالوا تحريفا وتزويراً.

من كل ذلك نخرج بنتيجة مهمة مؤداها أن المسيحية قد ظلت على نقائها القائم على سُنة التوحيد وعبادة رب العالمين لأكثر من ثلاثمائة عام.. ثم أصابها داء التزوير والتحريف، على أيدى اليهود. مما حدا بطائفة من المؤمنين بالمسيح عيسى ابن مريم كرسول بشر من قبل رب العالمين بالهرب بدينهم ودخول الكهف الذى مكثوا فيه أكثر من ثلاثمائة عام، وهى الطائفة المؤمنة التى تحدث عنها القرآن الكريم فى سورة الكهف.

إلى جانب ذلك هناك نتيجة مهمة أخرى ولا يمكن بأى حال أن تنفصل عن النتيجة السابقة، وهى أن الدولة الرومانية التى احتلت الشرق والغرب آنذاك، هى التى دفعت رعاياها إلى اعتناق الدين المسيحى الجديد بعد تزويره وتحريفه.

وهذا يعنى فى المقام الأول أن أوروبا سواء القديمة أو الحديثة هى التى لعبت دوراً كبيراً فى إحداث هذا التحريف، ولولاهم لظل أهل الشرق من أتباع المسيح عليه السلام على دينهم الحق القائم على التوحيد بالله تعالى.

وياليت الأمر قد توقف لدى الرومان الذين يعتبرهم أهل التاريخ من

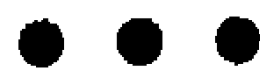
الإمبراطوريات الأوروبية القديمة، عند حد التحريف فى دين الله وإجبار أتباعه على اعتناق ذلك التحريف. . بل لقد استمروا فى اضطهادهم لأتباع المسيح حتى من الذين تظاهروا بقبول هذا التحريف، مما جعلهم ينحرفون بالشريعة المسيحية من التسامح الذى جاء به المسيح عليه السلام. . إلى العنف الأبدى المصحوب بالإرهاب، بكل صوره وأشكاله. . سواء فى العصر القديم أو الوسيط أو الحديث أيضاً!

وهذا يوضح لنا ذلك التناقض العجيب بين ما هو موجود الآن حتى فى الأناجيل المكتوبة من تعاليم مسيحية جميلة وسمحاء وبين ما هو حادث الآن وبالأمس سواء القريب أو البعيد من قبل أتباع هذا الدين. حيث خالفوا تلك التعاليم وهذه الوصايا السمحاء الطيبة. . ليس ضد أعداء ذلك الدين فقط حسب زعمهم، بل وضد أتباع المسيحية نفسها.

ولسوف نوضح ذلك أيضا فيما هو آت من فصول نتحدث من خلالها عن كيفية تسرب العنف إلى المسيحية بعد تحريفها وتزويرها مما يخالف ما هو موجود الآن من تعاليم طيبة حتى فى الأناجيل التى تقوم فى الأساس على فكرة التثليث، والتشكيك فى بشرية المسيح عليه السلام، ثم رفعه إلى مرتبة الآلهة. . مثلما كان الأباطرة الرومان من قبل.

والأساطير الإغريقية والرومانية بها آلاف، بل ملايين الأدلة على ذلك، وكلها تؤيد أن الإمبراطور، إنما هو فى نظر المحكومين، الإله أو ابن الإله.

ولماذا نذهب بعيداً. . ولدينا مثال قريب منا أيضاً. حيث ادعى فرعون من قبل بأنه إله. .



وحين نعود لحديث الإنجيل وما جاء به من تعاليم ووصايا وتشريعات خالفها أتباع المسيح عليه السلام خاصة فى الغرب فى تعاملهم مع أنفسهم ومع الآخرين. . لابد أن نؤكد على أن الهم الأكبر لبنى إسرائيل لأجل صرف هؤلاء الأتباع عن مسار دينهم الصحيح، هو التشكيك فى هدف هذه الديانة الجديدة

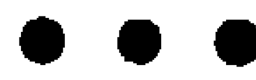
والقائم فى الأساس على وحدانية الله.. وكون عيسى ابن مريم عليه السلام من البشر وليس من الملائكة أو من الآلهة!.

ونجاحهم فى تحقيق هذا الهدف إنما كان يعنى فى الأساس نجاحهم فى ضرب هذه الديانة فى مقتل، حيث تم إبعاد أتباعها عن الوحدانية والإيمان بالله مثلما أصابهم تماماً بعد تحريف دينهم.

وقد شعروا بعد تحقيق هذا الهدف بالسمو والرفعة والتفوق دينياً.. باعتبارهم قد أصبحوا وحدهم الذين يقدسون الله تعالى ويعبدونه على حد زعمهم، وهذا يؤكد لدينا فشل اليهود ومن كان معهم فى تزوير روح الشريعة المسيحية ووصايا ذلك النبى الكريم ولذلك فقد ظلت تلك الوصايا السمحاء وهذه التعاليم الطيبة موجودة من بين ثنايا كلمات الإنجيل، رغم محاولات الدس المستمرة بالتشكيك فى بشرية عيسى عليه السلام لإفساد هذه الوصايا وتلك الشرائع، ولإعطائها صفة الألوهية، وبالتالى إفهام أتباع ذلك الدين بأن الالتزام بتلك الوصايا وهذه النصوص ليس من الواجب فى شيء، لأن صاحبها وهو على حد زعمهم إلههم أو ابن الإله، سوف يشفع لهم يوم الحساب!!

ولذلك نلاحظ كثيراً أن الديانة المسيحية قد اختلطت بأشياء كثيرة حتى فى العبادات.. وأصبح مكانها الآن داخل الكنائس فقط!

• • •

وحتى بعض  المؤمنين من المسيحيين من الذين حاولوا الالتزام بروح نصوص الإنجيل بما فيه من تعاليم طيبة وأخلاقية، يواجهون الكثير من الضغوط الرسمية أو غير الرسمية لأجل عدم الالتزام بحرفية هذه النصوص وتلك الوصايا والشرائع.

وهذا ما نشاهده كثيراً خاصة بين الطوائف المسيحية الثلاثة فيما يخص بعض تفاصيل الشريعة وكيفية تطبيقها والالتزام بها.

ولقد ظهر هذا الخلاف بقوة فى الكنيسة الغربية من دون الشرقية، حيث

ضاعت فعلاً معالم المسيحية الحقيقية، وتحولت إلى ديانة جديدة أضيف إليها الكثير، كما أضيف إلى الديانة اليهودية من قبل، وكانت تلك الإضافات بأيدى محترفى التزوير من رجال الكنيسة أيضا سواء فى العصور القديمة أو التالية لها!.

وما نراه الآن فى الغرب الأوروبى وكذلك فى الولايات المتحدة الأمريكية، لا يمت فعلاً بأية صلة للدين المسيحى الحقيقى سواء من حيث ما تنادى به من وحدانية الله وبشرية رسوله، أو ما ينادى به المسيح نفسه من وصايا وتعاليم تحض على التسامح والعفو عند المقدرة والعطف والإخلاص والطهارة، والنظافة والإيمان، وذلك مما هو موجود الآن من تعاليم فى كل الأناجيل المكتوبة والمتداولة حالياً.



وحتى لا يظن من يقرأ كلماتنا السابقة أننا نتحدث عن خروج الدين المسيحى عن مساره الصحيح من خلال تزوير وتحريف الإنجيل، إنما يصدر عن هوى خاص أو تشيع أو عنصرية دينية.. ننقل لكم بعض الذى سطره الدكتور موريس بوكاى فى أحدث كتبه حيث يقول عن تاريخ الإنجيل وما ورد فيه مخالف لدين الله:

«لم يأت ذكر الأناجيل فى الكتابات والنصوص التى تنحدر إلينا من المراحل الأولى للمسيحية حتى مر وقت طويل على النصوص التى كان قد كتبها بولس، ولقد بدأ ظهور مجموعات من الكتابات الإنجيلية فى منتصف القرن الثانى الميلادى، وبالتحديد بعد عام ١٤٠م. وبالرغم من ذلك نجد أنه اعتباراً من بداية القرن الثانى الميلادى يصرون بوضوح على أنهم يعرفون عدداً كبيراً من رسائل بولس»[١].

وفى موضع آخر من هذه الدراسة عندما يتساءل المؤلف عن مصادر الأناجيل.. نراه يقول: إن الخطوط العامة بعد أن استخلصناها من الفحص النقدى لنصوص الأناجيل تفضى بنا إلى أن نعتقد أن هذه النصوص بتلك الأناجيل إنما هى كتابات أدبية إنشائية ومفتقرة إلى الحبكة الدقيقة لتصل إلى الاكتمال. كما يبدو عليها سمات التناقض الواضحة. وهذه هى الأوصاف

١) التوراة والإنجيل والقرآن بمقياس العلم الحديث ـ د. موريس بوكاى ترجمة على الجوهرى.

المستخدمة بالطبعة المسكوفية للعهد الجديد، وهى الطبعة التى يهمنا الرجوع إليها فى هذا الصدد حيث أن نتائج بحث هذا الموضوع إنما هى نتائج جد خطيرة. ولقد رأينا أن بعض المعلومات عن تاريخ ميلاد الأناجيل يعطينا بوضوح السمات الأساسية لهذه النصوص الموجودة بكل منها مما يفضى بالقارئ لنصوصها إلى كثير من البلبلة».

وفى موضع ثالث على جانب كبير من الأهمية لما جاء فيه. يؤكد الدكتور «بوكاى» إنه يخطئ من يعتقد أن الأناجيل بمجرد تحريرها كانت تشكل الكتب المقدسة الأساسية للمسيحية الوليدة، أو أن المسيحيين الأوائل قد اعتمدوا على هذه الأناجيل ككتب مقدسة مثلما كانوا يعتمدون على العهد القديم أو التوراة!

كذلك كان هناك تداول لكثير من الكتابات عن المسيح فى العصور الأولى للمسيحية، غير أنه لم يتم الاعتراف الرسمى من جانب الكنيسة بكل تلك الكتابات باعتبارها صحيحة.

ولقد أخفت الكنيسة الكثير من هذه الكتابات، واعتبرتها أناجيل مزورة من ذلك: «إنجيل برنابا». كما أن هنالك أناجيل أخرى تم استبعادها بشكل حاسم وقاطع، واجتهدت الكنيسة فى ملاحقتها للقضاء عليها لأنها من وجهة نظرهم تتضمن كثيراً من الأخطاء العامة المؤثرة على الناس!».

ويختتم د. بوكاى ملاحظاته على الأناجيل المسيحية بقوله: «لقد تعامل آباء الكنيسة مع مصادر كل إنجيل من الأناجيل بمنتهى البساطة دون بحث كاف أو تمحيص دقيق، وفى القرون المسيحية الأولى كان المصدر الوحيد المتاح لنصوص العهد الجديد يتمثل فى المخطوطات التى وجدت أولاً مثل نصوص إنجيل متى. وكان الاهتمام بمصادر النصوص يتم بحثه فقط بالنسبة لنصوص إنجيل مرقس ولوقا. أما إنجيل يوحنا فهو يشكل حالة فريدة قائمة بذاتها دون مثيل[١].

• • •

(١) المصدر السابق.

ولو تركنا حديث هذه الملاحظات التى ترتبط ارتباطاً مباشراً بموضوع هذا الفصل.. لإكمال بقية وجهة نظرنا فيما يخص حالة الانفصام الشديدة التى لاحظناها بين ما جاء من نصوص أخلاقية فى الإنجيل الواحد أو فى كل الأناجيل. مع الإيمان الكامل بكل ما قيل بشأنها، سوف نكتشف أن حالة الانفصام هذه بين النصوص وبين معتقدات أصحابها إنما تمتد لسنوات قريبة للغاية من بداية تاريخ المسيحية. كذلك لاحظنا أن هذا الانفصام بين المعنى وبين التطبيق لدى أصحاب الديانة المسيحية قد اختلف بين مسيحيى الشرق والغرب. إذا حاول مسيحيو الشرق ولايزالون فعلاً التمسك بما جاء فى هذه النصوص على الأقل فى مجال التسامح بصرف النظر عن اختلاف المعتقدات والشرائع، وهو ما تخلى عنه مسيحيو الغرب الذين شغلوا أنفسهم كثيراً فى البحث عن التميز الدينى والتعصب الأعمى لكل ما هو مسيحى حتى ولو كان على خطأ.

وقد يكون لإسلوب التربية وانتشار الأخلاق الحسنة والعادات الطيبة لدى كل الشرقيين أثره الفعال فى استمرار المسيحيين الشرقيين فى التمسك بما جاء من تعاليم سمحاء بالإنجيل، إضافة إلى عدم اعترافهم بالماديات وتفضيلهم دائما الروحانيات.. رغم تواضع مستوى معيشتهم فى أغلب البلدان.

وقد يكون هناك سبب آخر أكثر أهمية وهو تمسك أبناء المسيحية الشرقية بالوطنية التى كثيراً ما فضلوها على غيرها من التعاليم القائمة على العنصرية، بدليل أن مسيحيى الشرق قد وقفوا بقوة وحزم ضد محاولات الاستعمار الأوروبى للاستيلاء على بلادهم، جنباً إلى جنب مع بقية أفراد شعوبهم سواء من المسلمين أو من الملحدين.

ولقد تجلت هذه المواقف الكثيرة فى تاريخ مصر وسوريا ولبنان عندما أظهر رعايا هذه البلدان كفاحهم ضد كل ما هو مسيحى يريد الاستيلاء على مقدرات بلادهم.

وهناك آلاف الأمثلة التى توضح لنا ذلك.. مثلما حدث فى زمن الحملات

الصليبية وحركات الاستعمار الأوروبى الجديد الذى انطلق بشراهة بعد الحرب العالمية الثانية.



والآن نقدم نماذج مهمة من وصايا وتعاليم المسيح عليه السلام.. وهى كلها تصب فى نهر الأخلاق والقدوة الحسنة والتسامح والإخاء ومعاملة الناس بالحسنى.. ثم بعد ذلك نقدم نماذج أخرى من سلوكيات أتباع المسيح عليه السلام.. سواء فى العصور القديمة أو الوسيطة أو الحديثة بما يوحى بأن هؤلاء المسيحيين قد تركوا سماحة المسيح واستبدلوها بالعنف. والذى سوف نبين أصوله ومفاهيمه وخطورته أيضا.. ذلك لأن هؤلاء الأتباع من الذين خالفوا تعاليم المسيح لم يكتفوا بهذا العنف.. ضد من هم غير أتباع المسيح سواء من أتباع الديانات الأخرى أو الشعوب الأخرى فقط، بل ومارسوه وبقسوة ضد المسيحيين أنفسهم!!.

يقول المسيح عليه السلام فى إنجيل متى وهو من أوائل الأناجيل المسيحية والذى يقال إنه دون وتم تأليفه عام ٦٠ بعد الميلاد على أرجح الأقوال باللهجة الآرامية الفلسطينية الحديثة، وهى اللغة التى كانت مستخدمة فى المحادثة والكتابة[1]:

**** ولما رأى الجموع (المسيح عليه السلام) صعد إلى الجبل، فلما جلس تقدم إليه تلاميذه، ففتح فاهه وعلمهم قائلاً: طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السماوات، طوب للحزانى لأنهم يتعزون، طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض. طوبى للجياع والعطاشى إلى البر؛ لأنهم يشبعون، طوبى للرحماء لأنهم يرحمون. طوبى لصانعى السلام، لأنهم أبناء الله يدعُون، طوبى للمطرودين من أجل البر، لأن لهم ملكوت السماوات. طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلى، كاذبين، إفرحوا وتهللوا، لأن أجركم عظيم فى السماوات، فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم.**

(١) الأسفار المقدسة ـ مصدر سابق.

** لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل. فإن الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض ولايزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل. فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا، يُدعى أصغر فى ملكوت السماوات. وأما من عمل وعلم، فهذا يدعى عظيماً فى ملكوت السماوات. فإنى أقول لكم: إنكم إن لم يزد بركم لن تدخلوا ملكوت السماوات. وقد سمعتم أنه قيل للقدماء: لا تقتل، ومن قتل يكون مستوجب الحكم. وأما أنا فأقول لكم: إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم، ومن قال لأخيه رقاً، يكون مستوجب المجمع، ومن قال: يا أحمق، يكون مستوجب نار جهنم، فإن قدمت قربانك إلى المذبح، وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك، فاترك هناك قربانك قدام المذبح، واذهب أولاً واصطلح مع أخيك، وحينئذ تعالى وقدم قربانك، كن مراضيا لخصمك سريعاً مادمت معه فى الطريق لئلا يسلمك الخصم إلى القاضى، ويسلمك القاضى إلى الشرطى، فتلقى فى السجن، الحق أقول لك: لا تخرج من هناك حتى توفى الفلس الأخير.

** وقد سمعتم أنه قيل للقدماء: لاتزن، وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها، فقد زنى بها فى قلبه. فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فأقلعها وألقها عنك، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم. وإن كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها وألقاها عنك، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم.

** وسمعتم أنه قيل: عين بعين وسن بسن، وأما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا. ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا، ومن سخرك ميلاً فاذهب معه اثنين. من سألك فأعطه ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده.

**** وسمعتم أنه قيل: تحب قريبك وتبغض عدوك، وأما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم.**

**** لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ، وحيث ينقب السارقون ويسرقون. بل اكنزوا لكم كنوزاً فى السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ، وحيث لا ينقب سارقون ليسرقوا. لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضا. سراج الجسد هو العين، فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً، وإن كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلماً، فإن كان النور الذى فيك ظلاماً فالظلام كم يكون، ولا يقدر أحد أن يخدم سيدين. لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال.**

**** وإن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما، إن سمع منك فقد ربحت أخاك وإن لم يسمع، فخذ معك أيضا واحداً أو اثنين، لكى تقدم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة. الحق أقول لكم: كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً فى السماء، وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً فى السماء[1].**

* * *

وبالبحث والتنقيب عن مثل هذه الوصايا والنصائح التى قالها المسيح عليه السلام فى الإنجيل الثانى فى ترتيب العهد الجديد وهو «إنجيل مرقس». . لم نجد كثيراً من تلك الوصايا. . بل تكاد تكون معدومة إلا فى بعض الأسطر المتعلقة بالشريعة المسيحية، وعلى أية حال فقد كتب هذا الإنجيل حوالى سنة ٦٣ أو ٦٥ ميلادية.

أما «إنجيل لوقا» ثالث الأناجيل المسيحية من حيث الترتيب فى العهد الجديد..

---

(١) العهد الجديد ـ إنجيل متى.

فقد وجدنا فيه كمًا كبيراً من هذه الوصايا. . سوف نسوق بعضها على سبيل المثال لا الحصر. . بعد أن نعرف بعض المعلومات عن كاتب هذا الإنجيل وتاريخ كتابته. .

يقول كولمان: أن لوقا هو كاتب قصص وروائى حقيقى، وهذا يبدو بوضوح فى طريقة كتابته لما جاء فيه سواء من معلومات تاريخية أو دينية أو نصائح ووصايا.

ويقال إنه سجل ما جاء فى إنجيله ما بين أعوام ٦٣ أو ٦٥ ميلادية باللغة اليونانية، وليس باللغة اللاتينية كما يذكر ذلك بعض المؤرخين العرب.

كما يقال إن لوقا قد كتب هذا الإنجيل وفق ما سطره ابن خلدون إلى بعض كبار الروم.

ومن أهم ما جاء فى هذا الإنجيل من تعاليم ووصايا المسيح:

**** أحسنوا إلى مبغضيكم، باركوا لاعنيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم. من ضربك على خدك فأعرض له الآخر أيضا، ومن أخذ رداءك فلا تمنعه ثوبك أيضا، وكل من سألك فأعطه، ومن أخذ الذى لك فلا تطالبه. وكما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم أيضا بهم هكذا. وإن أحببتم الذين يحبونكم، فأى فضل لكم؟ فإن الخُطاة أيضا يحبون الذين يحبونهم، وإذا أحسنتم إلى الذين يحسنون إليكم فأى فضل لكم؟ فإن الخطاة أيضا يفعلون هكذا، وإن أقرضتم الذين ترجون أن تستردوا منهم، فأى فضل لكم؟. فإن الخطاة أيضا يقرضون الخطاة لكى يشتروا منه المثل، بل أحبوا أعداءكم وأحسنوا وأقرضوا وأنتم لا ترجون شيئاً فيكون أجركم عظيماً وتكونوا بنى العلى، فإنه منعم على الشاكرين والأشرار فكونوا رحماء.**

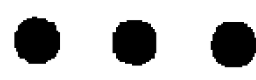
**** ولا تدينوا فلا تدانوا. لا تقضوا على أحد، فلا يقضى عليكم. اغفروا يغفر لكم. أعطوا تعطوا، كيلاً جيداً ملبداً مهزوزاً فائضاً يعطون فى أحضانكم. لأنه بنفس الكيل الذى به يكيلون يكال لكم.**

** لا تحملوا شيئاً للطريق: لا عصا ولا مزوداً لا خبزاً ولا فضة، ولا يكون للواحد ثوبان، وأى بيت دخلتموه فهناك أقيموا ومن هناك اخرجوا، وكل من لا يقبلك فاخرجوا من تلك المدينة، وانفضوا الغبار أيضا عن أرجلكم شهادة عليهم.

** من منكم يكون له صديق ويمض إليه نصف الليل، ويقول له يا صديق أقرضنى ثلاثة أرغفة، لأن صديقاً لى جاءنى من سفر وليس لى ما أقدم له، فيجيب ذلك من داخل ويقول: لا تزعجنى! الباب مغلق الآن. وأولادى معى فى الفراش. لا أقدر أن أقوم وأعطيك. أقول لكم: وإن كان لا يقوم ويعطيه لكونه صديقه، فإنه من أجل لجاجته يقوم ويعطيه قدر ما يحتاج. وأنا أقول لكم: إسألوا تعطوا، اطلبوا تجدوا، إقرعوا يفتح لكم، لأن كل من يسأل يأخذ، ومن يطلب يجد ومن يقرع يفتح له.

** ليس أحد يوقد سراجاً ويضعه فى خفية، ولا تحت المكيال، بل على المنارة، لكى ينظر الداخلون النور، سراج الجسد هو العين فمتى كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً، ومتى كانت شريرة فجسدك يكون مظلماً. انظر إذا لئلا يكون النور الذى فيك ظلمة لإن كان جسدك كله نيراً.. ليس فيه جزء مظلم يكون نيراً كله كما حينما يضىء لك السراج بلمعانه.

** قال المسيح لتلاميذه: لا يمكن إلا أن تأتى العثرات، ولكن ويل للذى تأتى بواسطته! خير له لو طق عنقه بحجر رحى وطُرح فى البحر من أن يعثر أحد هؤلاء الصغار، احترزوا لأنفسكم، وإن أخطأ إليك أخوك فوبخه وإن تاب فاغفر له وإن أخطأ إليك سبع مرات فى اليوم، ورجع إليك سبع مرات فى اليوم قائلاً: أنا تائب فاغفر له[1].



ولو أعدنا قراءة ما سبق وتلوناه من هذه الوصايا والتعاليم المسيحية الطيبة..

(١) إنجيل لوقا ـ العهد الجديد.

واستعرضنا فى المقابل. كيف يعامل أتباع المسيح سواء فى الماضى أو فى الحاضر أو فى العصور الوسيطة، غيرهم من بنى البشر خاصة من أصحاب الديانات الأخرى وعلى وجه الخصوص من أتباع الدين الإسلامى، وأبناء الشرق عموماً، سوف نفاجأ بهذا النقيض الغريب، بين ما يحفظونه ويسمعونه داخل كنائسهم وبين ما جاء فى الأناجيل من وصايا وتعاليم.

ليس هذا فقط.. بل وكثيراً ما نسمع عن هذه الوصايا السمحاء فقط فى أدبياتهم وفى كل كتاباتهم، من دون معاملتهم فى الواقع..

وحوادث التاريخ بها ملايين الأدلة والمشاهد التى تؤيد ذلك التناقض والذى يحتاج فعلاً إلى دراسة مستفيضة لبيان أسبابه، بعد ما عرفنا نتائجه!

وما سوف نقدمه من نماذج لبيان هذا التناقض إنما هو على سبيل المثال وليس الحصر..

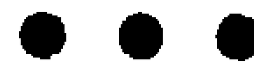
وبقراءة كل من الوصايا.. ونتائج حوادث التاريخ ونتائجها الناجمة عن أفعال المسيحيين المتطرفين والتى تتسم أغلبيتها بالعنف سواء الأدبى أو المسلح سوف تتضح لنا تلك الفروق العظيمة والتى نسعى لبيانها، بهدف تقريب وجهات النظر التى تتحدث دائما عن الإسلام وعلاقته بالعنف والإرهاب.. سواء من جانب اليهود أو من معظم المسيحيين، خاصة من الغربيين! كذلك سوف يتبين لنا.. أيضا.. الدوافع التى جعلت من أتباع المسيح عليه السلام ينقلبون من رعايا دين سمح.. إلى وحوش لا هم إلا التهام كل ما هو غير مسيحى!

ليس هذا فقط، بل وسوف نبين فى الفصل القادم.. كيف لم يفرق أتباع المسيح فى العالم الغربى فى تعاملاتهم العنيفة، بين ما هو مسيحى وغير مسيحى. حيث استخدموا أبشع وسائل العنف والإرهاب حتى ضد أتباع المسيح نفسه، وعلى مدى كل العصور!!.

وأرجو ألا ينزعج من يتابعوننا فوق هذه الأوراق من القول بأن معظم حوادث التاريخ قد أثبتت أن العنف المسيحى قد استخدم بقسوة ضد المسلمين

ودينهم!!، وبدون أسباب تدعو لذلك.. رغم ما جاء فى القرآن الكريم من كلمات وعبارات تعظم المسيح عليه السلام وأمه.. بل وتنادى بضرورة التعامل الطيب والمجادلة الحسنة مع أهل الكتاب ومنهم أتباع المسيح عليه السلام، فى مقابل تسامحهم مع بنى إسرائيل. إلا فى حالات زمنية مؤقتة سرعان ما تزول آثارها، وهم الذين ينكرون فى الأصل كل ما هو مسيحى. بل وأنهم هم الذين ارتكبوا جريمة محاولة صلب المسيح عليه السلام!

وهذا ما يدعو للأسف والحسرة.. وما يحدث الآن فى العالم سواء من اليهود أو من المسيحيين الغربيين والأمريكيين إلا دليل قوى على ضياع تعاليم المسيح عليه السلام فى الهواء، وضياع مفعولها وتأثيرها على أتباع تلك الديانة!.



وما نحب أن نشير إليه فى سياق الحديث عن تقديم الأدلة التاريخية لارتباط أصحاب الديانة المسيحية خاصة فى الغرب وأمريكا بالعنف وابتعادهم عن التسامح الذى نادى به المسيح عليه السلام. إنما سيكون على سبيل المثال لا الحصر، ذلك لأن هناك كما سبق أن ذكرنا ملايين الأمثلة على ارتكاب أهل الغرب من المسيحيين.. لملايين من جرائم العنف خاصة ضد المسلمين وأتباع الدين الإسلامى، فى كل مكان!.

ولقد انقسم العنف المسيحى بعد انتشار هذا الدين واعتراف الامبراطورية الرومانية به كدين رسمى للدولة. إلى تيارين أساسيين.. الأول يقوم على الضرب بيد من حديد ضد الوثنيين من أهل الإمبراطورية الرومانية ورعاياها.. والثانى ضد المسلمين الذين بدأوا ينتشرون بقوة فى العالم المسيحى بعد نجاح أسلافهم فى فتح الكثير من البلاد المسيحية.

وقد انقسم العنف المسيحى ضدهم أيضا إلى تيارين الأول بدأ من خلال كتابات المبشرين والمؤرخين، والثانى من خلال الممارسات القمعية!!.

وإذا كان السلوك المسيحى ضد الوثنيين من غير المسيحيين.. خاصة فى القرون

العشرة الأولى من ميلاد المسيح عليه السلام، كان له ما يبرره على الأقل فى أذهان رجال الكنيسة. . حيث نظروا إلى هؤلاء على أنهم من الهراطقة الذين يجب القضاء عليهم أو الإيمان برسالة المسيح!

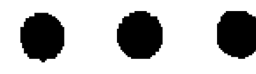
وهذا التغير فى حد ذاته يتنافى تماماً مع تعاليم المسيح عليه السلام ووصاياه السابق الإشارة إليها.

كما يبدو ذلك واضحاً من قول الدكتور توفيق الطويل، بأن آباء الكنيسة قد تشبعت وجهات نظرهم وفقا للظروف التى أحاطت بهم، فناهضوا الاضطهاد ونددوا بالتعصب يوم أن كانت السلطة فى يد خصومهم ممن لا يدينون بدينهم. فلما تمكن نفوذ الكنيسة وتهيأت السلطة لرجالها، وأصبح فى مقدورهم أن يتحكموا فى خصومهم، تولاهم التزمت ونزعوا إلى الاضطهاد[١]. .

وكان ذلك بالضبط منذ اللحظة التى ظفرت فيها الكنيسة بالرعاية فى عهد قسطنطين.

ويؤكد الكثير من المؤرخين أن أول من عانى من العنف المسيحى بعد استحلال فكرة الاضهاد الدينى كانوا من اليهود وأهل الوثنية، وذلك عندما أصدر الامبراطور قسطنطين قانونا يقضى بإحراق كل يهودى يلقى على كل من اعتنق المسيحية حجراً، وعقاب كل مسيحى تهود ـ أى اعتنق اليهودية ـ ثم عدل العقاب إلى مصادرة الأملاك، وإن تزوج يهودى من مسيحية يعدم فوراً!!.

وكان أول قانون تم وضعه ينص على الإعدام كعقوبة للملحدين من غير المسيحيين، هو قانون «تيود وسيوس»، وكان أول تطبيق له فى عام ٣٥٨م حين تم إعدام أحد الأسبان!!.



أما التيار الثانى من تيارات العنف المسيحى ضد غير المسيحيين والذى خالف

---

(١)) قصة الاضطهاد الدينى فى المسيحية والإسلام - د. توفيق الطويل.

بشدة تعاليم المسيح، فكان كما سبق أن ذكرنا هو اضطهاد الإسلام والمسلمين. الذى شهد أكثر من وسيلة، كان من أهمها الكتابات الاستشراقية والعقاب الجماعى..

أما عن نشأة الاستشراق والذى كان هدفه الأساسى ولايزال الدفاع عن الدين المسيحى ضد المد الإسلامى مع تشويه صورة الإسلام لتنفير الناس منه.. إما لتركه وإما للتشكيك فى الإيمان بما جاء به - فقد بدأ كما يؤكد ذلك العديد من المؤرخين المسيحيين.. فى العصور الوسطى. عندما بدأ الناس يدرسون اللغات ويجمعون المعلومات لأغراض عقائدية محضة، وكانت بداية هذا العمل التبشيرى فى أسبانيا مع سقوط غرناطة فى أيدى المسيحيين فى عام ١٤٩٢م، ثم استؤنفت الدراسات الاستشراقية كجزء من الدراسات السامية بصورة عامة فى روما عندما كانت المشيخة الرومانية مهتمة بتوحيد الكنائس الشرقية(١). ثم بدأ عود الاستشراق يشتد بعد اهتمام البابوية بأمر اتحاد الكنائس ومحاولة التوصل إلى اتفاق مع المسيحيين الشرقيين لتنظيم صفوفهم ضد الإسلام.

ويبدو أن هذا التيار التبشيرى كان هو البداية الحقيقية للتمهيد لشن الحملات الصليبية ضد الإسلام!!، ثم لحقه بعد ذلك عدة تيارات أخرى اتسمت جميعها بالعنف الذى كان يقف وراءه أيضا كل رجال الكنيسة فى أوروبا!.

ومما يشير إليه العديد من المؤرخين فى مجال الحديث عن دور الاستشراق الغربى فى نشر العنف المسيحى ضد الإسلام هو اضطلاع عدد كبير من هؤلاء المستشرقين بمهمة تسفيه الدين الإسلامى والعيب فى رسوله الكريم والنيل منه ومن القرآن الكريم، بدليل وكما يؤكد ذلك الدكتور محمد عمارة أن صورة المسلم فى الثقافة اللاهوتية الغربية طافحة بما يعف القلم عن إعادة كتابته فى كثير من الأحيان، ومع ذلك فهو يقدم لنا بعض النماذج.. حتى يكون حكمنا على ذلك التناقض العجيب بين ماجاء به المسيح عليه السلام من تعاليم وبين سلوكيات أتباعه!!.

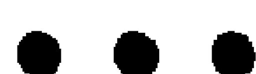
---

(١) تراث الإسلام: ج٣ ـ تصنيف جوزيف شاخت وكليفورد بوزدرت ـ ترجمة: د. محمد زهير السمهورى ـ د. حسين مؤنس ـ د. حسان صدقى

فقد كتب أحد المفكرين الألمان عن ذلك يقول: لقد صور المسيحيون الأوروبيون محمداً ﷺ رجلاً عاش حياة داعرة وتجاوز خبثه كل حدود الدناءة والانحطاط. ولم يتورع خيالهم عن الادعاء بأن رسول الإسلام كان فى الأصل كاردينالا كاثوليكيا، تجاهلته الكنيسة فى انتخابات البابا فقام بتأسيس طائفة ملحدة فى الشرق انتقاماً من الكنيسية، واعتبرت أوروبا المسيحية فى القرون الوسطى محمداً مرتداً عن المسيحية، بل هو المرتد الأكبر!. الذى يحمل وزر إنقسام نصف البشرية عن الديانة المسيحية(١).

وها هو أكبر فلاسفة الكاثوليكية «القديس توما الاكوينى» يتحدث عن رسول الإسلام فيصوره للثقافة اللاهوتية النصرانية بقوله: «لقد أغوى محمد الشعوب من خلال وعوده لها بالمتع الشهوانية، وحرف جميع الأدلة الواردة فى التوراة والأناجيل من خلال الأساطير والخرافات التى كان يتلوها على أصحابه، ولم يؤمن برسالته إلا المتوحشون من البشر الذين كانوا يعيشون فى البادية»!!

أما «مارتن لوثر» رأس البروتستانتية، فهو القائل عن القرآن الكريم: «أى كتاب بغيض وفظيع وملعون هذا القرآن الملىء بالأكاذيب والخرافات والفظائع»»!



ويبدو أن محاكم التفتيش قد عاصرت بدايات الاستشراق فى مجال محاربة المسيحية للإسلام وإجبار معتنقيه من المسلمين فى أوروبا على الخروج منه واعتناق المسيحية!!، كما شملت هذه المحاكم عقاب كل الخارجين على المسيحية سواء من اليهود أو الوثنيين أو المسلمين.

وقد أسندت الكنيسة إلى الأكليروس مهمة اكتشاف المهرطقين وإماطة اللثام عن هرطقتهم التى بدأت فى الانتشار فى القرن الحادى عشر، ثم استفحلت وتفاقمت فى القرن الثانى عشر(٢).

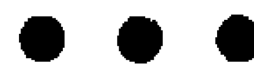
(١) صور الإسلام فى التراث الغربى ـ هوبرت هير كومر ـ جيرنوت روتر ـ ترجمة ثابت عيد.

(٢) محاكم التفتيش ـ د. رمسيس عوض.

ويؤكد الدكتور رمسيس عوض كذلك أن بعض القديسين ومنهم القديس سان برنارد (١٠٩٠ -١١٥٣) قد وافق على اتباع أسلوب محاكم التفتيش فى التحقيق والاستجواب. كما أن مجمع ريمز فى فرنسا قد اجتمع فى عام ١١٥٧ ليقرر ضرورة استخدام هذه الطريقة الوحشية مع كل مشتبه فى هرطقتهم!، وكذلك نشأت فى كل إسقفية محاكم كنسية أو روحية لمحاكمة المهرطقين!.

وكان المسلمون فى أسبانيا بعد انسحاب أغلبهم من هناك، من الذين قاسوا ويلات تلك المحاكم. .، وقد نجح الكثيرون منهم فى الهرب بدينهم من أسبانيا. . ومن تعثرت قدماه فى الهروب، اضطر إلى تغيير دينه خوفاً من هول وفزع هذه المحاكم التى كانت تتم تحت سمع وبصر كبار رجال الكنيسة، ليس فى أسبانيا وحدها بل وفى كل أرجاء أوروبا!، وقد أمر بتكوينها آنذاك الملك فردينال وزوجته الملكة إيزابيلا فى عام ١٤٥١، بناء على نصيحة الراهب الدومنيكى «هوتور كويمار».

وقد بدأت نشاطها العنيف فى مدينة قشتالة عام ١٤٧٨ ثم أشبيلية وغرناطة، حيث أصبحت تلك المحاكم من أبشع صنوف العذاب ضد المسلمين واليهود والمهزومين أمام جيوش إيزابيلا وفردينال، كما أجبروا على التنصر من ضعف من المسلمين عن تحمل عذاب هذه المحاكم. . وفى أسبانيا ممن آثر التمسك بدينه وكانوا كثيرين!.



ونأتى للحديث عن آخر مظاهر العنف المسيحى ضد من هم غير مسيحيين مخالفين بذلك، كما سبق أن أوضحنا. . كل العهود والمواثيق والوصايا التى نادى بها المسيح عليه السلام.

هذا المظهر تجلى بوضوح فى تتابع الحملات الصليبية على الشرق المسيحى والمسلم على السواء. والتى كانت تستهدف استكمال ما بدأه المسيحيون فى أوروبا سواء فى مجال التبشير أو بالنسبة لمحاكم التفتيش!

وهناك عشرات الكتب سواء العربية أو الأجنبية التى تحدثت عن الحملات الصليبية كنوع من الهجمات التتارية التى اشتهرت فى العصر الوسطى أيضا. والتى كانت تستهدف الإسلام، كما تحدثت هذه المصادر وتلك الكتب عن الفظائع التى ارتكبتها تلك الحملات ضد كل ما هو شرقى، بصرف النظر عن كونه مسيحيًا أو غير مسيحى!

ليس هذا فقط، بل لقد استتبع هذه الحملات وفق ما سبق أن أضفناه نوع آخر من العنف المسيحى الأوروبى.. والذى تجلى بوضوح فى تلك الحركات الاستعمارية والتى انطلقت بشراهة للسيطرة على مقدرات كل الشعوب العربية وغير العربية الإسلامية وغير الإسلامية، مما يؤكد تعمد دعاة المسيحية الغربية استخدام العنف لتحقيق مصالحهم، بعدما تخلوا عن تعاليم السيد المسيح عليه السلام.

هذا المعنى يؤكده الدكتور محمد عمارة فى قوله: «ولقد كان للنصرانية الأرثوذكسية نصيبها من اضطهاد المسيحيين والمسلمين على حد سواء. ويحكى لنا «ول ديورانت» فى كتابه قصة الحضارة موقفاً شديد القسوة، مما يدل على عنف المسيحية ضد كل ما هو إسلامى، حيث يقول: «فلقد حدث فى هذه الأثناء [يقصد فترة الحرب الصليبية] أن رأى بعض الجنود اللاتين جماعة من المسلمين يصلون فى مسجد مقام فى مدينة مسيحية، فثارت ثائرتهم وأشعلوا النار فى المسجد، وقتلوا المصلين، وظلت النار مشتعلة ثمانية أيام وامتدت إلى مسافة ثلاثة أميال، وأحالت جزءاً كبيراً من القسطنطينية رماداً وأنقاضاً»!!

ثم ماذا فعلوا بالقدس عندما دخلتها الحركات الصليبية؟! وللإجابة على هذا السؤال، اختار الدكتور محمد عمارة أن يسوق لنا بعض نماذج العنف المسيحى آنذاك من أحد الكتب التى تحدثت عن هذه الحروب والتى أطلقوا كذباً عليها الحرب المقدسة.

هذه النماذج تتجلى بصدق فى نص ذلك الخطاب الذهبى الذى ألقاه البابا «أوريان الثانى» صاحب فكرة الحروب الصليبية أمام فرسان الإقطاع الأوربيين

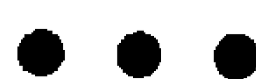
الذين كانوا فى الأصل لصوصاً متوحشين وقتلة يغير بعضهم على بعض، وقد دعاهم هذا البابا إلى توجيه عنفهم الدموى إلى المسلمين «غير المؤمنين» حسب تعبير البابا «أوريان». . كما طلب منهم غسل أيديهم من الدماء الأوروبية ليس بالماء وإنما بدماء المسلمين!!!.

والكتاب الذى اختار منه الدكتور عمارة تلك النماذج من تأليف «مكسيموس مظلوم». وعنوانه: «تاريخ الحروب المقدسة فى الشرق»!.

ويكفى أن نسوق العبارة التالية لكى ندلل على هذا العنف المذكور فى ذلك الكتاب المنوه عنه، وهى عبارة خطيرة وذات معان ودلالات أكثر خطورة:

لقد قال أحد شهود هذه الحرب المقدسة: «إن جامع عمر قد استوعب من الدم المحتقن فيه ما يكفى بحر متموج، وذلك مما فتكت به سيوف الجيوش الصليبية رقاب المسلمين!»

وصورة بلاغية أخرى تقول: «كانت المذابح رهيبة حيث جرت دماء المغلوبين فى شوارع المدينة حتى ارتفع مستوى الدم ووصل إلى الركب ممن سار فيها. ولما حل المساء اندفع الصليبيون يبكون من فرط الضحك! بعد أن أتوا على نبيذ المعاصر إلى كنيسة القيامة ووضعوا أكفهم الغارقة فى الدماء على جدرانها، ورددوا الصلوات»!



وحتى من بعد انتهاء زمن الحروب الصليبية، وزمن المستعمرات، فقد استمر العنف المسيحى ضد المسلمين، فى كل مكان حيث شهد العصر الحديث آلاف المذابح التى تعرض لها هؤلاء، لا لشىء إلا لأنهم مسلمون من رعايا أوروبا، وخير مثال ذلك ما حدث للمسلمين فى ألبانيا وكوسوفا والبوسنة والهرسك، وبلاد الصرب، وكذلك فى الهند.

وأما المصيبة الكبرى هو ما يتعرض له المسلمون حالياً فى فلسطين وفى أوروبا

وأمريكا. مع تجرؤ رؤساء هذه الدول فى التصريح بعدائهم السافر والسافل للإسلام والمسلمين، مما يدل دلالة كبيرة على استمرار العنف المسيحى الأوروبى وتخليه عما جاءت به تعاليم المسيح.

وربما يستمر هذا العنف فى المستقبل القريب، ولن يتوقف إلا بزيادة قوة المسلمين ووقوفهم صفاً واحداً ضد هؤلاء سواء بالكلمة الطيبة أو بالسيف أو الدبابة، تماماً مثلما يفعلون هم بالمسلمين فى الأمس واليوم وربما غداً.

وعندما يتم ذلك سوف يعود أتباع المسيح إلى رشدهم، أو إلى كتبهم المقدسة لقراءتها من جديد لاستيعاب ما جاء بها من أقوال المسيح عليه السلام عن التسامح والأخلاق الحسنة والطيبة.

الفصل الثانى

العنف المسيحى..
ضد المسيحيين أيضا!

قد يتصور البعض أن مخالفة أتباع المسيح عليه السلام لوصاياه وتعاليمه التى تم نشرها فى كل الأناجيل بالعهد الجديد، وتحولهم من التسامح والمحبة والوداعة إلى العنف، كان موجهاً فقط ضد غير أتباع هذا الدين سواء من المسلمين أو اليهود أو الوثنيين، كما سبق أن أوضحنا ذلك!، بل سوف تكتشفون كما اكتشف غيرنا من الدارسين لتاريخ الإنسانية.. أن أعنف حالات ذلك الإرهاب وهذه القسوة، قد مارسها أتباع الدين المسيحى ضد المسيحيين أنفسهم!.

وللأسف لم تخل حقبة من الزمن وفق ما شهدته من أحداث متنوعة من الهدم والتخريب والإبادة.. من ممارسات عتاة المسيحية وكبرائها سواء من الحكام أو آباء الكنائس أو الباباوات..

ومما لاحظناه فى سياق البحث عن هذه الممارسات.. أن العنف وشدته وألوانه وأنواعه.. قد مورس وبدقة مع مسيحيى الشرق سواء بسواء!، وإن كانت بعض طوائف المسيحية فى الغرب قد قاست كذلك من هذا العنف!

وهذا شىء يدعو إلى التعجب والأسف فى آن واحد.. وهو يؤكد فى الوقت نفسه، حالة الانفصام السابق الإشارة إليها بين ما جاء به المسيح عليه السلام من تعاليم طيبة وأخلاقية وما تنضح به سلوكيات أتباع هذا النبى الكريم..

هذه التعاليم التى قرأنا بعضها فى هذه الأوراق ـ والتى يحظى بالبعض الآخر كتب أظهرت هذه التعاليم من تأليف أو وضع علماء المسيحية أنفسهم ـ كثيراً ما يتشدق بها هؤلاء الأتباع، بل وكثيراً أيضا ما يعايرون بها الشعوب والأمم الأخرى

من أصحاب الديانات المغايرة للمسيحية.. على وجه الخصوص من أتباع الدين الإسلامى!

بل وكثيراً ـ ثالثا ـ مانجد أن كل مؤلفاتهم وعلى كافة المستويات تمثلاً بتلك التعليمات والوصايا، ويتشدق بها أبناؤهم وذووهم وكل عائلتهم.. حتى أننا نلاحظ أن كل أعمالهم الفنية حتى الإباحية منها كثيراً ما تمتلئ بتلك الوصايا والتعليمات السمحاء!!، من دون الدعوة للتمسك بها وتطبيقها فى الواقع!!.

وما نود أن نشير إليه فى السياق نفسه، بل ونريد أن نؤكد عليه وكما أكدنا على ذلك من قبل، أن المسيحيين فى الشرق، خاصة فى العالم العربى.. كانوا ولايزالون هم من أتباع المسيح عليه السلام من الذين ذاقوا كثيراً من ذلك العنف المسيحى، والذى عادة ما يكون مصدره الغرب المسيحى، بعدما أضيف إليهم المسيحيون فى أمريكا!!.

ورغم ظهور أصوات مسيحية عاقلة كثيرة وعلى مدى التاريخ كله، والتى وعت تلك الحقيقة التاريخية، فإن هناك قطاعًا كبيراً من أتباع المسيح عليه السلام ومن أبناء الشرق من الذين لايزالون على ولائهم وانبهارهم بما تقدمه المسيحية الغربية، المتطرفة، رغم جهلها وغبائها وغلوها وعنفها فى أحيان كثيرة!، ومما يؤكد أيضا خروجها على تعاليم المسيح نفسه، والتى يقدسها ويحبها ويعمل بها كثير من أبناء المسيحية فى الشرق.

ولاشك أن مثل هذا التعاطف كثيراً ما يذوب إذا ما تعرضت بلاد الشرق إلى هجوم من أتباع المسيحية فى الغرب.

ولقد تجلى ذلك بوضوح فى وقوف أبناء المسيحية الشرقية مع غيرهم من مواطنيهم فى الكفاح المسلح ضد حركات الاستعمار الغربى للشرق والذى بدأ مع نهاية الحرب العالمية الأولى،

بل وربما تجلى ذلك الخلاف وهذا الذوبان فى التعاطف مع المسيحيين الغربيين، من قبل تلك مقدم الحركات الاستعمارية وتحركها من معقلها هناك فى اتجاه الشرق المسيحى للاستحواذ على خيراته ومكاسبه!

مثال ذلك ما شهدته المنطقة العربية من تضافر جهود المسيحيين مع إخوانهم من سكان هذه البلاد فى أثناء الحملات الصليبية على الشرق العربى المسلم، ولا أقول جميع مسيحيى الشرق، بل أغلبهم فى واقع الأمر.

ولقد استمر هذا التيار ينمو مع الأيام والسنوات. حتى وجدنا أن هناك فئات مسيحية كثيرة ومستنيرة تقف الآن وبحزم لصد هجمات المسيحية الغربية على الشرق العربى والإسلامى، وندعو الله أن تزيد تلك الفئات التى لابد أن يكون دافعها الأساسى هو التمسك بتعاليم المسيح عليه السلام ووصاياه التى تحض على الخير والمحبة والسماحة والعفو عن كل الناس بدون تفرقة سواء دينية أو عرقية أو عنصرية!.



ولابد أن يتساءل المتابعون لنا فى هذا الحديث.. عن ماهية الصور والأساليب التى تدل على مظاهر العنف المسيحى ضد المسيحيين، كما نقول ذلك نحن!؟!

والتساؤل عن هذا الأمر مهم للغاية.. لأن بيانه والإجابة عليه سوف يؤكد وجهة نظرنا والتى نعتمد فيها أساساً على تقديم الأدلة والبراهين، وعدم الاكتفاء فقط بالرد الخطابى أو الذى لا يعتمد على تلك الأدلة!

ولقد استطعنا أن نحصر صور العنف المسيحى ضد المسيحيين فى خمسة وجوه.. هى أولاً: حالات الاضطهاد التى بدأت منذ فجر بزوغ المسيحية، والتى استمرت حتى مرور ثلاثة قرون على رحيل المسيح عليه السلام، وثانيا: محاكم التفتيش التى لم تكن تفرق أبداً بين ما هو مسيحى أو غير مسيحى!! وقد ذاقت من ويلاتها فئات مسيحية وأفراد كثيرون كانوا من أتباع الدين المسيحى.

أما ثالثاً: فقد تجلت صور ذلك العنف ضد المسيحيين فيما حدث من حالات إبادة خطيرة تعرض لها أناس كثيرون، وقد أخرجت أتباع المسيح عليه السلام من مرتكبى تلك الجرائم عن الخط الصحيح لهذا الدين السمح!

ورابعا: إشعال الحروب سواء العالمية أو الإقليمية.. وقد راح ضحيتها من

المسيحيين أضعاف غيرهم من أتباع الديانات الأخرى، أما خامساً: فهو التهام مقدرات وثروات الشعوب أو التى كان غالبية الرعايا بها من المسيحيين الفقراء!، خاصة فى الشرق العربى.. وهى المعروفة باسم حركات الاستعمار!!

إننا نستطيع أن نصف الصور السابقة للعنف المسيحى ضد المسيحيين بالصور الجماعية التى كانت تشمل جموعاً كبيرة من المسيحيين داخل المجتمعات أو البلدان الأوروبية. لذلك نجد أن هناك بخلاف تلك الصور الجماعية للعقاب والعنف المسيحى صوراً أخرى فردية، وهى تعتبر من أخطر صور العنف، ذلك لأنها كانت تستهدف ما بداخل الإنسان من معتقدات مسيحية!!.

ولعلنا من خلال ما هو آت.. سوف نستعرض معاً كل أنواع وأشكال وأساليب تلك الصور، سواء الجماعية أو الفردية والتى توضح لنا بجلاء مدى ارتباط المسيحيين المتطرفين بالعنف أكثر من ارتباطهم بالسماحة والسلامة والعفو كما نادى به المسيح عليه السلام.

•• صور العنف الجماعى:

الاضطهاد الدينى:

من أولى صور العنف المسيحى ضد المسيحيين أنفسهم ما تعرض له هؤلاء الأتباع من اضطهاد دينى كبير وعظيم وقد تسبب فى مقتل العديد منهم. ولسوف نعرف بعد قليل أن أسباب ذلك الاضطهاد إنما كان مصدره ادعاءات آباء الكنيسة بأن هؤلاء كانوا من الهراطقة أو الخارجين على تعاليم الكنيسة! ونلاحظ هنا قولهم «تعاليم الكنيسة» وليست «تعاليم المسيح عليه السلام».

ومن عجيب الأمور.. أن المسيحيين الأوائل قد نالوا قدراً كبيراً من هذا الاضطهاد، على أيدى اليهود أولاً ثم الرومان ثانياً.. لذا كان من الواجب على آباء كنائسهم الذين يعرفون تلك الحقائق التاريخية ضرورة أن يكفوا عن استخدام

نفس السلاح ضد أتباعهم!! ولكنهم للأسف قد تمادوا فيه إلى درجة سجلها عليهم التاريخ فى العديد من صفحاته!

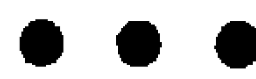
هذا الاضطهاد لم يفرق أيضا بين معتنق للمسيحية من أبناء الطوائف وأبناء الشعب، وبين رجال الكنيسة أنفسهم، إذ تعرض فريق كبير من هؤلاء إلى الاضطهاد الدينى فى معتقداتهم وعلى أيدى مسيحيين أمثالهم، لا لشىء إلا لأنهم قد خالفوهم فى تطبيق بعض أصول الشريعة!

ولقد استمر هذا الاضطهاد طويلاً كما يشهد بذلك تاريخ المسيحية سواء فى أوروبا أو فى أمريكا أو فى بعض البلدان الأخرى، كما تنوعت أشكاله وأساليبه وفق كل مرحلة تاريخية كان يحددها أصحاب هذا الاضطهاد!.

وتاريخ اضطهاد المسيحيين لبنى عقيدتهم من المسيحيين قد بدأ بعد توقف الاضطهاد الرومانى لكل المسيحيين على السواء!، وهذا أمر غريب ومثير للدهشة والسخرية.. وقد سبق لنا أن قدمنا تبريراً معقولاً لتلك البداية والتى أقدم عليها آباء الكنيسة ضد رعاياهم من المسيحيين متعللين بحجج واهية ولا تستند إلى وقائع أو أدلة!

فمنذ أن تخلى الأباطرة بعد دقلديانوس عن سياسة الاضطهاد، وصدور مراسيم التسامح فى عام ٣١١م تحررت المسيحية من قيود الاضطهاد، عندئذ تأهب بعض المسيحيين لاضطهاد خصومهم.

ويحدد لنا الدكتور توفيق الطويل هذه البدايات بعد تأهب المسيحيين ضد بعضهم البعض حيث يقول:.. «ومنذ اللحظة التى ظفرت فيها الكنيسة بسلطة مدنية فى عهد قسطنطين، دخل مبدأ الكبح العام! واستمر عشرة قرون شداد، كان فيها العقل والقلب فى الأغلال»![1].



ويحكى لنا التاريخ عن أول حالة اضطهاد فردى قاسية. وقد حدثت بسبب

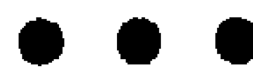
(١) د. توفيق الطويل. مصدر سابق.

خلاف فى الرأى وفى العقيدة، وهى تلك التى وقعت لرجل الدين اكتانتيوس الذى تم اتهامه بأنه ينكر شخصية الروح القدس، فأدانه مجلس تولى البابا جلاسيوس رياسته!.

وكذلك امتازت الأرثوذكسية المسيحية عن غيرها وعلى حد قول الدكتور الطويل، والتى زاول أتباعها اضطهاد خصومهم من المسيحيين دون رفق أو رحمة، حتى قيل إن أكثر من ثمانين كاثوليكيا من رجال الدين المسيحى قد سجنوا فى عهد الامبراطور Valens والذى اعتنق مذهب آريوس ثم أحرقوا غدراً. وكذلك آريوس نفسه الذى أدين من قبل وأحرقت كتاباته وتحريم إقتنائها، بعد إتهامه بالإلحاد. . لأنه أنكر على غير ما جرى به العرف الكنسى ألوهية المسيح!، وزعم أنه لا يساوى الأب فى جوهره وطبيعته.

ويقول التاريخ أن الكنيسة إزاء هذا الموقف المخالف من هذا المسيحى السكندرى، قد نظمت مجمعاً حضره مائة أسقف من مصر وليبيا، فلما تمسك آريوس بآرائه أدانه ذلك المجمع مع أتباعه، كما أعلن الإسكندر وأسقف الإسكندرية هذا الحكم إلى جميع الأساقفة!.

بل وأكثر من ذلك فإنه عندما انتشر مذهب آريوس وكثر أتباعه، أمر الإمبراطور قسطنطين فى عام ٣٢٥م بعقد مجمع دينى فى «فينيقية»، ضم عدداً كبيراً من أساقفة آسيا وأوروبا وإفريقيا، وقد أدان آريوس وأمر بإحراق كتبه. . ومن رأى من الأساقفة الانتصار لمذهب آريوس أمر قسطنطين بخلعه ونفيه، كما تم إصدار القوانين التى تبيح هدم كنائسهم ومصادرة اجتماعاتهم، ونفى كهانهم وإحراق كتبهم.



ثم تطورت أساليب الاضطهاد الدينى التى مورست ضد كل من كان يخالف الكنيسة فى أوروبا حتى وصلت إلى إقرار عقوبة الإعدام. . وحتى يجدوا مبرراً للترويج لهذه العقوبة التى رأوا فيها ردعاً للمسيحيين المخالفين للكنيسة فقد أطلقوا على هؤلاء المخالفين لفظ الهراطقة وفق ما أكده الدكتور محمد عمارة بأن

الإلحاد والهرطقة والردة لم تكن تعنى إلا مخالفة التقاليد الكنسية فى أية جزئية من الجزئيات[1].



وهناك آلاف، بل وملايين من الأمثلة التى تمتلئ بها كتب التاريخ والتى تصور لنا الكثير من حالات الاضطهاد الدينى الذى تعرض له العديد من المسيحيين على أيدى المسيحيين أنفسهم، ففى فرنسا على عهد الملك «تشارلس التاسع (١٥٥٠-١٥٧٤م) ذبح الكاثوليك أكثر من عشرين ألفاً من البروتستانت، وهما مذهبان فى دين واحد. ويومئذ انهالت التهانى على الملك، وكاد البابا «جريجورى الثالث عشر» ـ (١٥٧٢ ـ ١٥٨٥م) يطير فرحاً بهذه المذابح المقدسة وضحاياها، حتى أنه أمر أن تُسك أوسمة لتخليد ذكرى هذه المجزرة وتوزع على الشعب والأعيان، ولقد رسمت صورة البابا على هذه الأوسمة وإلى جانبه صورة الملك «تشارلس التاسع» وهو يضرب أعناق الملحدين البروتستانت، وكتب على هذه الأوسمة عبارة «إعدام الملحدين».

وكذلك أمر البابا ولمزيد من الاحتفال بهذه المجازر، بضرورة إطلاق المدافع وإقامة القداس فى شتى الكنائس. كما دعا الفنانين إلى تصوير مناظر هذه المذابح على حوائط الفاتيكان.

ليس هذا فقط، بل وفى عهد الكاردينال «ريشليو» (١٥٨٥-١٦٤٢م) وزير الملك لويس الثالث عشر تم قتل ألف وخمسمائة مسيحى من البروتستانت!، ثم تجددت هذه المذابح فى عهد الملك لويس الرابع عشر (١٦٣٨ -١٧١٥م) ضد البروتستانت أيضا وخاصة بعد أن تزوج الملك من مربية كاثوليكية متعصبة، فسيق الكثيرون منهم إلى الإعدام، ومن نجا منهم خيرهم الملك بين الارتداد عن البروتستانتية إلى الكاثوليكية وبين الهجرة والنفى من فرنسا، فهاجر نصف عدد البروتستانت وعددهم ما يقرب من نصف مليون مسيحى إلى هولندا وإنجلترا وأمريكا.

---

(١) الإسلام والآخر ـ مصدر سابق.

ولقد أثبت العديد من الدارسين من المسيحيين أنفسهم أن هذه الإهانات.. وهذا الاضطهاد.. لم يكن إلا لمجرد الخلاف فى المذهب أو فى التفسير لبعض أحداث حياة المسيح.

ولم يتوقف هذا الاضطهاد على الغرب فقط، بل شمل كذلك مسيحيى الشرق على أيدى إخوانهم من الغربيين الذين كان همهم الأول والأخير فرض سلطانهم وسلطان عقيدتهم ضد كل المخالفين.

ومن أشهر مناطق الشرق التى عانت من الاضطهاد على أيدى مسيحيى الغرب.. كل من مصر وبلاد الشام والقدس. حيث يؤكد الدكتور توفيق الطويل.. أنه نظراً لطبيعة الغلو الواحدة فى الدين المسيحى فقد تشابهت نتائجه وآثاره مع اختلاف الحالات، ويضرب لنا عدة أمثلة على ذلك مما لاقاه المسيحيون فى مصر للأسباب ذاتها.. حيث انتشر الاضطهاد الدينى فى مصر قبل الفتح العربى وفكر هرقل بعد انتصاره على الفرس فى أن يوحد المذاهب المسيحية كلها ويجعلها فى مذهب واحد، وأقر هذا المذهب الموحد مجمع «خلقيدونة».

وتولى بطرق الدين فى الإسكندرية «قيرس» الذى أخفق فى إقناع المصريين بالمذهب الجديد، فعقد العزم على إكراههم على اعتناقه، وكان كبير أساقفة القبط فى مصر آنذاك هو «بنيامين» الذى كان موضع حب المصريين ومثار احترامهم، وكان شديد التعصب لمذهب اليعاقبة.

وعندما أخفق «قيرس» فى إقناع الأقباط المصريين بالحسنى لجأ إلى البطش والاضطهاد لمدة عشر سنوات!.

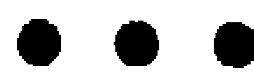
ليس هذا فقط، بل وكان أخو بنيامين ممن عذبوا كثيراً، إذا أوقدت المشاعل وسلطت نارها على جسمه فأخذ يحترق حتى سال دهنه فى جانبيه على الأرض، ولكنه مع ذلك لم يتزعزع عن إيمانه. فخلعت أسنانه ثم وضع فى كيس مملوء من الرمل وحمل فى البحر حتى صار على قيد سبع خطوات من الشاطئ، ثم عرضوا عليه الحياة إذا هو آمن بما أقره هرقل بشأن المذهب الموحد، وقد فعلوا فيه

هذا التعذيب ثلاث مرات وهو يرفض فى كل مرة، فرموا به فى البحر فمات غرقاً!.

وقد تميز «قيرس» غيظاً حين أقبل على الدير فوجده خلاء ممن فيه إلا من خازنه، ولما جلده قال له إن صمويل الزاهد قد خطب فى رهبان الدير ووصفه بالكفر وعدم الإيمان بالله حتى فر الرهبان قبل مقدمه، ولما ذهب قيرس دعا الإخوان إلى ديرهم آمنين، وأما البطريق «المقوقس» فقد مضى إلى الفيوم ودعا أتباعه وأمرهم بأن يجيئوه بذلك العابد صمويل مكتوف اليدين، وأن يضعوا فى عنقه طوقاً من حديد، وأن يدفعوا به كما يدفع اللصوص، فجاءوا به إلى الدير الذى كان فيه، وذهب إليه صمويل مستبشراً فى صحبة الله وهو يقول: «سأمنح إن شاء الله اليوم الشهادة بأن يسفك دمى فى سبيل المسيح».

وأخذ يسب المقوقس دون أن يخشى شيئاً، فلما دخل عليه، أمر المقوقس بجنده لكى يضربوه حتى سال دمه.

ويحكى لنا الدكتور محمد عمارة عن المزيد من حالات إضطهاد المسيحيين المصريين قبل حقبة دخول الإسلام لهذه البلاد فيقول: أما عن الاضطهاد الدينى الذى نزل بنصارى مصر سواء فى عهد الوثنية الرومانية أو فى عهد نصرانيتها، فلقد بلغ فى البشاعة حد التأريخ بعصر شهدائه لدى الكنيسة القبطية حتى الآن، فالإبادة التى مارسها الإمبراطور الرومانى «دقلديانوس» (٢٨٤-٣٥٠ق.م) جعلت عصره بالنسبة للنصرانية المصرية، عصر الشهداء. وعلى درب «دقلديانوس» الوثنى سار الإمبراطور الرومانى النصرانى «جستنيان الأول» (٥٢٧-٥٦٦م)، فقتل ٢٠٠٠ قبطى بالإسكندرية وحدها. ومن نجا من القتل يومئذ هرب إلى الصحراء، حتى لقد انسحبت النصرانية المصرية وأهلها من الحياة المدنية إلى المغارات والكهوف فى قلب الصحراء.



وقد يظن المتابع لنا فوق هذه الأوراق أن عصر الاضطهاد الدينى بالنسبة

للمسيحيين تجاه إخوانهم قد توقف عند حد بعينه أو اختفى، بل بالعكس فقد ظل قائماً وبقسوة أكثر مما كان فيما مضى.

وكل ما فى الأمر هو تغير الأوراق والقوى التى استطاعت إخفاء هذا العنف وراء ستائر كثيرة وكثيفة، ومع ذلك فإنه بين الحين والآخر كان يظهر فوق سطح الواقع من يحكى لنا عن هذا العنف وأشكاله.

وما الصراع الدائم والمستمر بين المسيحيين فى أيرلندا الشمالية إلا نموذجاً أو حالة من حالات هذا العنف المسيحى الذى يطفو فوق سطح الأحداث رغم قوة وهيمنة بريطانيا وزعمائها الذين يخفون الكثير من آفاق ذلك الصراع!

وليس هذا فقط، بل وهناك آلاف الصراعات الدينية ومظاهر الاضطهاد المنتشر الآن فى أمريكا نفسها خاصة بين أصحاب المذاهب المسيحية المختلفة والذى يبدو فوق السطح من حين إلى حين رغم قدرة وهيمنة وسطوة وسلطان الدولة فى الولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك فى فرنسا وألمانيا وغيرهما من دول أوروبا.

محاكم التفتيش:

ونصل معا للحديث عن أبشع طريقة اخترعها المسيحيون أنفسهم لتأديب والانتقام من أبناء عقيدتهم من المسيحيين من الذين اختلفوا معهم، وقد تمثل ذلك فيما سمى تاريخياً بمحاكم التفتيش والتى حظيت بالعديد من الدراسات والمؤلفات التى ألقت عليها وعلى تاريخها وأهدافها الضوء المبهر.. رغم مرور أكثر من ألف عام تقريباً على بداية العمل بها.

ومن هذه الدراسات العربية المهمة والكتب التى صدرت حديثا عن تاريخ هذه المحاكم.. ما كتبه الدكتور رمسيس عوض. وقد تناولها من كافة الزوايا والتاريخ مؤكداً فى هذا السياق على أن محاكم التفتيش هذه لم تظهر فى أوروبا إلى حيز الوجود بين عشية وضحاها، إذ ذكر «هنرى تشارلس لى» وهو ثقة فى تاريخ محاكم التفتيش أن الكنيسة أسندت إلى الأكليروس مهمة اكتشاف المهرطقين،

وإماطة اللثام عن هرطقتهم التى بدأت فى الانتشار فى القرن الحادى عشر ثم استفحلت وتفاقمت فى القرن الثانى عشر.

وكان من أهم دوافع الإقدام على إنشاء تلك المحاكم، كما يؤكد ذلك الدكتور رمسيس عوض أن الكثيرين من رجال الكنيسة بدوا عاجزين أمام المهرطقين الذين تفوقوا عليهم فى العلم والذكاء والقدرة على النقاش والحوار.

وعندما استبدت الحيرة برجال الكنيسة لم يجدوا حلاً لهذه المشكلة غير اللجوء لما يعرف فى تاريخ القانون بالمحاكمة عن طريق وضعهم فى محنة للتأكد من براءة المتهم المخالف لتعاليم الكنيسة إذا اجتازها، أو عدم براءته إذا فشل فى اجتيازها[1].

ويعلل الدكتور رمسيس عوض سبب لجوء الكنيسة إلى هذا الأسلوب لتأديب الخارجين عليها بقوله: «لقد كان المهرطقون فى بادئ الأمر يمثلون أمام محاكم كنسية، وكانت فرصة الأقوياء والأغنياء والقادرين فى التحايل على القوانين الكنسية والإفلات من العقاب أكبر بكثير من قدرة الفقراء والضعفاء على ذلك.

ففى عام ١٢١١ وجهت تهمة الهرطقة إلى قسيس اسمه «لانجر» ولكنه امتنع عن المثول أمام المحكمة. متعللاً بخشيته من اعتداء الغوغاء عليه وحرقه لمجرد الاشتباه فى هرطقته، ثم ناشد إنوسنت بابا روما للتدخل لحمايته حتى يتمكن من الفرار إلى المقر البابوى لتطهير نفسه مما علق بها من ذنوب وآثام، فأجابه البابا إلى طلبه.

هذه الحادثة تدل على أية حال على أن الكنيسة ظلت حتى منتصف القرن الثانى عشر تقريبا عاجزة عن إحكام قبضتها على أتباعها، فضلاً عن أن قدرتها على عقاب الخارجين عليها كانت محددة!.

ويبدو أن الامبراطور شارلمان الذى تولى الحكم عام ٨٠٠م كان من أوائل المروجين لمثل هذه المحاكم.. إذ يعتبر من أوائل الحكام المسيحيين الذين ساهموا كثيراً فى عقاب المسيحيين الخارجين على الكنيسة وتعاليمها، بدليل أنه أسند إلى

(١) محاكم التفتيش ـ مصدر سابق.

بعض موظفى إمبراطوريته المترامية الأطراف مهمة التجول فى شتى أنحائها بهدف اكتشاف أعداء الله من المهرطقين والخارجين على أعراف الكنيسة وتقاليدها!

وليس معلوما بالضبط تاريخ تكوين أول محكمة تفتيش مسيحية لعقاب الخارجين على تعاليم الكنيسة. لكن الشيء المؤكد أن الكنيسة على حد قول الدكتور توفيق الطويل قد عهدت فى عام ١١٢٣م إلى آباء الدومنيكان بأداء هذا الواجب الدينى الجليل، لذلك أنشأ البابا جريجورى التاسع فى عهد لويس التاسع ملك فرنسا محكمة التفتيش أو ديوان التحقيق، وقد مكن لهذا النظام أمر بابوى أصدره إنوسنت الرابع عام ١٢٥٢م، وضبط به نظام الاضطهاد كجزء رئيسى من الكيان الاجتماعى لكل مدينة أو دولة.

ويعلق الدكتور الطويل على هذه الإجراءات بقوله: «وكانت هذه أبشع أداة لكبح التفكير النزيه والضمير الحر، ولم يعهد التاريخ لها نظيراً».

وقد اختير الرهبان ووكل إليهم السعى باسم البابا لاكتشاف الملحدين، وكانوا بحكم عضويتهم فى ديوان التحقيق، من أصحاب النفوذ بحيث لا يخضعون لرقابة أحد ولا يسألون عما يفعلون، وبالتالى راح ضحيتها الآلاف من الأبرياء لمجرد مخالفتهم لأحد تعاليم الكنيسة!!.

ويكفى أن نضرب هنا عدة أمثلة للأعداد التى ذهبت أرواحها هباء، لمجرد المخالفة فى الرأى أو فى بعض تفاصيل العقيدة، وذلك فى العديد من الدول الأوروبية المسيحية.

ففى أسبانيا بلغ عدد ضحايا هذه المحاكم ٣١ ألف مسيحى أحرقوا بالنار، و٢٩٠ ألفا آخرين عذبوا بعقوبات لم تبلغ حد الإعدام!. وذلك غير ضحايا هذه المحاكم الأسبانية فى المستعمرات فى أمريكا الجنوبية وفى قرطاجنة وجزء من الهند وصقلية ومالطة.

أما فى بلاد الأراضى الواطئة (هولندا)، فقد بلغ تعداد ضحايا محاكم التفتيش من المسيحيين وحدهم فى عهد الملك تشارلس الخامس مائة ألف ضحية!.

وفى عهد ابنه بلغ عدد الضحايا ٥٠ ألفاً!، وفى فرنسا على عهد الملك تشارلس التاسع (١٥٥٠ -١٥٧٤م) ذبح الكاثوليك أكثر من عشرين ألفا من البروتستانت، وهما على حد قول الدكتور عمارة مذهبان فى دين واحد!

الحروب:

رغم أن الحروب قد ارتبطت كما يؤكد ذلك التاريخ بمسيرة الإنسان منذ تواجده فوق سطح هذه الأرض، ولأغراض متعددة، إلا أننا وغيرنا قد اكتشفنا أن أوروبا المسيحية سواء فى العصر القديم أو الوسيط أو حتى فى الحديث كانت تقف وراء إشعال معظم حالات الحروب سواء الإقليمية أو الدولية، وأيضا لأهداف متعددة، كان أحدها بل وأهمها تلك الأهداف الدينية، سواء من أجل نشر الدين المسيحى فى البلاد التى لم يدخلها هذا الدين أو لتصفية حسابات عقائدية بين معتنقى هذا الدين لاختلافات فى التفسير..

وعادة ما كان فريق كبير من المسيحيين يروحون ضحايا لهذا العنف الناتج عن تلك الحروب!.

ليس هذا فقط.. بل وكانت تلك الحروب هى وسيلة معظم الدول الأوروبية ـ وكما سوف يمر علينا حالاً، حتى أيام الإمبراطورية الرومانية أو البيزنطية ـ لأجل التوسع واحتلال الشعوب الأخرى بحجة نشر هذا الدين..

وياليت هذا الأمر قد توقف عند حدود القارة الأوروبية فقط، بل امتدت تلك الحروب إلى مناطق كثيرة شملت العديد من العالم المسيحى سواء فى المشرق أو فى المغرب، وكان من ضحاياها أيضا عدد كبير من المسيحيين سواء من المشاركين في تلك الحروب أو من المتأثرين بنتائجها من رعايا هذه الشعوب التى اكتوت بنارها.

وعلى أية حال فقد أظهر لنا التاريخ أن ضحايا العنف المسيحى من المسيحيين أنفسهم قد زادوا على إثر نشوب هذه الحروب والتى قسمها المؤرخون وخبراء العسكرية إلى حروب إقليمية ثم حروب عالمية ودولية.

هذا بخلاف ما ينشأ من نزاع طائفى يقترب من حافة الحرب بين أبناء الطائفة المسيحية الواحدة أو بين طائفتين مختلفتين فى المذهب.

وتاريخ المسيحية به الملايين من الأحداث التى وقعت خلال القرون الماضية ومنذ انتشار هذا الدين بسبب هذه الحروب التى أطلقوا عليها ظلماً.. اسم «الحروب الدينية»!.

يأتى ذلك بطبيعة الحال خلافاً لما تشعله هذه الدول من حروب ضد أصحاب الديانات الأخرى وعلى وجه الخصوص ضد الإسلام، ويكون من ضحاياها أيضا العديد من المسيحيين من رعايا الدول التى تدين بالإسلام.

ولم يكن ذلك يمثل أية مشكلة لمسيحيى أوروبا الذين اتخذوا من العنف سبيلهم إلى الدعوة لهذا الدين ونشره بدلاً من منهج التسامح والحب والإخاء، وفق تعاليم المسيح عليه السلام.

وقد نظن أن الحروب الصليبية كانت وحدها ذلك النموذج الأمثل لمثل تلك الحروب الدينية، وقد ظلت هكذا لفترات طويلة من التاريخ حتى تجددت تلك الفكرة، سواء ضد المسيحيين أو ضد المسلمين. متمثلة فى الحروب التى أشعلها مسيحيو الغرب وزعمائهم، خاصة فى العصر الحديث. فكم شاهدنا وسمعنا عن العديد من التفاصيل الخاصة بمثل هذه الحروب سواء ما حدث فى يوغوسلافيا السابقة أو فى ألبانيا أو كوسوفا أو فى القارة الأفريقية، أو فى غيرها من مناطق العالم. وقد أصبحت تسيطر على مقدراته قوة مسيحية واحدة، فرضت هيمنتها على كل من المسلمين والمسيحيين سواء بسواء، وإن كانت بعض طوائف المسيحيين تميل بحكم الاشتراك فى الديانة اسماً فقط، مع هذا القطب الأوحد..

وفى المقابل هناك أيضا ملايين من الأصوات المسيحية العاقلة والتى تقف بحسم ضد تلك الحروب الدينية الجديدة، لأنها وفق رؤيتهم الصائبة لا تفرق أبداً بين مسيحى وغيره من أتباع الديانات الأخرى خاصة من المسلمين.

ولاشك أن استعراضنا لبعض ما جاء فى صفحات التاريخ عن أشهر الحروب

الإقليمية والعالمية سواء المدنية أو الدينية سوف يبين لنا بوضوح.. ذلك المسلك العنيف والذى اتجهت إليه تلك الديانة العظيمة.. معارضة بذلك كل التعاليم والقيم الطيبة التى نادى بها المسيح عليه السلام.

يقول التاريخ فى صفحاته الملیئة بدماء هؤلاء الأبرياء.. أن أول من اخترع فكرة الحرب الدينية هم الرومان فى عام ٣٧٩م.. عندما ازدادت حدة العداءات بين هذه الامبراطورية بعد اعتناق حكامها المسيحية وبين البربر من الذين كانوا يدينون بالمسيحية الأريوسية (نسبة إلى آريوس أحد أساقفة أنطاكية)[١].

ثم توالت بعد ذلك هذه الحروب سواء ضد الشعوب التى لا تعتنق المسيحية أو الذين يعتنقون شرائع مخالفة لما جاء فى المسيحية فى ظن هؤلاء، وامتدت من العصور الوسطى وحتى عصرنا الحديث.. مع اختلاف الأشكال والأدوات والأهداف أيضا.

ونظراً لأن سجل تاريخ البشرية مليء فعلاً بصنوف الحروب وألوانها وأشكالها وعلى مدى كل هذه القرون الطويلة، فإننا سوف نحاول أن نقترب من أشهر تلك الحروب والتى يكون هدفها الأول بطبيعة الحال تدمير وقتل وتعذيب وتشريد أكبر عدد من الناس من بينهم بطبيعة الحال عدد كبير من أتباع الدين المسيحى. ذلك لأن الحرب وكما نعرف لا تفرق أبداً بين البشر الموجهة إليهم، وكلنا يعرف كذلك أن كل شعوب العالم وفى كل القارات يسكن بها إضافة إلى المسيحيين أعداد كبيرة ممن هم على غير دين المسيح سواء من أتباع الديانات الأخرى أو حتى من الوثنيين!!..

وكما سبق أن ذكرنا فإنه بالإضافة إلى الحروب العامة التى كانت ولاتزال تشعلها الدول المسيحية فى أوروبا وأمريكا.. هناك أيضا ما يسمونه بالحروب الدينية!!

وعندما نفتح كتاب الحروب لنعرف بعض التفاصيل.. سوف نفاجأ بأن هناك ملايين المعارك العسكرية التى دارت رحاها بسبب الدين المسيحى، ولعلنا نشير إلى بعضها.. خاصة أشهرها، حيث لاحظنا فى هذا السياق.. أن أعنف تلك

(١) الحرب عبر التاريخ ـ الفيلد مارشال مونتجمرى ـ تعريب وتعليق فتحى عبد الله النمر.

المعارك كانت موجهة ضد الامبراطورية الرومانية. خاصة فى أملاكها فى أوروبا.. وهذه الحروب قد بدأت بالفعل منذ القرن الأول الميلادى ثم امتدت لأكثر من خمسمائة عام حتى سقطت روما فى أيدى «شعوب ألريك» الذين نهبوا المدينة بعد حرب طويلة. وبعد عام ٤١٠م خيم الهدوء المؤقت على تلك الحروب وأقام «الواندال» فى إفريقيا و«البورجند» فى بورجندى و«الفرنجة» فى شمال فرنسا، أما «القوط» الغربيون بعد سلبهم لإيطاليا فقد أقاموا علاقات مع الإمبراطورية الرومانية التى بدأت فى الانهيار، ثم واصلوا زحفهم وكونوا مملكة فى أسبانيا وجنوب الغال.

ثم فى منتصف القرن الخامس حدث أفظع غزو فى منطقة البحر المتوسط، عندما كون «الهون» جيشاً جراراً من الفرسان تحت قيادة «أتيلا» الذى أطلقوا عليه «سوط الله»!!.

وواصلوا غزوهم لعدة قرون واتجهوا إلى الغرب، وقد خافتهم جميع الشعوب سواء أكانوا رومانيين أو من البربر[1].

وكذلك كانت من أشهر حروب العصور الوسطى والتى استهدفت المدنيين من المسيحيين ومن غيرهم، ما قام به الملك شارلمان ملك الفرنجة فى عام ٧١٨م.. وتعتبر هذه الحروب مقدمة قوية لبداية الحروب الدينية، ولعل ذلك يبدو بوضوح فى قول معظم المؤرخين: «عند دراسة النهضة العسكرية فى عصر شارلمان، يصعب تحديد الأهداف الرئيسية لذلك. ولكننا نستطيع أن نلمس بوضوح بعض العوامل الملموسة لها.. من ذلك: خوفه من الفوضى والخطر اللذين كانا يهددان مملكته، لأن جيرانه المعادين له لا يستجيبون إلا بالقوة، علاوة على حبه لنشوة النصر والنجاح، زد على ذلك أنه كان يعتبر نفسه حاكماً على مستوى عالمى وشريكاً للبابا.. ذلك الوحى الذى أرسله الله إلى الأرض للفصل فى الأمور الدنيوية!. فكان له مبشرون يسيرون بين صفوف جيشه، وهم يؤمنون إيماناً راسخاً بأنهم يمثلون قوات الصدمة النفسية.

---

(١) المصدر السابق.

وكان شارلمان يعتمد عليهم ويعتبرهم من القوات الرئيسية عند غزوه لشعب يعتقد أنه وثنى ولإجبارهم على اعتناق المسيحية!.

وبناء على ذلك قام الملك شارلمان بحملات عسكرية متعددة ما بين أعوام ٧٦٨ وضمت ٨١٤ قتيلاً فيها اللومبارد والسكسون والأسبان والمسلمون والعرب ومقاطعات جنوب إيطاليا البيزنطية وبريتانى، وفى النهاية زادت رقعة إمبراطورية حتى ضمت المناطق التى تمثل حاليا كلا من فرنسا وبلجيكا وهولندا وسويسرا وألمانيا ومعظم إيطاليا وشمال أسبانيا.

ويؤكد المؤرخ والقائد العسكرى المارشال مونتجمرى، أنه فى فترة العصور الوسطى فى أوروبا ظهرت قوة عسكرية كبيرة وجديدة ممثلة فى النورمانديين الذين وهبتهم فرنسا عام ٩١١م دوقة نورماندى للدفاع من خلالها عن أوروبا ضد الفايكنج، وقد استخدم النورمانديون أسلوب القتال المتبع فى فرنسا بعد تطويره حيث أصبحوا من أعظم الشعوب فى الفروسية والتحصينات الاستراتيجية. ومع ذلك فقد ارتكبوا مذابح كثيرة ضد المسيحيين خاصة فى إيطاليا.. عندما زحف جيشهم بقيادة زعيمهم جسكارد عام ١٠٥٣م.. على جنوب إيطاليا، فتصدى له الجيش البابوى الذى هُزم بقوة، ولم يستطع النورمانديون استغلال ذلك النصر، إذ عرض هذا الزعيم الطاعة والولاء للبابا فى مقابل تنصيبه ملكاً على جنوب إيطاليا!.

وخلال فترة الصراع على التنصيب قام الملك هنرى الرابع فى عام ١٠٨٤ بالاستيلاء على مقاليد الأمور فى روما والزج بالبابا جريجورى الرابع فى السجن بقلعة سانت أنجلو، فى ذلك الوقت طلب البابا من زعيم النورمانديين القيام بتخليصه وطرد الألمان، وعلى الفور تقدم جسكارد بجيشه نحو روما وطرد الألمان شمالاً وأطلق سراح البابا، إلا أن روما عانت فى ذلك الوقت على أيدى النورمانديين وقواتهم الأهوال والمذابح والنهب تفوق ما قبلها.

وللأسف، فقد اكتشفنا أن تاريخ أوروبا فى كل العصور الوسطى تقريبا كان يقوم فى معظمه على السلب والنهب وغزو الشعوب الآمنة والتى كانت تدين أغلبها بالمسيحية!!



وحتى لو تركنا العصور الوسطى بما كان فيها من أهوال نتجت عن تلك الحروب، وتطلعنا إلى العصر الحديث سوف نجد كماً كبيراً من تلك الحروب التى أشعلها الغرب سواء ضد الدول المسيحية أو ضد الدول الأخرى، وكلها وكما سوف نعرف كانت تصب فى نهر المصالح الخاصة، وقد راح ضحيتها ملايين البشر، وكان منهم بطبيعة الحال المؤمنون بالمسيحية مثلهم، مما يؤكد استمرار ارتباط المسيحية بالعنف، ليس ضد شعوب الأرض خاصة، بل وضد الشعوب المسيحية ورعايا ذلك الدين بشكل عام.

وهناك عشرات الكتب التاريخية التى تحدثت عن الحروب الأوروبية مع مطلع العصر الحديث، خاصة مع بدايات القرن الثامن عشر.. والتى نشبت اعتماداً على مبدأ التنافس بين الامبراطورية الفرنسية والبريطانية فى المجال البحرى والاقتصادى.

ويرى المارشال مونتجمرى، أحد قادة الحرب العالمية الثانية أن لهذه الحروب التى اجتاحت أوروبا مع مطلع العصر الحديث عدة مظاهر سياسية.. صبت جميعها فى نهر التنافس الاستعمارى بين كل من بريطانيا وفرنسا!، وكان ذلك إيذانا بحلول عصر الحروب العالمية!!.

ويرى المؤرخون أن من أشهر الحروب الأوروبية فى العصر الحديث والتى نشبت بين هاتين الدولتين هى حرب السنوات السبع والتى بدأت فى عام ١٧٥٦، وقد مثلت بالنسبة لانجلترا أسوأ الكوارث خاصة فى الأحداث الأولى لتلك الحرب حيث امتدت ميادينها خارج أوروبا إلى أمريكا الشمالية وكندا.. وقد استخدم فيها الطرفان، المتحاربان الأسلحة النارية مثل المدافع والرشاشات

والبنادق، كبداية أيضا لدخول عصر حروب الأسلحة غير التقليدية والتى كانت معروفة من قبل وفى العصور الوسطى؛ مما أدى إلى زيادة عدد الضحايا، وكثرة حالات الإبادة والتشريد والتدمير!!

وهناك آلاف الكتب التى صدرت بمختلف اللغات عن أهم الحروب العالمية التى أشعلتها أوروبا المسيحية، وفى مقدمة تلك الحروب: الحرب العالمية الأولى ثم الثانية، إضافة إلى بعض الحروب الإقليمية التى كانت نتاجاً للأسس التى تم وضعها دولياً بعد هاتين الحربين، وقد عانت منها أيضا كل شعوب الأرض، وعلى مختلف أجناسها ومعتقداتها الدينية.

ويؤكد المارشال مونتجمرى كأحد خبراءِ العسكرية الدولية أن السنوات التى وقعت ما بين عامى ١٨٧٠ و١٩١٤ كانت سنوات ما يسمى «بالسلام المسلح» فى أوربا.. وهى سنوات وقعت فيها حروب صغيرة ومتعددة وفى أماكن متفرقة فى أنحاء العالم، وكان الثمن غاليا حيث زهقت فيها أرواح الرجال، وكان للتطور التكنولوجى العسكرى دوره الكبير فى زيادة أعداد هؤلاء الضحايا..

ولقد ظل أمر هذه الحروب يتطور حتى حان وقت نشوب أول حرب عالمية فى الفترة من ١٩١٤ -١٩١٨، وكانت بحق على حد قول هذا القائد العسكرى الكبير من أدمى الحروب فى التاريخ. كما كانت النتائج المؤثرة فيها متمثلة فى الخسائر الفادحة والتى أثرت على تفكير العسكريين بعمق، إذ لم يتوافر لعدد كبير من القتلى الأوروبيين المسيحيين أى قبور.. لأن نيران المدفعية نسفتهم وحولتهم إلى أشلاء صغيرة، وفى بعض الأحيان تكون جزءاً من الخنادق، وكانت فى النهاية تلتهم الفئران هذه الجثث[١].

وكذلك يؤكد هذا القائد العسكرى المحنك أن لوحة هذه الحرب كئيبة لأنها لا تحتوى إلا على نقاط لامعة قليلة جداً.. وقد اشترك فيها جنبا إلى جنب شباب صغير يافع، لا يعرف لماذا يقاتل، وعلى الرغم من ذلك فقد ضحوا بأرواحهم

(١) المصدر السابق.

لأن زعماءهم السياسيين فى أوروبا أفهموهم بأنها ستكون «حرب لإنهاء الحرب»!!.

ومن يقرأ بإمعان تفاصيل أخرى لهذه الحرب يشعر بالمرارة والسخرية فى آن واحد.. إذ لعبت الأهواء الشخصية للحكام دوراً كبيراً فى إشعال نيرانها!!.

ولعل ذلك يبدو بوضوح فيما ذكره المؤرخ «هربرت فيشر» أحد أعلام المؤرخين فى العصر الحديث عندما قال فى تعليقه على أسباب قيام تلك الحرب: «لم تكن هناك مملكة أوروبية واحدة وضعت سياستها على أسس من السلم، بل جاشت فى كل وزارة خارجية أحلام كانت تصبو إلى تحقيقها عن طريق القتال، فقد كانت فرنسا ترنو بأبصارها إلى إعادة الإلزاس واللورين إلى أحضانها، ورغبت ألمانيا فى امتلاك مستعمرات أكثر، والسيطرة على الشرق الأدنى. ورامت النمسا إذلال صربيا، وانتزاع ثغرسالونيك من اليونان. وابتغت روسيا امتلاك مضيق البسفور والدردنيل. ونصبت صربيا شباكها لامتلاك البوسنة والهرسك، وطمعت إيطاليا فى ضم نريستا والترنيتو إليها، ورومانيا فى تملك ترنسلفانيا. بعد سلبها إياها من هنغاريا أو تملك بساربيا بعد انتزاعها من روسيا»(١).



وبالمثل كانت الحرب العالمية الثانية التى كانت أيضا على حد قول المؤرخ الكبير «هربرت فيشر» أحد نتائج التسويات العامة التى أبرمت بين دول الحلفاء وأعدائها عقب نهاية هذه الحرب، إذ كان كثير من بقاع العالم فى الفترة من (١٩١٩ -١٩٣٩) يغلى فى مراجل من الحسد والقلق والبغضاء والاضطرابات الناجمة عن المعاهدات الدولية التى أبرمت بعد نهاية الحرب الأولى، مما أدى إلى ظهور عنصر القوة باعتبارها الفيصل الأكبر فى تسوية المنازعات الدولية، الأمر الذى استوجب زيادة التسلح لدى الدول الأوربية بشكل لم يسبق له مثيل!

ويضرب لنا هربرت فيشر مثالين على ذلك بحديثه عن غزو اليابان الأراضى

(١) تاريخ أوروبا فى العصر الحديث ـ هـ. أ. ل فشر ـ تعريب احمد نجيب هاشم ووديع الضبع.

الصينية عام ١٩٣٢ . . وإقدام ديكتاتور إيطاليا موسولينى فى عام ١٩٣٣ بابتلاع الحبشة!

وكان لهاتين الحادثتين تأثير كبير على البداية الساخنة لنشوب الحرب العالمية الثانية، وذلك عندما شق الجيش الألمانى فى أوائل سبتمبر من عام ١٩٣٩ طريقه عبر بولندا . . عندئذ بدأت أعظم حرب دموية فى تاريخ العالم وأكثرها نفقة وأوسعها نطاقاً . . وأشدها تدميراً، ذلك لأنه إذا كانت الحرب الأولى مقصورة على قارة أوروبا، فإن الحرب الثانية قد شملت كل القارات فيما عدا أمريكا الجنوبية.

وقد أكرهت الدول جميعاً على دخولها حتى التى لم تشترك فيها بالفعل، هذا الإكراه جعلها تتحمل بدرجة كبيرة أو صغيرة آلامها وأن تكتوى بنارها وويلاتها وأن تشعر بكوارثها وفواجعها[(١)].

وهناك من المؤرخين الذين يرون أن المؤشر الحقيقى لاشتعال الحرب العالمية الثانية قد تمثل فى أحداث الحرب الأهلية فى أسبانيا والتى نشبت فى الفترة من ١٩٣٦-١٩٣٩، ولم يكن الرعب والهلع والذى تميزت به هذه الحرب الأهلية إلا إشارة لما سوف يأتى بعد ذلك[(٢)].

ويؤكد المارشال مونتجمرى باعتباره أحد قادة هذه الحرب أن مجمل ما نتج عما ارتكبته القوات الألمانية واليابانية وحدها وصل إلى أكثر من ٤٠ مليون قتيل! وكان منهم على الأقل ١٧ إلى ١٨ مليون مدنى. هذا طبعا بخلاف ما نتج عن إسقاط القنابل الذرية على كل من ناجازاكى وهيروشيما اليابانيتين! وذلك من جانب الولايات المتحدة الأمريكية!.

الحركات الاستعمارية وإبادة الشعوب:

لقد اكتشفنا من واقع متابعة متأنية لتاريخ الشعوب . . أن هناك شبه ارتباط قوى بين الحركات الاستعمارية وبين مبدأ الإبادة الجماعية لشعوب بعينها!!، ذلك

(١) المصدر السابق.

(٢) الحرب عبر التاريخ - مصدر سابق.

لأن الهدف كان واحداً فى كلتا الحالتين، ولذلك فقد آثرنا أن يشمل حديثنا عن الصور المتبقية من حالات العنف المسيحى. . هاتين الحالتين أو تلك الصورتين والمتمثلتين فى الحركات الاستعمارية والإبادة الجماعية.

وما نود أن نشير إليه فى هذا السياق هو أن هناك عشرات الكتب التاريخية المحايدة وغير المحايدة والتى أشارت إلى ما وقع للبشرية خاصة من أتباع المسيح عليه السلام على أيدى أبناء عقيدتهم، ليس فى حالات الإبادة أو الحركات الاستعمارية فقط ولكن كما سبق أن رأينا فقد تمثل أيضا فى أشكال الاضطهاد الدينى والحروب ومحاكم التفتيش!

ولكننا بالحديث عن هاتين الصورتين نكون قد ألقينا الأضواء المبهرة على كل ما ارتبط بالمسيحية الحديثة أو القديمة من عنف صنعه أتباعها، وهو غير موجود بالمرة فى تعاليم المسيحية الحقيقية. ولا حتى فى تعاليم المسيح عليه السلام والتى كتبها البعض بأيديهم!.



أما بالنسبة للصورة الرابعة من صور العنف المسيحى، والتى ترتبط تفاصيلها بحديث الحركات الاستعماية التى انطلقت من أوروبا مع مطلع القرن الثامن عشر للاستيلاء على مقدرات الشعوب الأخرى الغنية سواء فى آسيا أو فى إفريقيا أو فى الأمريكتين. فقد كانت هناك دوافع كثيرة وراء حركات الاستعمار الأوروبى للعالم، وقد ذكرها العديد من المؤرخين، وكلها تصب فى نهر المصالح التجارية والاستحواذ على المصادر الطبيعية والثروات الغنية للبلاد التى حطت بها جحافل الأوروبيين آنذاك.

إضافة إلى فتح أسواق جديدة لمنتجاتهم الجديدة التى زادت عن احتياجاتهم، بعد تلك الانطلاقة الكبيرة للثورة الصناعية، وكذلك حاجة هذه الدول إلى المواد الخام التى تمتلكها البلدان الأخرى.

وكانت زعامة قصب السباق فى تلك الحركات، لكل من إنجلترا وفرنسا

باعتبارهما كانتا آنذاك أكبر دولتين أوروبيتين مسيحيتين تجاريتين وقد استهدفتا معظم البلدان التى احتلتاها بالقوة.

فقد عقدوا الاتفاقـات السرية والعلنية، لابتلاع ثروات تلك البلاد، خاصة من التى كانت خاضعة آنذاك تحت حكم الامبراطوريـة العثمانيـة الإسلاميـة، سواء فى أوروبا أو آسيا أو إفريقيا، مما نتج عنه سيطـرة الـدول الاستعمـارية الأوروبيـة على مقدرات معظم شعوب الكرة الأرضية، خاصة فى القارات القديمة. .

ولقد استمر هذا البلاء لأكثر من مائتى عام !!. حيث عانى خلالها سكان تلك المستعمرات الكثير من التخريب الفكرى والوطنى، إضافة إلى النهب والسلب سواء ضد المسلمين أو المسيحيين، أو ضد غيرهم من أصحاب الملل والنحل الأخرى!.

ويذكر المؤرخون فى هذا السياق، أنه كان لتقدم البحرية فى أوروبا وتطورها الكبير منذ اكتشاف الأمريكتين، المساهمة الكبرى فى حسم العديد من النزاعات الاستعمارية بين تلك الدول!.



ولم تتوقف غايات وأهداف تلك الحركات الاستعمارية الأوروبية عند حد الاستيلاء على خيرات هذه المستعمرات. بل تعدى ذلك إلى آفاق كثيرة حيث اقترب من حافة التآمر على سكانها أملاً فى إبادتهم واستبدالهم بآخرين!!. ولا شك يدخل فى نطاق تلك الأهداف أيضا. العمل على تغيير بل وطمس هوية أبناء هذه المستعمرات. والمعروف أن هناك بلدانًا عربية كثيرة قد عانت من ذلك كثيرًا مثل مصر والجزائر وسوريا ولبنان وليبيا. ليس هذا فقط بل لقد استهدفت أيضا طمس الهوية العربية والإسلامية، بل والمسيحية أيضا، فى كل نواحى الحياة، خاصة فى اللغة والدين. وقد لاقت هذه المحاولات استنكارا كبيراً من طوائف عديدة من المسيحيين الشرقيين من الذين رأوا فى الأهداف الأوروبية

نوعاً من الإبادة لهم، مع استبدالهم بغيرهم من الأوروبيين ومن الذين يدينون بمعتقدات الكنيسة الأوروبية المتطرفة.

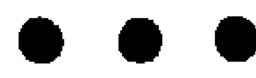


وكان هناك بخلاف ذلك وجه آخر أكثر قسوة مما سبق فيما يتعلق بحالات الإبادة الجماعية، والتى طالت المسيحيين الشرقيين، أيضا وغيرهم. هذه المحاولات تمثلت بقوة فيما وقع لشعوب إفريقيا السوداء. من الذين تعرضوا للإبادة والعبودية فيما تمثل فى نقل الملايين منهم إلى المستعمرات الجديدة فى أمريكا الشمالية والجنوبية. ثم استبدالهم بالرجل الأبيض الذى احتل بلادهم واستحوذ على خيراتها.

ولاشك كان هناك الآلاف أيضا من هؤلاء الزنوج من الذين كانوا يدينون بالمسيحية وقد راحوا وعائلاتهم ضحايا لتلك الهجمات الاستعمارية الشرسة والتى استهدفت ليس نقلهم فقط بل والقضاء عليهم كى يحلوا الجنس الأوروبى محلهم حيث كانوا يقيمون ومازالت هناك دول إفريقية عديدة تعانى من سيطرة الرجل الأبيض!

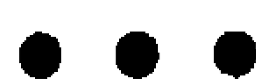
وإذا ما تركنا قارة إفريقيا لننظر بعيداً حيث العالم الجديد والذى تم اكتشافه فى الأمريكتين فسوف نعثر على آلاف بل وملايين المذابح، التى دبرت للهنود الحمر هناك. مما أسفر فعلاً عن إبادتهم بل واستئصالهم جميعاً. وقد خلت للأوروبيين تلك البلاد الجديدة بعد القضاء على أصحابها!.

ويقال فى هذا السياق أن عدد الذين أبيدوا من الهنود الحمر على يد المسيحية الغربية وصل لأكثر من أربعة ملايين هندى!، هذا بخلاف ما تعرض له الزنوج الأفارقة هناك من الذين كانوا يثورون دائما على أوضاعهم.



وبشكل عام نستطيع القول: بأن أتباع المسيحية خاصة من الأوربيين المتطرفين قد انقلبوا فعلاً إلى وحوش كاسرة، أخذت تلتهم كل من يقف فى طريقها لأجل الاستحواذ على العالم سواء الجديد أو القديم!، واستنزاف خيراته، بلا تفرقة

حقيقية بين ما هو مسيحى أو غير مسيحى. وهذا ما نريد توضيحه للمرة المليون!، من أجل بيان كيفية انقلاب تعاليم المسيح عليه السلام، إلى التناقض، عندما تحولت على أيدى أتباعه إلى مجرد كلمات جوفاء يرددونها وقتما يشاءون، وفقط للدفاع عما اقترفته أيديهم من جرائم عنف، ولازالت الدماء البريئة تنزف بها من بين أصابعهم.



وسيراً على هذا النهج الملعون. ومن بعد نجاح القوى الوطنية فى التخلص من زعماء تلك الوحوش الاستعمارية الكاسرة. استدارت أوروبا فى العصر الحديث، ومن خلفها الولايات المتحدة الأمريكية، لممارسة ألوان جديدة من الإبادة، خاصة باللجوء إلى نتائج العلم الحديث، إضافة إلى ما تستخدمه فى مجال الأسلحة النووية المرعبة!!.

الفصل الثالث

ملامح التعاون بين الإرهاب اليهودى.. والتطرف المسيحى

هناك اعتقاد مايزال سائداً إلى اليوم خاصة لدى معظم الدارسين وبعض المؤرخين. . بأن التحالف اليهودى المسيحى، ضد ما هو مخالف لهما سواء فى العقيدة أو فى الأفكار والمصالح، إنما قد بدأ مع مطلع العصر الحديث!.

هذا الاعتقاد فى تصورنا الشخصى فيه جانب كبير من القصور. . ذلك لأننا نعتقد بأن التحالف بين الإرهاب اليهودى والعنف المسيحى المتطرف قد بدأ منذ اعتراف الدولة الرومانية بعد ظهور المسيح عليه السلام بأكثر من ثلثمائة عام بالمسيحية كدين رسمى للدولة. وذلك بعد معاناة واضطهاد دام كل هذه السنوات الطويلة. . وراح ضحيته كما عرفنا من قبل الآلاف من أتباع الديانة المسيحية.

هذا التحالف الذى بدا على استحياء خلال هذه الفترة المبكرة خاصة من جانب بنى إسرائيل، قد ازداد مع مرور السنين. . وبعد إحساس اليهود بأن هذا الدين الجديد قد فرض نفسه عليهم وعلى الآخرين من بعد دخوله إلى نفق السياسة واعتراف أباطرة الرومان به كدين رسمى لدولتهم العظمى.

وكما مر علينا من قبل فقد قاسى الدين المسيحى وأتباعه اضطهاداً دينيًا عظيمًا على أيدى اليهود، خاصة ارتكابهم جريمة القبض على المسيح عليه السلام تمهيداً لمحاكمته وصلبه!

هذا الاضطهاد الذى استمر لسنوات طويلة، مما أجبر الآلاف من أتباع هذا الدين الجديد لمهادنة بنى إسرائيل، ثم البحث عن وسائل للتحالف معهم، برغم مقاومة الوثنيين أو الذين لا يؤمنون بالأديان!!

وقد انقلب حال هذا التحالف.. إذ أخذ اليهود يسعون بكل ما لديهم من وسائل لزيادة فاعلية تحالفاتهم على الأقل من جانبهم لتحفيز الجانب المسيحى على زيادته من جانبهم هم أيضا.

وليست هناك شواهد تثبت على سبيل اليقين استمرار ذلك التحالف خلال العصور الوسطى، وهى العصور التى اختفى فيها اليهود تماماً من العالم المسيحى، وفضلوا العيش فى عزلة مع أنفسهم وفى مجتمعات مغلقة خاصة بهم بحجة الحفاظ على نقاء الدين اليهودى وإبعاد الآخرين من الدخول فيه والإيمان بما جاء به!!.

ومن جانب آخر كانت هناك وفى الفترة نفسها خاصة لدى أتباع المسيح عليه السلام مشاكل متعددة، مما أدى إلى تخفيف حدة ذلك التحالف، بل واختفائه لسنوات، وكانت فرصة اليهود كبيرة خلال فترة انعزالهم الإرادى.. لأجل دراسة كيفية إحياء تحالفهم مع النصارى واستغلاله لصالحهم، خاصة أنهم قد نجحوا منذ البداية فى إحداث وقيعة كبيرة بين هؤلاء المسيحيين الأوائل وبين المسلمين، وحتى لا يجتمعوا ضدهم.. باعتبار أن المسيحيين هم أقرب الناس إلى المسلمين.. مصداقا لقول الله تعالى: **﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود.. والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون﴾** صدق الله العظيم.

ولما نجحوا فى تحقيق ذلك الهدف جزئياً.. سارعوا لإتمامه كلية، وقد ساعدتهم الظروف على ذلك..

ورويداً.. رويداً.. وكما سوف نعرف بعد ذلك.. استطاع اليهود إتمام هذا التحالف وبقوة خاصة ضد المسلمين، بعدما انساق وراءهم المسيحيون الغربيون المتطرفون بلا أدنى تفكير أو روية. وقد أفهموهم بأن ذلك التحالف يجب أن

يكون مع اليهود وليس مع المسلمين.. لأن فيه الفائدة الكبيرة لتحقيق مصالحهم قبل مصالح اليهود أنفسهم!!!.

والحق.. فإن بنى إسرائيل، قد بذلوا كل جهدهم لأجل إثبات أهمية ذلك التحالف مع المسيحيين بتحقيق نتائج إيجابية ظهرت بعضها فى العصور الوسطى، خاصة عندما ساهموا فى إشعال الحروب الصليبية وأفهموا المسيحيين الغربيين بأنها ستكون بدايات طيبة فى طريق الانتقام من المسلمين الذين لم يرتكبوا ذنباً يعاقبون عليه!!

ولما نجحوا فى إشعال تلك الحروب، وإجبار الأوروبيين على المشاركة فيها بحجة حماية قبر المسيح وأرضه وتخليصها من أيدى المسلمين.. ظهرت فى الأفق تحالفات أخرى أكثر قوة وأكبر نفعاً.. وقد تولت الصهيونية العالمية إكمال ذلك المشوار، الأمر الذى جعل من كل الدول الأوروبية المسيحية تقع تحت سيطرة الإرهاب الصهيونى، ولم يكن لهذا الإرهاب أن ينجح إلا بإتمام ذلك التحالف مع الجانب المظلم فى المسيحية.. عندما فرض العنف رأيه بالقوة على عقيدة هؤلاء المتطرفين الذين مشوا فى ركاب الصهيونية اليهودية.. والذين آمنوا بأن.. الإرهاب لا يتحالف إلا مع العنف.

وإذا كنا من قبل قد ألقينا باللوم الشديد على اليهود فى سعيهم لإتمام ذلك التحالف الشيطانى.. فلا يجب أن نهمل أبداً آراء ومواقف معتنقى المسيحية المتطرفة فى الغرب من الذين تلاقت أهدافهم مع أهداف بنى إسرائيل سواء أكانت سياسية أم اقتصادية، ومن قبل كانت عقائدية. وذلك لتحقيق أكبر قدر من المكاسب، ليس على حساب المسلمين فقط بل وعلى حساب كل شعوب العالم المغلوبة على أمرها!!

هؤلاء الذين يعتنقون ما يسمى الآن بالأصولية المسيحية، ويؤمنون فى الوقت نفسه بالصلة المؤكدة وغير القابلة للانفراط بين المسيحية واليهودية.. باعتبار أن المسيح كان فى الأصل من بنى إسرائيل، وأن أتباعه كانوا فى الأصل من اليهود، وبالتالى فإن التعاون والتحالف مع اليهود، سوف يكون أكثر نفعاً من التحالف مع غيرهم.

وللأسف فقد وجد هذا التيار الأصولى المتطرف رواجاً كبيراً وواسعاً خاصة مع مطلع العصر الحديث، عندما تلاقت المصالح الاقتصادية والسياسية، والتى فرضت نفسها بقوة متخطية بذلك مفهوم العقيدة الدينية التى كانت فى الأصل على وشك الاندثار!

ولقد حاولنا من قبل أن نثبت ذلك عملياً بالأدلة والبراهين. وقدمنا كل ما يساهم فى بيان ذلك، خاصة بعدما اقتربت المسيحية من حافة العنف وابتعدت عن السماحة والطيبة والحكمة والموعظة الحسنة التى أخذ ينادى بها المسيح عليه السلام طويلاً ومن قبل أن يرفعه ربه إلى السماء.

وكذلك نستطيع أن نقول فى هذا السياق .. أن أزهى عصور التحالف الشيطانى بين الإرهاب اليهودى والعنف والتطرف المسيحى قد ظهر بقوة غير مسبوقة مع بدايات الحرب العالمية الأولى. عندما فرض اليهود أنفسهم من خلال ما يملكونه من أموال ومؤسسات اقتصادية ضخمة، إضافة إلى الدور الذى لعبته الصهيونية العالمية وقوتها فى إتمام ذلك التحالف ومباركته!!.



والسؤال الذى يفرض نفسه فى سياق هذا الحديث لابد أن يكون عن أهم النتائج والأهداف الملموسة والتى ترتبت بقوة على عقد ذلك التحالف غير الدستورى أو القانونى؟!

والإجابة على السؤال ذاته، كانت تحتم علينا ضرورة تتبع تاريخ العلاقات الإنسانية والثقافية بين الإسلام وبين المسيحية، خاصة بعد القرن العاشر الميلادى، وبعد نجاح اليهود فى التأثير سلبا على هذه العلاقات، مما أدى إلى إنعاش هذا التحالف.

فمن خلال هذا التتبع التاريخى المقصود استطعنا أن نرصد خمس نتائج على جانب كبير من الأهمية، حققها هذا التحالف تحت أسماع وأبصار قطاع عريض من المسلمين وفى كل مكان!..

ولسوف نسوقها أولاً على سبيل الإجمال.. ثم نفسح المجال لمناقشتها تفصيلاً على أمل الوقوف على أبعادها.. إما للرد عليها وأخذ الحيطة والحذر من قبل

استفحالها وإما لدراستها دراسة جدية.. حتى تكون ماثلة أمام أعيننا جيلاً بعد جيل.

والأهداف أو النتائج التى استطعنا رصدها والتى سوف نسوقها أولا بإيجاز هى:

●● محاربة دين الإسلام.

●● نهب ثروات البلاد الإسلامية.

●● تفكيك العالم الإسلامى.

●● إقامة إسرائيل الكبرى.

●● العالم تحت راية الصليب!.



ولاشك أن الوقوف على التفاصيل التى نقصدها من وراء بيان هذه الأهداف أو تلك النتائج إنما يؤكد بالدلائل القاطعة ضلوع التحالف اليهودى والمتمثل فى الإرهاب إلى جانب العنف والتطرف المسيحى فى محاولات للقضاء على الإسلام ديناً وشريعة وثروات سواء طبيعية أو بشرية.

وكما يؤكد فى الوقت نفسه ذلك الانحراف الشائن الذى انزلق إليه المتطرفون من أتباع المسيح عليه السلام. سعيا وراء أوهام شيطانية صورها لهم اليهود.. لا لشىء إلا تحقيقاً لمصالحهم الخاصة، والتى سوف تتم رغم أنف الجميع، وهى مصالح منصوص عليها فى كتب اليهود المقدسة وغير المقدسة، بل وتسعى إلى تحقيقها الصهيونية العالمية سواء بالقوة أو بالمفاوضات المشروعة وغير المشروعة. والتى وجدت مبتغاها.. فى تلك الرغبة الأوروبية المحمومة لمحاربة الإسلام والمسلمين، نشراً للمسيحية على حد زعمهم.

وحتى المسيحية التى يروجون أنها تدفعهم إلى ذلك. تتبرأ منهم ولا تنص على ذلك أو تشجعه!، ولسنا فى حاجة إلى التأكيد على ضرورة الإنصات لمناقشتنا لتلك الأهداف.. على أمل أن تجد اهتماماً كبيراً من جانب الدارسين المسلمين

وذلك للعمل على تصحيحها أو مقاومتها.. بالموعظة الحسنة. أو بالسيف إذا لزم الأمر وأصر الآخرون على رفض اللجوء إلى الحوار!.

●● محاربة دين الإسلام:

لسنا فى حاجة إلى التأكيد على حقيقة تاريخية على جانب كبير من الأهمية ومعروفة لدى الكثيرين.. ومؤداها أن بنى إسرائيل ومنذ أقدم العصور.. يقفون فى طابور أعداء البشر.. إضافة إلى أنهم من أكثر أصحاب الديانات معاداة للدين الإسلامى.. بل ومعاداة لكل الأديان والشرائع السماوية.

ولقد بدأ هذا العداء وبقوة منذ مطلع نور هذا الدين الحنيف على أرض الحجاز فى القرن السادس الميلادى، إذ ظهرت ملامح الإرهاب اليهودى ضد هذاالدين وضد أتباعه، بل وضد نبيه الكريم محمد عليه الصلاة والسلام، منذ أن كانوا يعيشون معا فى أرض الجزيرة العربية سواء فى المدينة أو فى غيرها من المدن الإسلامية آنذاك.

وسبب ذلك العداء واضح ومعروف.. إذ فضحهم القرآن الكريم وفضح محاولاتهم المتكررة لتزوير وتحريف التوراة وإيذائهم لنبيهم موسى عليه السلام.

بل وإقبالهم على اتخاذ نفس الخطوة لتحريف الإنجيل والعمل على إبعاد أهل ذلك الدين الحنيف وإنحرافهم بشريعة السماء من خط التوحيد إلى طريق الشرك!

ولما عرف الناس جميعهم بإرهاب اليهود خاصة فيما يتصل بالديانات والشرائع الوحدانية. خاصة مما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.. زاد عداء اليهود لهذا الدين ولكل أتباعه!..

ولقد بدأوا مشوار عدائهم هذا بمحاربة النبى الكريم وأصحابه ثم بمحاولات تشويه ذلك الدين القيم، والتحالف مع الكفار لصالح ضرب أتباع دين الإسلام.

ولما فشلت كل تلك المحاولات فكروا فى التخلص من رسول الله ﷺ بقتله

مسموماً أو مذموماً، مثلما حاولوا ذلك من قبل مع نبى الله عيسى عليه السلام.

ثم جاءت أوامر السماء بالبدء فى معاقبة هؤلاء المذنبين وطردهم من أرض الحجاز. . ومن فضل الله لم ينتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلا بعدما شاهد وشارك فى طرد هؤلاء اليهود من هذه البلاد المقدسة!

وحتى بعد أن تم طردهم من أرض الحجاز. . وقد تجمعوا بعد ذلك فى بلاد الشام وعلى أطراف الجزيرة العربية، ظلوا كاظمين ذلك العداء فى قلوبهم إلى حين، ومع ذلك فقد كانوا كثيراً ما يظهرونه فى مناسبات كثيرة خاصة فى تحالفهم مع أعداء الإسلام سواء من المشركين أو من المرتدين أو من أصحاب الديانات الأخرى!

بل وأكثر من ذلك فقد حاولوا كثيراً تحريف القرآن الكريم، وبعض لمحات من سيرة النبى المصطفى عليه الصلاة والسلام، مثلما فعلوا قبل ذلك مع التوراة والإنجيل ولكن الله سلم، وتم فضح تلك المحاولات وكشفها على أيدى عدد كبير من علماء المسلمين.

ولما ضاق عليهم الخناق فيما يخص حربهم ضد الإسلام. . ظلوا فى انتظار ظهور حلفاء جدد لمعاونتهم فى تلك الحرب. . والغريب أنهم قد نجحوا فى إقناع أتباع الدين المسيحى، بأن الدين الإسلامى يمثل خطورة على دينهم!! مثلما هو خطر على دينهم اليهودى!!.

ونظراً لما يملكونه دائما من وسائل مادية ومعنوية عظيمة حباهم بها رب العالمين وجحدوها ولم يشكروه على نعمائه!، فقد تمكنوا من إقناع هؤلاء الأتباع إلى درجة اليقين بأن دين الإسلام بالفعل يمثل خطورة شديدة على المسيحية!!!

وبدءاً من القرن السابع الميلادى نلاحظ أن المسيحيين فى الغرب بالذات قد أخذوا تحذيرات اليهود مأخذ الجد، وبالتالى فقد بدأوا يعدون معداتهم وأنفسهم للمشاركة فى الحرب ضد الإسلام.

عندئذ التقت الشياطين، واتحدت المصالح. . وتقدم الصفوف كل الذين يحملون فوق أكتافهم وأعناقهم رايات الإرهاب اليهودى مستأنسين برافعى رايات العنف المسيحى!

والغريب أنه سرعان ما تقدم رافعو رايات ذلك العنف إلى الأمام ليحتلوا مكان إرهاب بنى إسرائيل فى طابور هذا العداء وتلك الحرب. .

وفى يقينى الشخصى أن ذلك كان مرجعه فى الأصل إلى بنى إسرائيل أنفسهم من الذين زجوا بأتباع المسيح عليه السلام إلى تلك الهوة السحيقة من العداء، ثم تركوهم لاستكمال ذلك المشوار، وهم بجوارهم يشجعونهم بقوة السلاح والأموال والإعلام، حتى وكأن ما نراه اليوم ماثلاً أمام أعيننا، يشبه إلى حد كبير ما كان من أتباع المسيح عليه السلام فيما مضى، عندما تخلوا عن تسامحهم وطيبة قلوبهم ووفائهم لنبيهم الكريم عليه السلام. كى يتفرغوا فقط لمحاربة الدين الإسلامى!

والسؤال الذى يفرض نفسه هنا: ولماذا!؟. مع أن هذا الدين الحنيف يعترف بكل الأديان السماوية، ومنها بطبيعة الحال. . المسيحية. ليس هذا فقط، بل إنه الدين الوحيد الذى يرفع من مكانة وقدر السيدة مريم أم المسيح عليه السلام باعتبارها من أعظم نساء العالمين. وكذلك من مكانة المسيح نفسه والذى خلقه ربه العظيم من غير أب، كمعجزة كونية فريدة. وفى مقابل ذلك نرى أن اليهود يكيلون لهذه السيدة العظيمة وابنها الاتهامات الباطلة!.

وعلى أية حال فإن هناك آلافا من الصور الأخرى، والتى نستطيع أن نتبين من تفاصيلها. . مَن من الأديان السماوية الأقرب إلى المسيحية؟!. وبشكل عام فإن كل من يقف على تفاصيل تلك الصور بشرط توافر الحيدة. . لابد له أن يشير وبدون تردد، بأنه دين الإسلام. . ولكن ومع شدة الغفلة التى بات يعيشها المسلمون فى كل بقاع الأرض - حتى وكأنما قد بات لا يعنيهم ما يحدث لدينهم وعقيدتهم ومستقبلهم - فقد انتعش ذلك التحالف، واستمر بقوة طوال عدة سنوات، بل واتخذ من صفة العلانية طريقاً لإظهار قوته وبالذات فى العصر

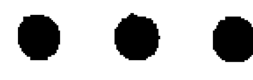
الحديث. خاصة عندما تحول فى صورة منافع يتم تبادلها باستمرار بين اليهود وبين مسيحيى الغرب!!.

ومما لاحظناه فى مسيرة ذلك التحالف الطويلة، شدة ذكاء اليهود الذى تمثل فى تخاذلهم عن إتمام بعض بنوده فى بعض مراحل التاريخ، تاركين أصحاب العقيدة المسيحية بعدما تحولت إلى العنف، وحدهم داخل أرض معركة العداء ضد المسلمين، وذلك على سبيل التقييم المستمر وإعادة ترتيب الأوراق، وحساب المكاسب والخسارة، فيما حققوه من نتائج تشملهم وحدهم من دون الآخرين.

ثم نراهم سرعان ما يعودون من جديد.. إلى حلبة هذا التحالف، أكثر شراسة مما كانوا عليه.. فهى فرصتهم التى مهدوا لها وبحثوا عنها طويلاً، وقد حان الوقت وفق تصورهم مما يستوجب عليهم أن يُظهروا فيه وبقوة تحالفهم الكبير مع مسيحيى الغرب خاصة ضد كل ما هو إسلامى!

وهم لا يكتفون بذلك فقط، بل ويحاولون استغلال كل فرصة سواء داخل أى مؤتمر علمى أو سياسى أو اقتصادى أو حتى اجتماعى، للإعلان عن هذا التحالف وبنوده وأهدافه. وهم دائما يضعون فى حساباتهم.. ضرورة استخدام كافة الوسائل المشروعة وغير المشروعة للوصول إلى تلك الأهداف!، مما كان له أكبر الأثر داخل نفوس المسيحيين الغربيين لاستمرارهم داخل هذا الحلف الشيطانى، وبالتالى زيادة جرعة عنصريتهم وعدائهم للإسلام، بل والعمل على توسيع نطاقه وتنويع أساليبه من جانبهم أيضا.

وقد شمل فعلاً كل عناصر حياتنا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والإعلامية والعلمية أيضا، وهذا ما يحدث أمام أعيننا الآن فعلاً، بل وفى كل مكان ينتشر فيه الإسلام. وللأسف، لا يزيد موقفنا تجاهه على مصمصة الشفاه والتعجب والحسرة.. والضحك كمداً أحياناً!!



وإذا ما كان الإرهاب اليهودى قد لجأ إلى آلاف الوسائل المشروعة وغير

المشروعة لضرب الإسلام والنيل من أتباعه.. سواء وهم بداخل هذا التحالف أو خارجه ـ وكثيراً ما يصيبهم الفشل بفضل الله ـ فإن العنف المسيحى ذاته.. قد أراد الاعتماد تقريبا على نفس تلك الوسائل، ولكن بأشكال وأساليب كانت أكثر تطوراً لمواكبة العصور التى تظهر بها.

ولقد لاحظنا فى هذا السياق. أن ارتباط مسيحيى الغرب المتطرفين تجاه هذا العداء.. اتضح بقوة منذ نجاحهم المؤسف ضد الإسلام والمسلمين فى الأندلس، وقد أعقبوا ذلك بما سبق أن ألقينا عليه الضوء المبهر والمعروف تاريخياً باسم «محاكم التفتيش».

هذه المحاكم التى استغلوها أسوأ استغلال لمعاقبة المسلمين فى أوروبا من الذين تبقوا بعد زوال الامبراطورية الإسلامية هناك.

وقد حاولوا من خلال تلك المحاكم.. التفتيش فى نفوس أتباع هذا الدين وإجبارهم على الدخول فى المسيحية!، أو الموت تعذيباً تحت وطأة أحكام تلك المحاكم الظالمة!

ووفقاً لتقديرات المؤرخين الذين اهتموا بهذه القضية، فقد راح ضحية هذه المحاكم من المسلمين وحدهم مالا يقل عن مليون مسلم!، من أبناء الأندلس وكل البلاد الأوروبية التى دخلها الإسلام آنذاك!.

ولما استطاع المسيحيون الأوروبيون إسكات الصوت الإسلامى إلى الأبد داخل نفوس أتباعه فى أوروبا.. استداروا للبحث عن غيرهم من المسلمين فى كل مكان لإجبارهم على دخول المسيحية، وترك الإسلام..

وقد اعتمدوا فى ذلك على ما أسموه بالاستشراق، أو ما يسميه د. رفيق حبيب بنشاط امبراطورية التبشير الأوروبية! الذى بدأ بقوة فى القرن السابع عشر وما تلاه من قرون على يد الكاثوليك، وعبر رهبانهم، ثم على أيدى البروتستانت فى القرن التاسع عشر.. حتى أصبحت من ملامح

التاريخ المسيحى. نظراً لدورها فى نشر المسيحية عبر كل قارات العالم المسكون(١).

وفى تصورنا الشخصى أن أسس ذلك الاستشراق وكذلك حركات التبشير وكما سبق لنا أن أوضحنا إنما قد ساهم فى وضعها آنذاك اليهود أنفسهم، عندما نجحوا فى إقناع حلفائهم من المسيحيين المتعطشين للعنف بأنها من أهم الوسائل المعتمدة فى مجال الحيلولة دون انتشار الإسلام، بل والمساهمة فى توسيع رقعة الإيمان بالمسيحية، وهو ما يهدفون إليه، لإشعال نيران الحقد داخل صدورهم وبالتالى زيادة حالات محاربة الإيمان بداخل صدور أتباع الإسلام فى العديد من بلدان العالم!!.



وعندما يتطرق الحديث إلى موقع ذلك التحالف فى عصرنا الحاضر.. خاصة فى تلك السنوات التى نعاصرها الآن.. وربما منذ أكثر من خمسين عاما فقط.. سوف نلاحظ أنه قد ازداد شراسة وقوة فى ظل بروز عدة عوامل يسأل المسلمون عن بعضها وأكثرها.. خاصة بعد أن كشفت الصهيونية الحديثة عن وجهها القبيح، وإعلانها فى عدة مؤتمرات دولية وإقليمية ضرورة تفعيل تحالفها الإرهابى مع الأصوليين المسيحيين فى الغرب ثم فى أمريكا لضرب الإسلام والقضاء عليه!.

وقد قوبل هذا الإعلان بترحيب غير معهود من جانب المسيحية الأوروبية، لاعتقاد أتباعها بأن هذا التأييد الصهيونى سوف يساهم وبشكل فعال فى إشعال الحرب الدينية الحديثة مع المسلمين، وأن ذلك سوف يكون المقدمة التى يشار إليها فى بعض الكتب المقدسة، لأحداث الألفية الأخيرة التى سوف تمهد لظهور المسيح عليه السلام من جديد لكى يحكم العالم ألف عام أخرى، تحت راية الصليب!. ثم يلى ذلك قيام الساعة!

ولو تدبرنا ذلك الحلم الذى سوف نناقشه بالتفصيل فى الفقرات القادمة كأحد نتائج هذا التحالف، سوف نجد أن المسيحيين فى أوروبا قد أخطأوا فهم مضمون

(١) المسيحية والحرب ـ د. رفيق حبيب.

هذا الحدث والذى أشارت إليه أيضاً. بعض الأحاديث النبوية الشريفة، وبعض الأناجيل المقدسة. إذ من المؤكد حقًا أن المسيح عليه السلام سوف يعود إلى الأرض مرة أخرى، لا لكى يحكم العالم تحت راية الصليب كما يشيعون هم ذلك، بل لكى يكسر ذلك الصليب، معلنا العودة إلى وحدانية الله تعالى، وإعلاء كلمة الإسلام، وبالتالى سوف تبدأ فترة حكم عادلة للعالم كله تحت راية الإسلام.

ولقد واصل هذا العداء ارتفاع معدله وقسوته بالإعلان المستمر من جانب المسيحيين فى الغرب ومن خلفهم اليهود، بأن الإسلام هو دين الإرهاب، وأن ما يدعون إليه فى تحالفهم المشبوه وما به من أباطيل وخرافات وتزوير وتحريف إنما هو العدل والسلام بعينه!

فبأى عقل وأى منطق وأى فكر مستنير نقبل هذا الخلط، وهذا الضلال القائم على قلب الحقائق والمفاهيم، وعلى رغم من وضوح كل ذلك حتى للمفكرين المحترمين وأصحاب الرأى المستنير داخل المجتمعات الأوروبية، فإن دعوتهم الملعونة بأن الإرهاب هو الإسلام أصبحت وللأسف هى السائدة اليوم!!.

●● نهب ثروات البلاد الإسلامية:

ثم نأتى للحديث عن المظهر الثانى من مظاهر هذا التحالف، وأيضا عن نتائجه وهو المتمثل فى مشاركة الإرهاب اليهودى والعنف المسيحى فى نهب ثروات العرب والمسلمين فى كل مكان!، مع ضرورة التأكيد فى السياق نفسه على أن الهدف الأكبر والأسمى لذلك التحالف إنما يتمثل فى القضاء على الأمة العربية باعتبارها هى أساس هذا الدين الحنيف.. وبأنها تمثل أكبر مستودع لخيرات الله تعالى فى نصف الكرة الأرضية سواء الطبيعية أو البشرية أو الاقتصادية، وكذلك باعتبارها ثالثاً: من أكبر مناطق العالم الإسلامى جغرافياً!.

ولقد مر هذا النهب بعدة مراحل كما شهد عدة صور، والمتتبع الواعى لتاريخنا

الوطنى، المتمثل فى تاريخ الإسلام والعروبة سوف يكتشف بوضوح أن خطة نهب ثروات الأمة الإسلامية لم تبدأ بين يوم وليلة. . ، بل فى واقع الأمر كان لها جذور عميقة، تمتد لمئات السنين.

وفى تصورنا أن النهب الأوروبى لثروات العالم الإسلامى، والذى تحالف فيه اليهود والمسيحيون فى الغرب، إنما بدأ على سبيل التجريب، مع نجاح القوات الأسبانية فى استرجاع بعض أراضيها من المسلمين فى الأندلس، وقد نشطت آنذاك كل القوى المعادية للإسلام وكذلك حركات السلب والنهب معنوياً ومادياً، مما دفع ببقية الأوروبيين. . وفق تعليمات كبار رجال الكنيسة بالمشاركة فى تفعيل تحالف النهب والسلب للاستيلاء على ثروات المسلمين حتى خارج أوروبا نفسها، تحقيقا لما كانوا يقرأون عنه فى حكايات ألف ليلة وليلة والتى ترجمت إلى لغاتهم، وكذلك بقية الأعمال الأدبية العربية المشهورة.

كما كان لليهود وبلا أدنى شك ـ وفى هذا التوقيت المبكر من العداء والنهب ـ دور محورى، فى إمداد المسيحيين بما هو مطلوب لتفعيل الحركات القائمة على النهب والسلب والاستيلاء على كل ما هوُ إسلامى، حيث كان يعمل معظمهم فى سلك الخدمة داخل قصور المسلمين ولدى حكامهم آنذاك، مما سهل على الأوروبيين. . الوصول إلى أسرار هذه القصور، ومعرفة نقاط ضعف المسلمين ومناطق غناهم. كما كانوا فى الوقت نفسه متعطشين لأموال المسلمين ولدمائهم، وما دفعهم إلى ذلك ما كانوا يتصفون به آنذاك من سمات البربرية التعصبية التى كانت منتشرة فى كل ربوع أوروبا منذ وقت مبكر.

ليس هذا فقط، بل ولقد امتد السلب والنهب إلى ثروات المسلمين العلمية، وكنوزهم الفكرية آنذاك. .

والمتتبع الواعى لتراث الأمة الإسلامية سوف يعرف بالتفصيل. . كيف سرقوا علوم المسلمين ومؤلفاتهم ثم نسبوها إلى علمائهم ظلماً وزوراً، حتى أن بعض المؤرخين المنصفين من الأوروبين أنفسهم قد اعترفوا بفضل الحضارة الإسلامية التى انتشرت فى أوروبا بانتشار الإسلام على الحضارة الأوروبية الحديثة!

ويبدو أن نجاح الأوروبيين ومن ورائهم اليهود فى إتمام هذه الخطوة.. قد شجعهم مرة أخرى على التقدم لخطوات جديدة فى سعيهم للنهب والاستيلاء على العالم الإسلامى وخيراته، وقد بدا ذلك بوضوح فيما اقترفته أيديهم من سرقات ونهب وقتل، عند إعلانهم عن بداية الحروب الصليبية، والتى دعا إليها كما نعرف أحد كبار الباباوات المسيحيين الأوروبيين، وبحجج واهية ومغلوطة!، وكانت تلك الحرب وما تلاها من حروب أخرى قد وصلت فى رأى العديد من المؤرخين إلى ست حروب صليبية، فرصة ذهبية لاستكمال بنود ذلك التحالف الشيطانى بين الإرهاب اليهودى والعنف المسيحى لنهب العالم الإسلامى، وسرقة أمواله وممتلكاته!، خاصة إذا ما عرفنا أن معظم جنود هذه الحروب من الأوروبيين إنما كانوا من العاطلين والمجرمين وأصحاب السوابق من الذين رأوا فى تلك الحروب منفذاً عظيماً لهم إما للهروب من خطاياهم أو لتغذية تلك الخطايا بجرائم جديدة.

ويكفى تدليلاً على ما نقوله.. أن ننقل بعض الصور الحية من صور هذا النهب وذلك من واقع ما سطره المؤرخ الكبير «ول ديورانت» فيما كتبه عن جرائم الحملة الصليبية الرابعة (١٢٠٢-١٢٠٤م) بالقسطنطينية وذلك فى قوله:

«لقد أقلع الأسطول العظيم المكون من ٤٨٠ سفينة فى أول يوم من شهر أكتوبر ١٢٠٢م. وسط مظاهر الابتهاج والتهليل بينما كان القساوسة الواقفون على أبراج السفن الحربية ينشدون نشيد «تعال أيها الخالق الروح».. ووقف هذا الأسطول الضخم أمام القسطنطينية فى الرابع والعشرين من شهر يونيه سنة ١٢٠٣م.. ولقد رأوا القسطنطينية فسال لعابهم لأنهم لم يكونوا يعتقدون أن فى العالم كله مدينة فى مثل هذا الثراء حين اقتربوا من الأسوار الشامخة والأبراج الضخمة التى تتألف منها والقصور المنيعة والكنائس العالية التى لا يحصى عددها»![1].

(١) قصة الحضارة ـ ول ديورانت.

ثم هناك صورة أخرى أكثر بشاعة من سابقتها. . نقلها إلينا الكاتب المسيحى المتعصب «مكسيموس مونروند»، وهو يقول فيما كتبه:

«. . ومنظر أورشليم استحال بغتة إلى مشهد جديد، لأنها فى أيام قليلة انقلبت من ديانة إلى أخرى، ومن شرائع إلى غيرها، ومن مراسيم وعوايد إلى أخرى، ومن سكان إلى غيرهم. فالغالبون أضحوا أغنياء بالغنائم التى امتلكوها بين أيديهم «فالقايد تنكريد» (القائد) قد امتلك جميع الغنى الذى وجد فى جامع عمر، وهذه قد كانت عظيمة المقدار والقيمة حتى أنه حسب تقدير أحد المؤرخين: لم تكفها ست عربات كبيرة لنقلها، وأنه قد استمر هو مدة يومين مباشراً إخراجها من ذاك الجامع»[1].

ولم يكن لهؤلاء الجنود المسيحيين الغربيين الذين اقترفوا هذه الجرائم ضد كل ما هو إسلامى. . أن يقوموا بمثل ما قاموا به فى أثناء تلك الحروب من تلقاء أنفسهم، بل لقد كانوا ينفذون أوامر كنائسية عليا. . بدليل ما جاء فى هذا الخطاب الذى ألقاه البابا «أوربان الثانى». وصاحب فكرة هذه الحروب خاصة حينما قال: «يامن كنتم لصوصاً كونوا الآن جنوداً. لقد آن الزمان الذى فيه تحولون ضد الإسلام تلك الأسلحة التى أنتم حتى الآن تستخدمونها بعضكم ضد بعض. فالحرب المقدسة المعتمدة الآن هى: فى حق الله عينه وليست هى لاكتساب مدينة واحدة، بل هى أقاليم آسيا بجملتها مع غناها وخزائنها العديمة الإحصاء!، فاتخذوا محجة القبر المقدس، وخلصوا الأراضى المقدسة من أيادى المختلسين وأنتم املكوها لذواتكم، فهذه الأرض حسب ألفاظ التوراة تفيض لبناً وعسلاً، ومدينة أورشليم هى قطب الأرض المذكورة. . والأمكنة المخصبة المشابهة فردوساً سماوياً»!![2].



(١) الإسلام والآخر ـ د. محمد عمارة ـ مصدر سابق.

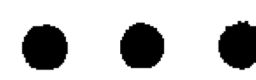
(٢) تاريخ حرب الصليب ـ العلامة مكسيموس مونروند.

وبعدما أزيح كابوس هذه الحروب.. ورجوع أغلبهم إلى الصواب بالسيف..، وبعد مرور أكثر من قرنين من الزمان.. عاد ذلك التحالف اليهودى المسيحى لينشط من جديد.. وليطل برأسه بقوة مع مطلع العصر الحديث، مواصلاً خطته السابقة لاستنزاف ونهب وسرقة مقدرات وخيرات الشعوب الإسلامية خاصة العربية منها..

ويبدو أن هذا الانفصال الزمنى بين ما هو حادث اليوم ومنذ بداية العصر الحديث وبين ما كان من أحداث قد وقعت بعد الحروب الصليبية ضد الإسلام، كان فقط مجرد فترة لالتقاط الأنفاس لإعادة توزيع الأدوار، ثم دراسة أساليب أكثر شراسة لتحقيق المزيد من النهب والسرقة فى إطار خطة ذلك التحالف القديم والقائم على ضرب الإسلام والانتقام من المسلمين!

والملاحظ أن مطلع العصر الحديث قد شهد انطلاقة كبيرة فى مجال تنفيذ بنود ذلك التحالف فى صور جديدة، كان أقساها المتمثل فى صورة ما يعرف فى التاريخ بالحركات الاستعمارية، والتى ناقشنا أصولها من قبل عندما انطلق المارد الأوروبى المسيحى الظالم ومن خلفه الشيطان اليهودى لتنفيذ أهداف تلك الحركات الاستعمارية.. بالاستيلاء ليس على مقدرات المسلمين فقط وخيراتهم، بل والاستيلاء كذلك على أراضيهم وما فيها من ثروات طبيعية وبشرية واقتصادية. على أمل ضرب هذا الإسلام كعقيدة. ثم سلب ونهب خيرات بلاده!

والغريب أن هذا التحالف وحتى اليوم نراه قائماً فى السر والعلن.. كما نراه كذلك يزداد وتتنوع صوره وأساليبه فى كل المجالات سواء اقتصادية أو سياسية أو حتى إعلامية. بل وفى مجالات أخرى كثيرة نحس بها ولا نستطيع أن نتحدث عنها أو كشفها!!.



وكما نعرف جميعا فإن الاستعمار الأوروبى للعالم الإسلامى. قد امتد لأكثر

من مائة عام فى بعض بلاده.. وحتى عندما تركها: صارت بلاداً، بلا موارد أو ثروات!

وقد يظن البعض أن الدول الأوروبية التى استعمرت هذه البلاد طويلاً.. ومن بعد خروجها قد تركت الإسلام فى حاله، بل بالعكس.. فقد وضعت الخطط المدروسة بمشاركة اليهود أحياناً. للعودة إلى هذه البلاد مرة ومرات.. حيث نجحوا فعلاً فى حفر أنفاق وسراديب سرية لتخزين تلك المخططات المستمدة من بنود التحالف السابق الإشارة إليه على أمل مواصلة مسلسل النهب والسرقة!!

ومما يوضح لدينا مدى استمرار أطماع الغرب المسيحى ضد بلاد المسلمين حتى فى العصر الحديث، ما ذكره أحد ساسة الولايات المتحدة الأمريكية وهو «ريتشارد نيكسون» الرئيس الأسبق، فى أحد كتبه والذى خصص فيه فصلاً بكامل أوراقه وموضوعاته عن العالم الإسلامى. مما ينم فعلاً عن وجود تلك النوايا السيئة سواء المعلنة أو السرية والتى يكنها الغرب المسيحى للإسلام ولثرواته.

يقول ريتشارد نيكسون فى بعض الذى كتبه عن العالم الإسلامى: «إن العالم الإسلامى والشعوب الإسلامية جميعها وفى كل القارات تفخر بعراقتها وتاريخها. وإن الإسلام قد وقف بصلابة ضد الشيوعية أقوى بكثير مما وقفت المسيحية ضدها، وأن المسلمين يزيدون على المليار نسمة ويعيشون فى ٣٧ دولة من دول العالم، وينتمون إلى ١٩٠ جنسية ويتكلمون مئات اللغات واللهجات، وهذا مصدر قوة كبيرة لهم، وأنهم يسيطرون على معظم البترول الموجود فى العالم ويتمتعون بخصوبة هائلة فى مجال النسل».

«ومن المتوقع تضاعف عددهم فى غضون عشرين عاماً، وأنهم يعيشون فى أرض يبلغ طول أضلاعها عشرة آلاف ميل وتمتد من مراكش إلى يوغسلافيا، ومن تركيا إلى باكستان، ومن جمهوريات آسيا الوسطى إلى أندونيسيا، كما يوجدون فى الصين والهند والاتحاد السوفيتى السابق»[1].

---

(١) الإسلام وأمريكا ـ حوار أم مواجهة ـ د. محمد مورو.

ثم نراه يقول فى المقابل عن حلفائه من اليهود: «إن التزاماتنا تجاه إسرائيل عميقة جداً، فنحن لسنا مجرد حلفاء ولكننا مرتبطون ببعضنا البعض بأكثر مما يعنيه هذا اللفظ. نحن مرتبطون معهم ارتباطاً أخلاقياً، والتزامنا تجاه إسرائيل من ميراث حضارى، وأى رئيس أمريكى لن يسمح بتدمير إسرائيل»(١).

•• تمزيق العالم الإسلامى:

يقول التاريخ.. إن الإسلام، قد استطاع بما أوتى أتباعه من قوة إيمان وعقيدة فى الحق.. أن ينتشر فى كل ربوع الأرض، وأن يحكم ملايين من البشر، سواء من الذين آمنوا به أو لم يؤمنوا. وقد كانوا جميعا تحت راية الإسلام سواء بسواء.

هذه القوة وهذا الإيمان قد أسفر عن تكوين إمبراطورية إسلامية ضخمة حكمت نصف العالم القديم والجديد ما يقرب من ألف عام، وكلما كان الإسلام قوياً ازدادت قوة العرب، وكذلك كل أتباع هذا الدين، وبالتالى يستحيل على الأعداء النفاذ إليهم والنيل منهم.

ونظراً لما يتمع به بنو إسرائيل من علوم وما أحرزوه من ذكاء وأموال. فلم تغمض أعينهم عن مصادر قوة الإسلام.. بل وأخذوا فى دراستها بعناية، وكانوا فى كل عصر.. يجربون أساليب لتفريق جميع المسلمين هنا أو هناك.

لذلك نجد أنهم قد أفادوا مسيحيى الغرب فى هذا الأمر كثيراً بإمدادهم بما يلزم لتحقيق ما يهدفون الوصول إليه.

ومع كل عصر جديد، أخذت الوسائل تتنوع وتختلف، فى الوقت الذى أخذ فيه قطاع كبير من المسلمين يبتعدون عن دينهم، مما ساهم بقوة فى نجاح التحالف اليهودى المسيحى لتنفيذ مخططاتهم.. وقد أخذوا بأسباب الحضارة، فى حين تخلف المسلمون عن الأخذ بتلك الأسباب..

---

(١) الفرصة السانحة ـ ريتشارد نيكسون ـ ترجمة أحمد صدقى مراد.

وعلى العكس من ذلك فقد أخذ المسيحيون فى الغرب ينظمون صفوفهم ويزيدون من تفاعل تحالفهم القديم مع اليهود.

وكما نعرف.. فعندما تزداد الشعوب قوة، سواء بالسلاح أو بالعلم تزداد طموحاتهم لهزيمة الآخرين!.

ونرى الغرب قد جرب من قبل عشرات الوسائل الفعالة لضرب الإسلام فى دياره.. وكان من ذلك ما سبق أن سقناه. سواء ما يتعلق بنهب ثروات المسلمين أو بمحاربة الدين الإسلامى ذاته!

ومع كل نجاح كانوا يحرزونه تشتاق أنفسهم لتحقيق المزيد.. وقد رأوا أن سلاح التفرقة بين هذا الجمع الغفير من المسلمين سوف يضمن لهم تحقيق بنود هذا الاتفاق بدون عناء أو مقاومة، وكانت هناك ظروف وملابسات عديدة ساهمت فى تحقيق هذا الهدف الخطير. وطبعًا إلى جانب ضعف المسلمين أنفسهم وتخاذلهم، بل وانسياق معظمهم فى طريق الانبهار المسيحى الأوروبى سواء على سبيل الفرجة، أو التمنى..

ومع مرور الأيام والسنوات، وثبات المارد الأوروبى وتفوقه بمساندة اليهود فى كل مجالات الحياة.. كان لابد من تحقيق أحد أهداف أو أحد مظاهر تحالفهم الملعون.. وذلك بالعمل على تفكيك وحدة المسلمين، وبث بذور التفرقة فيما بينهم!

والحق أنهم قد نجحوا ولايزالون فى نجاحهم هذا وفى تألقهم، تجاه تحقيق هذا الهدف الاستراتيجى. وما نراه اليوم من هذه المظاهر المتكررة، والتى توحى بأن الإسلام لن يتحد أصحابه من جديد! تؤكد على ذلك!!. رغم أنها حقيقة لا توجد فقط إلا فى داخل رؤوس أصحابها، ذلك لأن الإسلام دائماً غالب على أمره لا محالة، وبالتالى فسوف يعود أتباعه مرة أخرى لقيادة العالم من حيث كانوا أقوياء، بلا تفرقة أو خلافات، والمطلوب فقط، هو البحث عن الأسباب لتلافيها بإخلاص ونية صادقة.

وعندما تتواجد القوة، ويعود الاتحاد لأهل الإسلام بالعودة إلى الله، سوف

تكون تلك هى البداية التى نبحث عنها والتى يخشاها الآخرون، وعندئذ سوف تعود كل الأشياء إلى أصولها، وبالتالى سوف تسقط كل دعاوى وبنود وأهداف تحالف الإرهاب اليهودى والعنف المسيحى المتطرف والذى يكبر يوماً بعد يوم. وفى صور مختلفة سواء فوق شفاه الأوروبيين أو شفاه غيرهم، بل وفوق أوراقهم المطبوعة أيضا.

وهناك العشرات من هؤلاء الذين يحلو لهم ترديد ذلك فى كل لحظة وأوان.. وهاهو أحد هؤلاء الدعاة من الذين يروجون لفكرة تفكيك العالم الإسلامى والعمل على بث الفرقة بين أتباعه.. إذ يقول البارون «دى كارافو» فى أحد كتاباته:

«أعتقد أن علينا أن نعمل جاهدين على تمزيق العالم الإسلامى وتحطيم وحدته الروحية، مستخدمين من أجل هذه الغاية الانقسامات السياسية والعرقية.. دعونا نمزق الإسلام، بل ونستخدم من أجل ذلك الفرق المنشقة والطرق الصوفية، وذلك لكى نضعف الإسلام ولنجعله عاجزاً إلى الأبد عن صحوة كبرى[1].

•• تحقيق الحلم الصهيونى:

ونصل معا إلى أهم وأخطر النتائج التى تم ويتم العمل على تحقيقها منذ زمن طويل. سواء على أيدى المسيحيين فى الغرب أو اليهود فى كل مكان، وهى إقامة دولة إسرائيل الكبرى.. ففى عام ١٩١٧ أعلنت الامبراطورية البريطانية والتى كانت تهيمن آنذاك على كل مقدرات الشعوب الإسلامية سواء فى آسيا أو فى أفريقيا عن قيام دولة لليهود فى فلسطين.

وبريطانيا كانت إلى هذا التوقيت الممثل الشرعى والعظيم للمسيحيين الغربيين الذين حملوا لواء الحرب ضد الإسلام والمسلمين!، كما كانت من قبل إحدى الدول حاملة لواء الحروب الصليبية فى العصور الوسطى وأيضا لمحاربة الإسلام والمسلمين!!.

(١) الدراسات الاستعمارية فى الإحياء الإسلامى فى القرن ١٩ ـ مروان بحيرى.

وكان هذا الوعد، هو بداية انطلاقة حقيقية فى حياة اليهود والصهيونية العالمية لأجل جنى ثمار ذلك التحالف الذى طال أمده مع مسيحيى الغرب!.

وقد نظن أن اليهود كانوا ينتظرون فقط هذا الوعد أو هذا الاتفاق المكتوب رسمياً من جانب بريطانيا، وذلك لإقامة هذا الوطن وتحقيق ذلك الحلم!.

ولكن الحقيقة، أن بنى إسرائيل كانوا يعملون بكل همهم لأجل الوصول إلى هذا الهدف، لذلك نراهم كانوا فى طليعة مشجعى الحلف الشيطانى ضد كل ما هو إسلامى.

وقد عرفوا نظراً لخبراتهم الطويلة فى التآمر، أن الطريق لتحقيق هدفهم الكبير، لابد أن يكون فوق أنقاض الإسلام!!، وهى نفس الرغبة التى أشعلوها بقوة وبذكاء بداخل نفوس المسيحيين فى الغرب، والذين يعرفون الآن باسم الأصوليين أو المتطرفين.

ففى عام ١٩٤٨ . . وبعد حرب هزيلة، نالت تأييداً كبيراً من جانب بريطانيا ضد عرب فلسطين، بل وضد العرب جميعاً، تم الإعلان رسمياً ودولياً عن قيام دولة إسرائيل فوق نصف فلسطين. . تمهيداً للإعلان العظيم عن قيام دولة إسرائيل الكبرى التى من المقرر وفق بنود ذلك التحالف أن تمتد من نهر النيل إلى نهر الفرات!!.

وفى الوقت الذى كانت فيه الصهيونية تسعى للتأييد المسيحى فى أوروبا فقط، نجح زعماؤها فى مد هذا التأييد إلى القارة الأمريكية والتى تحولت إلى أكبر مستودع للأصولية المسيحية آنذاك، التى قامت هى الأخرى فى أمريكا على فكرة أرض الميعاد!!. إذ اتضح تاريخيا أنه فى عام ١٦٣٠م.. جاء المستعمرون البروتستانتيون الذين أسسوا مستعمرة خليج ماساتشوستس إلى العالم الجديد بدوافع دينية. . وقد جاءوا من بريطانيا إلى هنا كى يحيوا حياتهم بالشكل الذى يتماشى مع رؤاهم الدينية حيث تعذر ذلك فى إنجلترا[(١)].

(١) الدين والسياسة فى الولايات المتحدة ج (١) ـ مصدر سابق.

ولذلك نرى أنه عند وصول هؤلاء المهاجرين البروتستانت الأوائل إلى تلك البلاد الجديدة، اعتبروا أمريكا هى «أورشليم الجديدة» أو كنعان الجديدة «وشبهوا أنفسهم بالعبرانيين القدماء حين فروا من ظلم فرعون وهربوا من أرض مصر وكانت بمثابة أرض الميعاد الجديدة![1].

ولا شك كانت كل هذه التصورات ماثلة أمام الصهاينة الجدد من الذين سعوا بشتى الطرق لكسب المسيحيين ومواقفهم، خاصة فى أمريكا.. بعد ضمان ولاء مسيحيى الغرب خاصة فى بريطانيا للوصول إلى ما كانوا يحلمون لتحقيقه على أرض الواقع!

وقد ساعدهم ذلك كثيراً فى الإسراع على تحقيق هذا الحلم، بل وضمان التأييد المستمر له، وإلى الأبد حسب ظنهم المريض!

وفى كل يوم يمر على هذه الدولة الجديدة، كان حكامها من اللصوص وزعماء العصابات الهاربين من أوروبا يثبتون للمسيحيين أنهم لن يندموا أبداً على مواقفهم وتأييدهم المطلق لليهود!، لأنهم ينفذون بكل دقة بقية بنود ذلك التحالف القديم والسابق الإشارة إليه.

ولذلك فقد كانت دائما تنال ولاتزال المزيد من التأييد من أوروبا ومن أمريكا على جه الخصوص، ومن جانبها سعت إسرائيل وفق هذا التأييد إلى توسيع رقعتها المساحية مع اقتناع الغربيين والأمريكيين بأن هذا التوسع، إنما يساهم فى حصر الإسلام وضرب أتباعه!.

وقد قاربت إسرائيل على الوصول لما سبق الاتفاق عليه داخل بنود ذلك الحلف، سواء من حيث رقعتها المساحية أو دورها فى خدمة المسيحية لضرب الإسلام!

ومازالت المساعدات تنهال على هذه الدولة التى ترفع رايات الحرب الدائمة ضد كل ما هو عربى وإسلامى، فى مقابل الترحيب بكل ما هو مسيحى!!! سواء أوروبى أو أمريكى.

---

(١) الإمبراطورية الأمريكية ـ ج (٢) ـ بقلم رضا هلال.

ولكى ندلل على ما سبق أن ذكرناه بشأن التأييد المطلق لإسرائيل من جانب كل مسيحيى الغرب. تعالوا نقرأ هذه العبارات التى تُليت فى المؤتمر المسيحى الصهيونى الذى عقد فى شهر إبريل من عام ١٩٩٨ تحت عنوان: المؤتمر المسيحى الصهيونى الدولى.. حيث يقول «فان هوفان» أحد المفكرين المسيحيين المشاركين فى هذا المؤتمر: «إن الله فى هذا العصر شغوف بأولئك المسيحيين الذين يعضدون إسرائيل!، ويعتبرهم الكنيسة الحقيقية! وبهم سوف يتبارك العالم، ومن خلالهم تعود إسرائيل إلى أراضيها»».

ويعلق القس إكرام لمعى على ذلك بقوله: إن هوفن قد حكم على المسيحيين بأن أمامهم خيارين، إما أن يختاروا الانضمام إلى الكنيسة العامة الحالية بكل طوائفها. وعلى رأسها روما وهى الفرع وليس الأصل. أو أن ينضموا إلى الكنيسة الحقيقية التى تبارك إسرائيل وتعضدها وهى الأصل!!. وهو يعتمد فى هذا على فكرة أن المسيحية طائفة يهودية خرجت عن أصلها، والآن يعود الفرع إلى الأصل، وبالتالى يجب أن يتخلى المسيحيون عن جنسياتهم ويصبحوا إسرائيل الله!!.

•• العالم تحت راية الصليب!!

من يقرأ فى الفكر اللاهوتى المسيحى بعناية.. لابد أن تصيبه الدهشة، عندما يصل إلى ما يقال عن حكاية الملك الألفى أو ظهور المسيح عليه السلام مرة أخرى ليحكم العالم لمدة ألف عام.. كدليل على نهاية العالم وقرب يوم القيامة!.

ذلك لأن معظم الذين يؤمنون بالمجىء الثانى، إنما يعلقونه على نشوب حرب مدمرة بين اليهود وبين أتباع الأديان من غير المسيحيين بطبيعة الحال!! وهم بذلك يقصدون المسلمين!.

هذه الفكرة قد أصبحت تسيطر وبقوة على عقول كل المفكرين والساسة وقادة الحرب سواء فى أوروبا أو فى أمريكا من الأصوليين المسيحيين ومن المتطرفين. وهذا يفسر لنا كما سبق أن ذكرنا.. ذلك التأييد المحموم لإسرائيل.. فيما تقترفه

من أعمال شيطانية ضد العرب والمسلمين على أرض فلسطين.. باعتبار أن إسرائيل اليوم.. هى نواة لإسرائيل الكبرى التى تحدثت عنها الكتب المقدسة.. والتى يجب أن تمتد حدودها من النيل إلى الفرات! وأن ما تقوم به الآن مكتوب لديهم فى الكتب المقدسة.

وما نود أن نشير إليه فى هذا السياق وحتى لا نتصف بعداء السامية أو غيرها من الألفاظ الكبرى والتى يحلو للبعض منهم استخدامها، نؤكد أن جميع المسلمين، وفق ما جاء فى السيرة النبوية.. من أحاديث شريفة صحيحة يؤمنون إيماناً لا شبهة فيه بعودة المسيح عليه السلام إلى الأرض مرة أخرى ليحكم العالم قبل يوم القيامة.

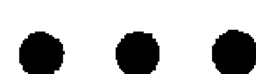
بل وإن هذا الظهور أو هذا المجىء الثانى وفق رؤية المسيحيين والمسلمين أيضا إنما هو من علامات الساعة الكبرى والتى أشار إليها أيضا رسولنا ﷺ فى بعض أحاديثه الصحيحة.

ولكن الخلاف العظيم بيننا وبينهم هو أن هناك حربًا تدميرية سيقودها اليهود ضد المسلمين، وقد سبق لنا أن صححنا هذا المفهوم، وقلنا إنها ستكون ضد اليهود أنفسهم وليس ضد المسلمين! فالحرب المنتظرة سوف تكون الدائرة فيها على بنى إسرائيل، وأن ظهور المسيح عليه السلام سيكون هدفه هو نشر دين الإسلام القائم على التوحيد والإيمان بالله الواحد الأحد.

ولكن لمسيحيى الغرب رؤية خاصة بهم.. إذ حولوا هذه القضية المستقبلية والتى لايزال عليها خلاف كبير إلى رؤية سياسية تخصهم وحدهم ليحققوا من ورائها بقية أهداف تحالفهم مع الشيطان اليهودى والمسلط على رقاب المسلمين.

ورغم وجود اختلافات داخل المسيحية نفسها وفق تأكيد القس إكرام لمعى على كيفية المجىء الثانى للمسيح عليه السلام، إلا أن هذه الاختلافات نفسها كانت هى الثغرة التى نفذت منها الصهيونية كى تقنع بعض المسيحيين بأنها كأكبر دولة علمانية عسكرية، تعتبر إحدى علامات هذا المجىء!!

ليس هذا فقط، بل استطاعت الصهيونية العالمية على حد قوله من استغلال هذه الفكرة من أصلها والتى جاءت فى بعض الأسفار فى خدمة اليهود أنفسهم وليس المسيحيين أصحابها. . إذ روجوا بأن المسيح فى مجيئه الثانى سيأتى لأجل اليهود بنفس عقيدتهم القديمة!، وبالتالى ستعود المسيحية إلى الشجرة الأم وهى اليهودية![1].



ولو تدبرنا أمر تحقيق هذا الحلم الكبير للمسيحيين الغربيين وبدقة، نستطيع أن نحكم على كل سلوكياتهم الآن تجاه العالم الإسلامى ودوله وشعوبه. إذ هم لا يتركون إسرائيل وحدها لتحقيقه، بل نراهم يساهمون كذلك فيه وبشكل كبير، ليس بالكلمات فقط، ولكن بالدعم المادى والعسكرى!.

وهذا يفسر لنا بوضوح تلك الحملات الصليبية الجديدة والمحمومة ضد كل ما هو إسلامى، سواء كان فيه الصواب أم شابه الخطأ!.

وما حرب العراق الأولى أو الثانية التى وقعت فى عام ١٩٩١. إلا واحدة من تلك المحاولات الغربية لاستعجال إشعال تلك الحرب التى يرونها نهاية المطاف وعلامة من علامات ظهور المسيح مرة أخرى ثم الإعتداء الأخير. . بقيادة أمريكا ومباركة إسرائيل والذى أسفر عن احتلال العراق. ثم ثالثا. ما يقع الآن فى جنوب السودان من عمليات تنذر بخطر الحرب. . بعد محاولات انفصال الجنوب المسيحى عن الشمال المسلم. وما يحدث فى كل أنحاء العالم الإسلامى. . فى أفغانستان وفى إندونيسيا وفى باكستان وفى غيرها. . إلا من نوعية هذه المحاولات لتسريع نشوب حرب آخر الزمان. . وظهور المسيح عليه السلام من جديد؛ وبالتالى تحقيق الحلم الأكبر للمسيحيين سواء هنا أو هناك!.

(١) المصدر السابق.

الباب الثالث

الإرهاب فى اليهودية.. منذ أيام النبى موسى!

- **الفصل الأول:**

  صفات اليهود
  وطبائعهم

- **الفصل الثانى:**

  دلائل الإرهاب
  فى كتبهم المقدسة

- **الفصل الثالث:**

  جرائم اليهود
  ضد الإنسانية

الفصل الأول

صفات اليهود وطبائعهم!!

لابد أن يكون ماثلاً للأذهان قبل الانطلاق فى رحاب التفاصيل، أننا سوف نقصر الحديث فيما يخص الصفات والطبائع البشرية على اليهود فقط، من دون المسيحيين والمسلمين. وذلك لعدة أسباب من أهمها: أننا حين نتحدث عن اليهود نتناولهم كشعب، نشأ بشكله وأوضاعه الحالية ومنذ فترة ما قبل عصر الرسالات السماوية، وقد آثروا العنصرية بحجة المحافظة على نقاء الدم والنوع!!، رغم أنهم كما سوف نعرف قد نشأوا كجماعات رعوية انطلقت فى رحاب الصحراء للبحث عن الطعام لأغنامهم، ولم يذوقوا طعم الاستقرار كما سبق أن أوضحنا فى أحد كتبنا، إلا حينما التقوا بالنبى الكريم إبراهيم عليه السلام والذى قبل أن يضمهم إلى قبيلته وعشائره..

ومن بعد ظهور الأنبياء والرسل فى نسل إبراهيم أبو الأنبياء، عليه السلام ادعى هؤلاء البشر بأنهم شعب الله المختار، واتخذوا من أسباب مختلفة دوافع لهذا الادعاء!، وبالتالى فقد حرصوا طوال حياتهم جيلا بعد جيل على عدم الاختلاط بالشعوب الأخرى رافعين رايات هذه الحجج الواهية. مما عرضهم لمضايقات متنوعة من جانب الشعوب المجاورة، ولايزالون على هذا الحال، بل وسيستمر بهم هذا الوضع غير السوى حتى قيام الساعة، أو ربما حتى إفنائهم من جانب رب العالمين من قبل هذا الموعد.. عقاباً على إرهابهم وافترائهم على الله وعلى الرسل وعلى جميع البشر!.

من كل ذلك نخرج بنتيجة مهمة، وهى أن اليهود قد ظلوا شعباً مشرداً دائما ينتقل هنا وهناك.. مع الاحتفاظ بالسمات الخلقية والأخلاقية والطباعية أيضا من دون غيرهم من شعوب الأرض حتى التى جمعت بينهم كصفات مشتركة، سواء كانت دينية أو غير دينية.

ولقد تجلى ذلك بوضوح فى كل فترات حياتهم التاريخية حتى أنهم كانوا دائما يفضلـون سكنى بعض المناطق وفى داخل تجمعات خاصة بهم. وهذا يثير الدهشة والعجب.. إذ كيف يتخذ شعـب من شعـوب الأرض.. الدين.. ستاراً لهم ونطاقاً خاصاً بهم من دون غيرهم، وبالتالى لا يجوز لأحد غيرهم الدخول فيه؟!.

وفى تصورى أن ذلك هو الإرهاب بعينه.. إذ من المعروف أن الدين كله لله تعالى.. خاصة إذا ما كان قائما على التوحيد والإيمان بالخالق العظيم.

وفى المقابل لن نجد أن هناك شعباً قد تسمى بالمسيحية. أو بالإسلام.. بل هناك شعوب وأمم كثيرة مختلفة فى الصفات والطبائع والسلوكيات وحتى اللغات واللهجات.. قد آمنت بالمسيحية وكذلك بالإسلام.

وربما يكون هذا الأمر مختلفاً بعض الشىء بالنسبة للإسلام والمسلمين.. إذ تجمعهم رغم عدم وجود وحدة الأرض والمكان.. عدة صفات مشتركة مثل اللغة الواحدة والدين الواحد.. والإله الواحد، وكذلك صفة العروبة التى تعتبر من الصفات الغالبة على مجتمع الإسلام.

وهذا ما لانجده فى المسيحية التى تنتشر فى كل بقاع الأرض أيضا من دون وجود روابط أو صفات مشتركة بين معتنقيها تشملهم أو تظلهم، إلا فى حالة واحدة فقط، وهى إيمانهم بالدين المسيحى الحق القائم على الوحدانية.. وهو أيضا ما ليس له وجود فى الواقع حاليا ولدى قطاع كبير من المسيحيين خاصة فى الغرب وأمريكا!.

• • •

وعندما نبدأ الحديث عن أهم صفات اليهود وطبعائهم والتى سوف نكتشف من خلال إلقاء الأضواء المبهرة عليها أنها جميعها تصب فى نهر الإرهاب الأسود، كان لابد لنا أن نفرق بين الصفة والطباع!. رغم أنها كلها تنبع من داخل الإنسان وترتبط إلى حد بعيد بالسلوكيات!. إذ يرى الكثير من علماء النفس أن صفات الإنسان عادة ما تكون مكتسبة، فهى خبرات يضيفها الإنسان إلى حركة حياته وداخل مجتمعه. ويكون بعضها سيئا والآخر طيبا!.

أما الطباع فهى حركات وخبرات مطبوعة داخل الإنسان وتولد معه.. وبالتالى فهى متأصلة، بل وأغلبها متوارث عن الآباء والأجداد.

وبالعودة إلى تاريخ اليهود فيما يخص هذين البعدين الإنسانيين، (الصفات والطبائع) اكتشفنا أنها جميعا تنبع من معين الإرهاب الذى لا ينضب، خاصة الطباع المتوارثة والمرتبطة بالاغتصاب، فهى تراث حيوى ينتقل بفعل الدم من شخص لآخر وكأنما هى تعليمات مقدسة، ولا يمكن أن يحيدوا عنها!.

وكذلك فهى تنبئ عن تاريخ دموى توارث تفاصيله كل الشعب اليهودى، ولم يقتصر آنذاك على التعاون مع الأعداء على حد زعمهم، بل اتجه مؤشره وبقوة نتيجة لتلك الطبائع والصفات إلى أصفيائهم من الأنبياء والرسل والملوك ودعاة الحق على قلتهم!

وعلى أية حال فسوف يكون لنا جولة مفصلة نستعرض من خلالها هذه الجرائم الدموية الإرهابية والتى التصقت بالشعب اليهودى أو بنى إسرائيل نتيجة لارتباطهم بأسوأ أنواع الصفات الإنسانية وأحطها شأنا وقيمة ومعنى وقد أدت بهم إلى طريق الإرهاب.



وبالرجوع إلى سجل المشتغلين بالصفات الإنسانية، خاصة ما يتصل بالشعب اليهودى، وجدنا أن هناك فريقين من العلماء من الذين خصصوا كل دراساتهم الأكاديمية لبيان هذه الصفات وتلك الطبائع.

الفريق الأول، ويمثله علماء النفس والاجتماع والأنثروبولوجى. . أما الفريق الثانى فيمثله قطاع عريض من علماء الدين سواء من المسلمين أو من المسيحيين. . الذين تولوا مسئولية بيان صفات اليهود وطبائعهم من واقع دراساتهم المقارنة للكتب السماوية.

ولقد أجمع كل من هذين الفريقين على أن الجانب المظلم فى صفات الإنسان وطبائعه قد تمثلت فى الإنسان اليهودى. . رغم محاولات بنى إسرائيل فى كل العصور تجميل صورتهم، بما كانوا يملكونه من إمكانيات ولايزالون، سواء فى الجانب المادى أو العلمى. . وإن كان مصدرها الحقيقى فى واقع الأمر هو الله تعالى الذى ينزل نعمه وفضله على عباده. . وهم وغيرهم ينكرون ذلك الفضل العظيم.

فنحن نعرف جميعا أن اليهود يتصفون فى الجانب المضىء فى حياتهم بأنهم أصحاب رؤوس أموال ضخمة وقد وظفوها للأسف فى خدمة مشروعهم الإرهابى الكبير القائم على سلب ونهب حقوق الشعوب الصغيرة والفقيرة والضعيفة.

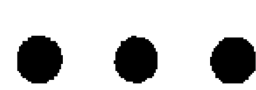
وكذلك إمكانياتهم العلمية الفائقة. . إذ حباهم الله مقدرة تفوقوا بها على الآخرين فى مجال العلوم والاختراعات، وللأسف أيضا فقد وظفوا هذه الهبات الإلهية ضد أنفسهم أولاً ثم لتدمير العالم كله.

ولدينا مثالان واضحان على ذلك على الأقل من وجهة نظرنا، الأول هو اختراع العالم اليهودى الفريد نوبل للديناميت الذى يستخدم كوسيلة لتفجير كل شىء!

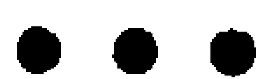
ثم الثانى والمتمثل فى اختراع العالم الأمريكى اليهودى روبرت آينشتين وفريق آخر من علماء اليهود للقنبلة الذرية، وما أدراك ما القنبلة الذرية التى استخدمت فى تدمير شعوب بأكملها، وذلك منذ ظهورها فى الحرب العالمية الثانية وحتى اليوم!.

وفى مقابل هذا الجانب المضىء من الصفات النادرة فى حياة الإنسان اليهودى. هناك أيضا الجانب المظلم كما ذكرنا والذى توسع فى دراسته العلماء لبيانه وتحليله والوقوف على أسبابه ونتائجه.

ولقد تعمدنا ذكر كل من هذين الجانبين فى صفات وطبائع اليهود. . تحقيقا لمبدأ الأمانة الأكاديمية والعلمية لما نقدمه من دراسة تعتبر الأولى من نوعها لأجل الوقوف على صفات وطبائع اليهود وتأثير تلك الصفات المدمرة على حياة البشر جميعاً، ثم ارتباطها بالإرهاب أيضا.



وعندما نترك مجال الإجمال فى الحديث عن تلك الصفات وهذه الطبائع والتى يتميز بها بنو إسرائيل وذلك للانطلاق فى رحاب التفاصيل. . سوف نكتشف أن كل أوراق هذا الفصل ربما لن تتسع لما سوف نتلوه عن هذه الصفات، خاصة فى جانبها السلوكى والنفسى والدينى، مما سوف يدفعنا إلى مناقشتها قدر الإمكان وبالقدر الذى تسمح به مساحة أوراق هذا الفصل. . وحتى لا نحيد عن الخطة الموضوعة لبقية فصول هذا الكتاب.



وفى أولى خطوات حديث التفاصيل كان لابد من ضرورة التنويه عن شىء رأيناه مهما للغاية وهو أن حديث العلماء من الفريقين السابق الإشارة إليهما عن طبائع وصفات اليهود. . كان مصدره الرئيسى ما جاء فى الكتب المقدسة، ما عدا علماء الأنثروبولوجيا وهم الذين حاولوا التوصل إلى الأصول القديمة للتاريخ الجنسى والدينى لليهود.

وكان من أشهر ما قالوه فى هذا الصدد وفق ما سجله الدكتور جمال حمدان أن أول ما نسمع عن اليهود فى التاريخ مع إبراهيم أبى الأنبياء عليه السلام والذى ظهر مع قومه فى القرن الثامن عشر قبل الميلاد كجماعة من الرعاة الرحل

على المشارف والتخوم الاستبسية لجنوب العراق الذى كان يؤلف من دولة الكلدانيين فى أور[1].

ومن خلال دراسة الأصول القديمة فى التاريخ الجنسى والدينى لليهود فقد توصل علماء الأنثروبولوجا أيضا إلى تأصيل علمى للصفات والطبائع الرذيلة والسيئة والمعيبة لليهودى.. وذلك عند حديثهم عن أسباب اختلاف تسمياتهم ما بين اليهود والعبرانيين وبنى إسرائيل.

ومما ذكروه فى هذا السياق قولهم أن كلمة العبرانى، ارتبطت بهجرتهم من كلدان إلى كنعان حيث عبروا النهر ـ نهر الفرات أو نهر الأردن، لا ندرى أيهما المقصود تماماً ـ فسموا لذلك بالعبرانيين.. هذه التسمية يقابلها عند المصريين القدماء كلمة Habiru، وعند البابليين Khebirru وأن هذه وتلك تعنى فى أكثر الترجمات والروايات: البدو أو اللصوص أو المرتزقة.. كما وصفهم أعداؤهم فى كنعان، إشارة إلى طبيعتهم كرعاة متخلفين حضارياً[2]..

ثم تولى إكمال هذه المهمة علماء آخرون، من الذين سبق ذكرهم بعدما انضم إليهم علماء التاريخ.. وكانت وجهتهم الأساسية فيما توصلوا إليه من صفات وطبائع تتسم بالغدر والخسة والدموية والإرهاب والعنف إلى الكتب المقدسة وعلى رأسها كل من القرآن الكريم والعهد القديم، رغم ما لحق بالأخير من تحريفات وتزوير على أيدى اليهود أنفسهم..

ولكى نكون منصفين فيما سوف نورده، فإننا سنبدأ رحلة البحث عن صفات وطبائع اليهود من كتبهم المقدسة (العهد القديم) أولاً ثم نتبع ذلك بالقرآن الكريم وما جاء بالسنة النبوية المطهرة، استكمالاً لحديث هذه الصفات وتلك الطبائع.. حيث يُبنى عليها موضوع هذا الباب الذى نُبين من خلال أوراقه كيف أن هؤلاء اليهود كانوا ممن اخترعوا الإرهاب وزرعوه لدى البشر منذ فجر التاريخ،

(١) اليهود انثروبولوجيا ـ د. جمال حمدان.

(٢) المصدر السابق.

عكس ما يرددونه ويسعون إلى ترويجه خاصة فى العصر الحديث.. من أجل تحقيق أغراض بعينها.. تأتى ضمن حربهم الشريرة ضد الإسلام.. بل وضد كل الأديان السماوية.. حتى الدين اليهودى نفسه!!.



وعندما نستعرض معا أقبح الصفات والطبائع اليهودية كما ذكرها العلماء وجمعوها للدراسة والتحليل، سوف نكتشف أن صفة العنصرية تأتى فى مقدمة تلك الصفات المنكرة من كل بنى البشر.. إذ دفعتهم هذه الصفة وتلك النزعة إلى تحويل اليهودية كدين سمح يدعو إلى توحيد الله والإيمان به إلى دين عنصرى، تقوم فكرته الرئيسية على رفض الآخر، كل الآخر على مر تاريخهم الطويل. فبعد أن زعموا احتكارهم بحكم الاسم والولادة لمرتبة ومنزلة «شعب الله المختار» «وأبناء الله وأحباؤه» حتى مع قتلهم الأنبياء ونقضهم عهود الله ومواثيقه.. زعموا احتكارهم الجنة دون الآخرين!![1].

وكذلك امتدت فكرة العنصرية هذه، وانتقلت بهم من شئون الدنيا إلى الدين، حيث التزموا بالكيل بمكيالين منذ انحرافهم عن شريعة موسى عليه السلام، واستبدالها بالشريعة العنصرية التى كتبوها فى التلمود خلافا للشريعة الموسوية، وقد عدلوا وبدلوا فى تلك الشريعة التى قامت ـ من وجهة نظرهم وبعد إجراء هذا التحريف ـ على احتقارهم للطوائف والشعوب الأخرى سواء فى العصر القديم أو العصر الحديث!!

ولقد توسع العديد من العلماء فى مناقشة تلك الصفة المذمومة لدى بنى إسرائيل والتى بنوا عليها تقريبا كل سياستهم وتعاملاتهم وأفكارهم وخططهم سواء السرية أو العلنية. فذكر العالم الراحل الدكتور على عبد الواحد وافى أن من أهم مظاهر ذلك الانحراف فى السلوك وفى صفات الطبائع اليهودية هو التمسك بالتفرقة العنصرية التى تجعل من اليهود الشعب المختار الذى اصطفاه الله

---

(١) الإسلام والآخر ـ من يعترف بمن، ومن ينكر من؟! ـ د. محمد عمارة.

وفضله على العالمين، وتنظر إلى ماعداه من الشعوب نظرتها إلى شعوب وضيعة فى سلم الإنسانية، وتضع قوانينها ونظمها على هذا الأساس، فتفرق بين هؤلاء وأولئك أمام القانون، وفى كثير من شئون المجتمع.

ويؤكد الدكتور وافى فيما توصل إليه أن هذه العنصرية تمثل انحرافاً شديداً لما تضمنته أسفار العهد القديم والتلمود التى تنظم علاقات اليهودى فى الدين والدنيا(١).

ومن أهم مظاهر انحراف هذه الأسفار وارتباط ذلك بالأخلاق والصفات والطبائع أن بعضها فيه الكثير من أقبح أنواع الفحشاء، إذ ورد فى تلمودهم على سبيل المثال أن الولد إذا زنا بأمه الأرملة لا يقام عليها الحد ولا يلام!. بل ينبغى له أن يستمر معها على هذا الوضع، حتى بعد زواجه، رعاية لما وجب لها عليه من حق، وأن الوالد الذى زنا بابنته بعد وفاة زوجها لا يقام عليه الحد. . كذلك ولا يعاقب ولا يلام. . لأن لعمله هذا ما يبرره وهو أنه يجنبه تبذير ماله مع العاهرات الأجنبيات(٢)!!

ولاشك كانت لهذه العنصرية الحقيرة آثار ونتائج، استطاع بعض المفكرين إلقاء الأضواء المبهرة عليها من منطلق أنها هى أساس ارتباط اليهودى بالإرهاب والعنف، وضربوا على ذلك الأمثلة الكثيرة. فالربا الذى تحرمه الشريعة الموسوية وجميع الشرائع السماوية، هم يحرمونه فقط فيما بينهم كيهود، بينما أوجبوه واحترفوا إقامة مؤسساته وممارسة أبشع أنواعه مع الآخرين. . وكذلك الحال مع أخلاقيات وقيم الكذب والسرقة والقتل والزنا والخداع ونقض العهود. . حتى غدا ذلك على حد قول الدكتور محمد عمارة «سُنة متبعة» فى تعاملهم مع الآخرين الأغيار.

والأكثر من ذلك أن هناك بعض المفكرين اليهود من الذين كتبوا بأقلامهم ما

(١) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ـ د. على عبد الواحد وافى.

(٢) من مقال لعمر مفتى زاده فى مجلة الاعتصام عدد فبراير عام ١٩٦٥.

ترتب عليه تأصل صفة ونزعة العنصرية فى حياة بنى إسرائيل من نتائج. . وكان دليلهم فى ذلك أيضا ما جاء فى كتبهم المقدسة.

ففى كتاب «إسرائيل شحاك»: الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود: عشرات الأمثلة التى تؤصل لنا هذه العنصرية الإرهابية، منها ما ذكره عن حرمة الدم اليهودى، وإهدار دماء الأغيار وإبادتهم حيث جاء فى بعض الأسفار المقدسة: «أن اليهودى الذى قتل غير اليهودى مذنب فقط بخطيئة ضد شرائع السماء، والتى لا تعاقب عليها المحكمة، أما التسبب فى موت غير اليهودى بطريقة مباشرة أو غير مباشرة فلا يعتبر خطيئة أبداً!، وإذا وقع القاتل غير اليهودى تحت سلطة التشريعات القضائية اليهودية يجب إعدامه سواء كانت الضحية من اليهود أو من غيرهم. ولكن إذا لم تكن الضحية يهودية، واعتنق القاتل اليهودية فلا يعاقب»!.

وفى تعليق الدكتور محمد عمارة على صفة العنصرية هذه قال: إن العديد من المعلقين الحاخاميين قد استخلصوا النتيجة المنطقية من هذه الشريعة، وهى إمكانية قتل جميع غير اليهود المنتمين إلى شعب عدو أو حتى ضرورة قتلهم، وجرى الترويج العلنى لهذه الفكرة فى عام ١٩٧٢ لتوجيه الجنود الإسرائيليين المتدينين. وأول نصيحة رسمية من هذا النوع جاءت فى كراس نشرته قيادة المنطقة الوسطى فى الجيش الإسرائيلى.

كذلك هناك صفة أكثر إرهاباً من سابقتها وهى تعد أيضا من نتاج النزعة العنصرية لدى اليهودى. . ونقصد بها إبادة الأغيار فى أرض إسرائيل. حيث تحولت الوصية: «لن نترك حيا وأى شىء يتنفس» والتى جاءت فى (سفر التثنية ٦٠). إلى محاضرة تربوية للجنود الإسرائيليين الذين يستدعون إلى الخدمة للحرب ضد الفلسطينيين!.

ولم تتوقف الصفات والطبائع المذمومة لدى اليهودى والمترتبة كذلك على

التمسك غريزياً بالعنصرية، عند حد القتل والزنا وبقية المحرمات. بل امتدت لتشمل كذلك حياة الإنسان الذى قد ينجو من تلك الأفعال الإرهابية.

ويتضح ذلك فى قولهم: «ضرورة علاج المريض اليهودى وتحريم علاج المريض غير اليهودى.. وفق ما جاء فى شريعة التلمود التى تقول: «لا تهمل دم أخيك، وغير اليهودى ليس أخاً..».. لذلك يحظر على الطبيب اليهودى خصوصاً معالجة غير اليهودى، فعلاجه حرام حتى ولو كان بأجر، ولكن إذا كنت تخشاه أو تخشى عدائه فعالجه بأجر، ويحرم عليك القيام بذلك بدون أجر! ومن المسموح تجريب عقار على وثنى - أى غير يهودى - إذا كان ذلك يخدم غرضاً معيناً!.

ليس هذا فقط بل بالنسبة للأغيار وحسب المبادئ المنصوص عليها فى التلمود ومفاهيم الشريعة اليهودية المحرفة: «يحظر انتهاك يوم السبت لإنقاذ حياة مريض غير يهودى فى حالة بالغة الخطورة، كما يحظر توليد المرأة غير اليهودية يوم السبت أيضاً!!!!».



وكما سبق أن ذكرنا فإن الحديث عن أخلاقيات اليهود من خلال صفاتهم وطبائعهم سوف يطول ويطول.. وربما استغرق كل فصول هذا الكتاب. ولكن نظراً لأننا نقدم فقط فى هذا الفصل بعض النماذج السيئة والتى تبرهن على إرهابهم، فإننا سوف نسوق بعض الصفات الأخرى على سبيل الإجمال خاصة ما يتعلق منها بما جاء بالكتاب المقدس اليهودى، ثم ننطلق بعد ذلك فى رحاب القرآن الكريم والسنة لاستكمال بيان هذه الصفات وتلك الطبائع.

إن هناك إلى جانب ما سبق أن ذكرناه صفات أخرى كثيرة وهى تبين بوضوح مدى تمكن الإرهاب فى حياة اليهودى، ليس كصفة مكتسبة فقط، بل كطباع متوارثة جيلاً بعد جيل.

من ذلك قولهم على سبيل المثال: «تحريم سرقة اليهودى واستحلال سرقة الغير» فالسطو مع استخدام العنف محظور بشدة إذا كان الضحية يهودياً، أما

السطو على غير اليهودى فغير محظور إذا كانوا تحت حكمنا، ويحظر عندما لا يكون الأغيار تحت حكمنا».

ثم قولهم: «تحريم النصب والخداع لليهودى وإباحته للغير»، و«تحريم ولاية الأغيار على اليهود وتعميم اللعن على أموات الأغيار وأمهاتهم واستعباد الأغيار».

ولابد من التأكيد من جديد على أن هذه الصفات إنما يسوقها دوماً مفكرون يهود حتى فى عصرنا الحديث من منطق الادعاء بالتفوق حتى ولو كان ذلك التفوق المزعوم يصب أيضا فى نهر الإرهاب الأسود.

ولعلهم فى تصورنا الشخصى يستخدمون مبدأ الترويج لتلك الصفات الملعونة لإخافة شعوب الأرض وإرهابهم، ثم تسهيل مهمتهم فى الاستيلاء على هذه الشعوب وإخضاع كل ما هو غير يهودى لسلطانهم الضعيف والذى لا يقوى إلا فى ظل الشر والإرهاب والعنف سواء بالكلمات أو بالرشاشات والدبابات.

وفى جولة ثانية سريعة وقبل الانتقال إلى حديث هذه الصفات وتلك الطبائع فى القرآن الكريم والسنة النبوية.. نسوق خلالها بعض ما خفى عنا وعن الآخرين من صفات من نوع آخر. لو أعدنا دراستها وتحليلها لكانت الاستفادة بحق كبيرة، ليس لصالح المسلمين والعرب فقط، بل ولصالح البشرية كلها.

ويأتى فى مقدمة هذه النوعية الجديدة من الصفات المذمومة: «الغرور». والذى يقول عنه الدكتور رمضان حافظ: أن اليهود قد تمسكوا فى حياتهم بكل النصوص التى تغذى ذلك الغرور وهذا التعصب فى حين تغاضوا عن النصوص التى تفضح شرورهم وغضب الله عليهم.

فقد جاء فى سفر صموئيل قول الملك داود. «أية أمة على الأرض مثل شعبك إسرائيل.. الذى سار الله به ليعتد لنفسه شعباً ويجعل له اسماً الذى افتديته لنفسك من مصر.. من الشعوب آلهتهم».

وكذلك «الظلم». . وهو صفة منتشرة لدى اليهود. . فعلى الرغم من أن الله تعالى قد أمرهم وفق ما جاء فى التوراة بالعدل. . خاصة فى سفر اللاوين عندما قال لهم «لا تأخذوا بوجه مسكين، ولا تحترموا إلا وجه كبير، بالعدل تحكم لقريبك». إلا أنهم كانوا أكثر شعوب الأرض ظلماً لغيرهم ولبعضهم البعض حتى صرخ فيهم أنبياؤهم موبخين إياهم وفق ما جاء فى سفر عاموس: «لأنى علمت أن ذنوبكم كثيرة وخطاياكم وافرة أيها المضايفون البار، الآخذون الرشوة، الصادون البائسين فى الباب. لذلك يصمت العاقل فى ذلك الزمان لأنه زمان ردىء» ـ (عاموس ٥ : ٧-١٣).

كما جاء فى سفر ميخا (٧ : ٢-٦). «جميعهم يكمنون للدماء. . يصطادون بعضهم بعضا بشبكة، اليدان إلى الشر مجتهدتان، الرئيس طالب والقاضى بالهدية، والكبير متكلم بهوى نفسه. أحسنهم مثل العوسج وأعدلهم مثل سياج الشر. لا تأتمنوا صاحباً، لا تثقوا بصديق. . احفظ أبواب فمك عن المضطجعة فى حضنك (زوجتك). . لأن الابن مستهين بالأب، والبنت قائمة على أمها، والكنة على حماتها وأعداء الإنسان أهل بيته»![1].

ثم صفة الوحشية: حيث تجرى فى عروق اليهود مع دمائهم وحشية شنيعة، متأصلة ومتغلغلة فى كيانهم وفى أعماقهم. . ولهم ولع مضطرم بالقتل والذبح والشنق والخنق والحرق والتنكيل والتعذيب وتقطيع الأوصال وإبادة الناس بالجملة والحرق والرجم وإشعال النار فى المدن وإشاعة الدمار فى كل مكان يقع فى قبضتهم.

ويضرب لنا الدكتور حافظ عدة أمثلة على تلك الوحشية وهى مستمدة جميعها من كتبهم المقدسة. . وقد أرجأنا التوسع فى الحديث عنها كصفة أساسية من صفات اليهود، إلى الفصل الثانى الذى خصصناه لحديث الإرهاب من واقع ما سجلته أقلامهم حين حرفوا التوراة!، وذلك كأدلة دامغة على حبهم للدمار

---

(١) اليهود وتذكرة. . قبل أن نفقد الذاكرة ـ د. رمضان حافظ.

والعنف والقتل، وكنتيجة مباشرة، أو مقدمة لأعمال الإرهاب التى ارتكبوها على مدى تاريخهم الطويل وإلى اليوم!.

ثم «الغدر والخيانة»: حيث يؤكد الدكتور رمضان خافظ فى حديثه المفصل عن هذه الصفة غير الإنسانية فى حياة بنى إسرائيل: أن الخسيس: دنىء النفس وهو يميل دائماً للغدر بمن اطمأن إليه.. والخيانة لمن ائتمنه ووثق به، والخسيس: جبان وغادر وخائن، وكل هذا موجود بالفعل فى حياة اليهود، والتوراة تشير فى سياق حديث هذه الصفة إلى العديد من الأمثلة. من ذلك: ما صنعه إبنا يعقوب شمعون ولاوى أخوى «دينة» ابنة «ليلة» التى ولدتها ليعقوب.. حينما اضطجع معها شكيم بن حمور رئيس الأرض وزنابها وأحبها وعرض على أهلها الزواج منها، وكذلك مشاطرتهم فى الأرض والتجارة والسماح بالتزاوج بين القبائل، فوافق بنو يعقوب على شرط أن يختتن العريس وأهله.

وفى ليلة ختان كل الذكور الذين باتوا يتوجعون، قام شمعون ولاوى بسيفهما فقتلاً كل الذكور، ثم نهبا المدينة وسبيا النساء والأطفال، وكل ما فى الديار وغدرا بالعهود..

هذه القصة أشار إليها بالتفصيل سفر التكوين.

وفى سفر القضاة قصة أخرى أكثر سخرية من السابقة وهى تدل بوضوح على تأصل الغدر والخيانة فى دماء بنى إسرائيل، وذلك عندما لجأ قائد جيش الكنعانيين «سيسرا» إلى خيمة «ياعيل» امرأة حابر القينى (وهى يهودية) كى يختبئ فيها بعد أن هزمه اليهود فى الحرب بقيادة قاضيهم «باراق».

وكان هناك سلام وصلح بين سيسرا وحابر القينى، وطلب سيسرا ماء فسقته المرأة، ثم قدمت له اللبن وغطته وأمنته ووعدته أن لا ترشد أحداً من اليهود إلى مكانه، ولما اطمأن ونام قامت وضربت وتد الخيمة فى صدغه فمات وهو نائم غدراً!

ولسنا فى حاجة إلى التأكيد من جديد على أن ماذكرناه من صفات وطبائع

اليهود. . مما جاء فى كتابهم المقدس «العهد القديم» إنما سقناه فقط على سبيل المثال وليس الحصر. .

وهذا معناه أن حديث الصفات والطبائع لدى بنى إسرائيل إنما يحتاج بالفعل لكتاب كبير يتم فيه استعراض هذه الصفات وآثارها السيئة على كل البشرية. باعتبارها صفات متأصلة وطبائع متوارثة، ولذلك يصعب تغييرها أو القضاء عليها إلا بالقضاء على أصحابها أنفسهم، والتخلص منهم ومن شرورهم.



وإذا ما تركنا كتاب اليهود المقدس لبيان نفس الصفات الخبيثة والطبائع المذمومة لدى اليهود مما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة سوف نفاجأ بكم هائل من الموضوعات والأحاديث والقصص التى اقتربت إلى مسافات معدودة من تلك الصفات وهذه الطبائع، ومصدرها هذه المرة هو كتاب الله العزيز الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

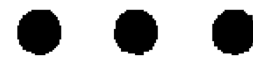
ولذلك فهى صفات مؤكدة وموثقة لأنها منزلة من رب العالمين خالق اليهود وغيرهم من البشر، والذى يعلم تماماً مدى وجود وتأصل تلك الصفات فيهم من دون غيرهم.



وبالبحث والتنقيب عن أهم المصادر التى تمكنا أن نستقى منها حديث هذه الصفات كما جاءت بالقرآن الكريم مع الشرح والتفسير الموثوق به. . وجدنا أن هناك رسالة دكتوراه مهمة حصل عليها الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوى عن بنى إسرائيل وأفعالهم وصفاتهم ورذائلهم كما جاءت فى كل من القرآن والسنة.

ولقد سعدنا بالعثور على هذه الرسالة العلمية والأكاديمية باعتبارها جمعت كل المصادر المكتوبة عن اليهود وما جاء بشأنهم فى القرآن الكريم. مع أن

هناك كتباً كثيرة قد تحدثت عن نفس الموضوع وإن لم يكن بالتوسع المشار إليه آنفا.



فى البداية يؤكد الدكتور طنطاوى أن قارئ القرآن الكريم ودارسه يكتشف بوضوح أن هذا الكتاب العزيز قد سجل على بنى إسرائيل كثيراً من الأخلاق السيئة والطباع القبيحة والمسالك الخبيثة. فقد وصفهم بالكفر والجحود والأنانية والغرور والجبن والكذب واللجاج والمخادعة والعصيان والتعدى على حقوق الناس وقسوة القلب وانحراف الطبع والمسارعة فى الإثم والعدوان وأكل أموال الناس بالباطل.

وهذه القبائح التى سجلها عليهم القرآن الكريم على حد قول الدكتور محمد سيد طنطاوى، يراها الإنسان واضحة وجلية فيهم على مر العصور واختلاف الأمكنة، ولم تزدهم الأيام إلا رسوخاً فيها وتمكناً منها وتعلقاً بها[1].

ولقد حصر الدكتور طنطاوى هذه الرذائل وتلك الطبائع والصفات الخبيثة فى عشر صفات هى: نقضهم للعهود والمواثيق، وسوء الأدب مع الله، وعداوتهم للملائكة، وقتلهم الأنبياء، ثم جحدهم الحق وكراهتهم للخير خاصة إذا ما كان لغيرهم بدافع الأنانية، والحسد وتحايلهم على استحلال محارم الله تعالى ونبذهم لكتاب الله، واتباعهم السحر، ونسيانهم حظًا مما ذكروا به، ثم حرصهم على الحياة وخوفهم من الجهاد فى سبيل الله، وطلبهم من نبيهم موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهاً كما لغيرهم آلهة!. ثم عكوفهم على عبادة العجل، وأخيراً تنطعهم فى الدين وإلحافهم فى المسألة.

ولقد استعان الدكتور طنطاوى فى بيانه لتلك الصفات بآيات من القرآن الكريم مع تفسير وشرح لهذه الآيات البينات، وهى فى حقيقتها صفات وطبائع على جانب كبير من الأهمية وتستحق منا التوقف عندها تفصيلاً.

---

(١) بنو إسرائيل فى القرآن والسنة ـ د. محمد سيد طنطاوى ـ مصدر سابق.

ولكن ولنفس السبب السابق الإشارة إليه عن وجود فصول أخرى فى هذه الأوراق. . سوف نختار بعضها لاستعراضه وبيان موقف القرآن الكريم منها، وذلك من أجل إفساح المجال أكثر لبيان نوع آخر من تلك الصفات وخاصة ما جاء منها أيضا بالسنة النبوية الشريفة.

ولعل أخطر وأسوأ صفة يتصف بها اليهود ولايزالون. . هى: «نقضهم للعهود والمواثيق». وباعتبارها من الصفات التى دمغ القرآن الكريم بها اليهود فى كثير من آياته الكريمة.

ويؤكد الدكتور طنطاوى أن المتتبع لتاريخ بنى إسرائيل قديما وحديثا يرى أن هذه الرذيلة تكاد تكون طبيعية فيهم، فقد أخذ الله عليهم كثيراً من المواثيق، على لسان أنبيائه ورسله، ولكنهم نقضوها، وعاهدهم النبى ﷺ غير مرة، فكانوا ينقضون عهدهم فى كل مرة.

ففى سورة البقرة آيات كريمات صرحت بأن اليهود قد نقضوا ـ إلا قليلاً منهم ـ العهود التى أخذها الله عليهم بأن يعبدوه ويعملوا صالحاً، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ الآية ٨٣ من سورة البقرة.

وفى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ (٨٤) ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا

الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ الآيات من ٨٤-٨٦ من سورة البقرة.

ويقول شيخ الجامع الأزهر فى بعض لمحات تفسيره: أن الله سبحانه وتعالى بعد أن بين فى الآية السابقة أنه تعالى قد أخذ على بنى إسرائيل عهداً بأن يعبدوه ويؤدوا فرائض الله، إلا أنهم نقضوا هذا العهد وتولوا عنه سوى قليل منهم، بعد ذلك بين فى هذه الآيات الكريمة أنه سبحانه أخذ عليهم عهداً آخر ولكنهم نقضوه كما هو دأبهم[1].

أما ثانى أسوأ الصفات والتى التصقت أيضا باليهودى طوال تاريخه فهى: «تحايله على استحلال محارم الله عز وجل».. وكانت تلك من أعظم الرذائل التى وقعوا فيها نتيجة جهلهم وفسوقهم وجشعهم وضعف إرادتهم، وذلك لأجل أن يصلوا إلى مطامعهم وشهواتهم، ظانين لجهلهم وعدم فهمهم أنهم عن طريق ذلك التحايل المحرم سيفلتون من المؤاخذة والعقاب.

وقصة أصحاب السبت التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم، أكبر دليل على تلاعبهم بالدين وتهالكهم على الدنيا.

والحديث عن أصحاب السبت، قد جاء ذكره مفصلاً فى سورة الأعراف فى قوله تعالى: **﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾** ١٦٣.

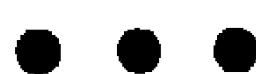
حيث قال الإمام ابن كثير: أى اسأل يا محمد هؤلاء اليهود الذين بحضرتكم عن قصة أصحابهم الذين خالفوا أمر الله ففاجأتهم نقمته على صنيعهم واعتدائهم واحتيالهم فى المخالفة، وحذر هؤلاء من كتمان صفتك التى يجدونها فى كتبهم، لئلا يحل بهم ما حل بإخوانهم وسلفهم، وهذه القرية هى «أيلة» على شاطئ بحر القلزم.

---

(١) المصدر السابق.

وكذلك اتصف اليهود: بجحودهم للحق بعدما تبين، وكراهتهم الخير لغيرهم بدافع الأنانية والحسد، وهى من الرذائل التى تكرر وصف اليهود بها فى القرآن الكريم، مما يجعلهم يحرصون على احتجاز الخيرات لأنفسهم دون سائر الناس وتحاملهم على الشعوب بأن كل بر يصيب غيرهم فكأنما قد اقتطع منهم وتحولهم إلى أناس يتميزون من الغيظ إذا ما رأوا نعمة تساق لغير أبناء ملتهم.

وقد سجل القرآن الكريم عليهم هذه القبائح فى آيات متعددة من ذلك قوله تعالى: **﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين﴾**.



وإذا كان شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوى قد توسع وبشكل غير مسبوق فى ذكر صفات وطبائع بنى إسرائيل. من واقع ما أورده اعتمادا على ما جاء بالقرآن الكريم وسنة رسول الله المطهرة.. فإن عالماً مسلماً وداعية ومفكراً كبيراً مثل الشيخ السيد سابق قد أوجز لنا بعض تلك الصفات، مما جاء أيضا بالقرآن الكريم.

فنراه يذكر من هذه الصفات «الزهو والاستعلاء»، وأصله اعتقادهم بأنهم شعب الله المختار، وأن عنصرهم أسمى من العناصر الأخرى على حسب ما جاء فى تعاليم التلمود، وقد رد القرآن الكريم عليهم هذا الزعم باعتبارهم بشر كسائر البشر وأن التمايز إنما يكون بالعمل النافع الصالح والأدب العالى وحُسن الصلة بالله وتقديم النفع للناس.

ويقول الله تعالى موضحاً ذلك فى كتابه العزيز: **﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن**

يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ المائدة الآية ١٨.

ليس هذا فقط، بل اتصف اليهود إلى جانب ما سبق وذكرناه: «بالغرور وتعلقهم بكواذب الأمانى والآمال»، وهذا الخُلق مبنى على الاعتقاد الأول، فهم يزعمون بأن الله سيغفر لهم جميع السيئات والمنكرات، وأنهم ليسوا كغيرهم يحاسبون على الصغيرة والكبيرة.

والله سبحانه وتعالى يقف من هذه الأمانى موقفا حاسماً إذ يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١١١) بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ سورة البقرة الآيتين (١١١-١١٢)[1].

وثالث هذه الصفات وتلك الرذائل التى فضحها القرآن الكريم بالنسبة لليهود: صفة الجبن والحرص على الحياة.. ويؤكد الشيخ سيد سابق أن أساس هذا الخلق هو ضعف العقيدة واضطرابها والاستغراق فى النزعة المادية استغراقاً، مما ملك عليهم نفوسهم وقلوبهم، وجعلهم يحبون الحياة مهما كانت، ويجبنون على التضحية ولو قلت.

ويقول الله تعالى معبراً عن ذلك سبحانه: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ البقرة الآية ٩٦.

وهذا لا يمنع من أن يكون اليهود مهرة فى إثارة وتدبير المؤامرات والعمل من وراء الستار، لأن ذلك لا يكلفهم أية تضحيات.

● ● ●

(١) اليهود فى القرآن ـ السيد سابق.

وكما كان للقرآن الكريم موقف حازم من بيان الصفات الرذيلة والقبيحة لليهود، كذلك كان للسنة المطهرة موقف مشابه. . ذلك لأن رسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى. . وكل ما كان يصدر عنه إنما هو من وحى رب العالمين الذى أنبأنا من القرآن الكريم بقبائح ورذائل وصفات وطبائع بنى إسرائيل.

ويقول التاريخ الإسلامى فيما يخص موقف النبى الكريم من صفات اليهود. أن هذا النبى العظيم قد قاسى الأمرين من غدر ومكر وخداع اليهود وهم بجواره عليه الصلاة والسلام فى المدينة.

هذا المكر والخداع والجبن والخوف كان بحق من أهم صفات الرذيلة القبيحة التى اكتشفها رسول الله فى هؤلاء القوم الظالمين. ولم يكن اكتشافه لتلك الصفات من خلال ما جاء به القرآن الكريم فقط، بل ومن خلال معاشرة ومتابعة ومعاينة، أفرزتها عشرات المواقف الدنيئة التى صدرت من بنى إسرائيل سواء ضد الدعوة الإسلامية أو ضد رسول الله ﷺ شخصياً. . حتى أن بعضهم نظراً لهذه الصفات البغيضة والمتأصلة فيهم. . قد فكر فى قتل رسول الله ﷺ، كما حاولوا ذلك من قبل مع نبى الله عيسى عليه السلام، ومع العديد من أنبياء بنى إسرائيل.

وكانت عاقبة هؤلاء الظالمين الطرد من المدينة المنورة، ثم ملاحقتهم خارج بقية أراضى الحجاز حتى تم إجلاؤهم جميعا عن الجزيرة العربية بعد حصار خيبر المشهور.

ولما تجمعوا من جديد فى أرض الشام أخذوا يتفننون وفق هذه الصفات وتلك الطبائع القبيحة، فى الكيد للإسلام وتعاليمه وضد السيرة النبوية، ولكن الله كان ولايزال يهيىء من عباده من العلماء على مر العصور من الذين يقفون بالمرصاد لتلك المحاولات الدنيئة. .

ولنا كتاب مهم سردنا فيه تلك المحاولات اليهودية، ضمن محاولاتهم الأخرى

لهدم كل ما هو دين سماوى. كما أوضحنا فيه أيضا سبل ووسائل القضاء على تلك الجرائم[1].



والسؤال الذى يفرض نفسه فى سياق الحديث عن الصفات والطبائع القبيحة لدى اليهود: ما عاقبة هؤلاء لتمسكهم بهذه الصفات؟! وهل تركهم أو سيتركهم رب العالمين إزاء استمرارهم دون عقاب؟!.

إن الرجوع إلى كتاب الله ـ القرآن الكريم ـ وحتى بعض آيات الإنجيل غير المزور أو المحرف فيه الدلائل المؤكدة على ما أصاب هؤلاء القوم الظالمين وما سوف يصيبهم نظراً لتمسكهم بتلك الصفات المذمومة.

ليس هذا فقط، بل إن هناك أدلة تاريخية مؤكدة نستطيع من خلال الوقوف حتى على بعضها، التعرف على ما أصاب هؤلاء وما سوف ينالهم من عذاب شديد سواء فى الدنيا أو فى الآخرة لسيرهم على نهج تلك الصفات القبيحة.

ولعل ما يأتى فى مقدمة هذه الأدلة: ما أصابهم من حالات شتات مستمر على طول تاريخ الإنسانية خاصة منذ الشتات الإلهى الأول الذى نُفذ فيهم عندما عصوا رب العالمين وقت وجود موسى عليه السلام فى وسطهم وبينهم، وقد تاهوا فى صحراء سيناء أربعين عاماً كاملة. وسط لهيب الصحراء وقحط خيراتها.

وياليتهم قد اهتدوا أو عرفوا طريق الحق، بل واصلوا غيهم وظلمهم وعصيانهم وإرهابهم لرسل الله وعباده من الآمنين فكان جزاؤهم أن نفذت فيهم مشيئة الله عندما سلط عليهم أقواماً أشداء كى يذيقوهم سوء العذاب فى الدنيا. وقد استمرت رحلة ذلك العذاب عندما عاشوا فى الأسر البابلى وقت أن بدأ سرجون على حد قول الدكتور جمال حمدان فى نقل كثير من هؤلاء الإسرائيليين من السامرة من أبناء القبائل العشر إلى بابل وأسكن مكانهم بعض أسراه من البلاد المفتوحة الأخرى.

---

(١) ولمزيد من المعرفة فيما يخص هذا الموضوع يرجى الرجوع إلى كتابنا «جرائم اليهود ضد الأديان السماوية».

ثم جاء من بعده نبوخذ نصر الذى نقل أغلبية هؤلاء اليهود أسرى إلى بابل، وقد قدر عددهم آنذاك بربع سكان يهودا أى ما يقرب من $\frac{3}{4}$ مليون نسمة[1]..

ثم جاء الشتات اليهودى الجديد. والذى عاصر المرحلة الهلينية التى جاءت بعد قرنين من السيادة الفارسية وبدأت بفتوح الإسكندر ثم استمرت مع السلوقين والبطالمة ثم البيزنطيين. والاتجاه العام فى هذا الشتات كان نحو الغرب هذه المرة.

وفى مرحلة الشتات الثالث والمعروف بالشتات الرومانى الوسيط باعتباره آخر مراحل الشتات اليهودى فى العصر القديم.. فقد تم ترحيلهم إلى الغرب الأقصى بالنسبة إلى الموطن الأصلى لهم فى فلسطين.

ويؤكد الدكتور جمال حمدان أن الشتات الجديد كان يشبه حركة عقارب الساعة باستمراره من العصور الوسطى وحتى العصور الحديثة.

وهو الشتات الذى بدأ فى الواقع مع الثورة المكابية، لكنه اكتمل مع الفتح الرومانى لفلسطين الذى يكاد يعاصر بدقة بداية العصر المسيحى.

ثم أخيراً يأتى شتات العصر الحديث. وهو الذى شهد عدة مجازر ارتكبها مسيحيو الغرب للخلاص من اليهود سواء بحرقهم فى أفران الغاز أو استخدامهم فى أحط وأحقر الوظائف والأعمال. ولم ينقذهم من هذا الشتات إلا تحالفهم مع المبشرين ودعاة التبشير المسيحى وفق تعليمات الصهيونية الجديدة، للوصول إلى مآربهم الرامية إلى إعادة تجميعهم من جديد على أرض فلسطين.

وللأسف فقد تم لهم ما أرادوا فى غفلة من المسلمين ومن العرب. ومع ذلك فنحن نتنبأ بوقوع شتات جديد لهؤلاء على أن يكون هو خاتمة عقابهم فى الحياة الدنيا ومن قبل أن يلقوا رب العالمين كى يعذبهم بما فعلت أيديهم.

---

(١) د. جمال حمدان ـ المصدر السابق.

الفصل الثانى

دلائل الإرهاب فى كتبهم المقدسة

الشىء المثير للعجب والسخرية.. أن من يتصفح حتى من غير المتخصصين.. كل الكتب المقدسة التى يزعم اليهود بأنها كتب منزلة من السماء.. لعله يكتشف كماً رهيباً من التعليمات التى تحض على الإرهاب والعنف والانتقام والجريمة ضد كل البشر من الذين لا يدينون باليهودية!. وكأنما الله قد أنزلهم أوصياء على هؤلاء البشر لإجبارهم على اعتناق ذلك الدين!.

وياليتها كانت تعاليم اليهودية الحقة من التى أنزلت على النبى موسى عليه السلام. بل هى اليهودية المحرفة بأقلامهم وبتعاليم أحبارهم ورهبانهم، وقد كتبوها بأيديهم لتحقيق مطامع فى الدنيا والابتعاد عن عبادة الله الواحد الأحد!

ولقد ظلوا على هذا الضلال المبين حتى فضحهم الله عندما أنزل كتابه العزيز ـ القرآن الكريم ـ والذى جاءت فيه آيات بينات كذبت كل ادعاءات بنى إسرائيل سواء بشأن التفوق العرقى والجنسى أو حتى بشأن ادعاءاتهم الكاذبة بأن الله قد أوصاهم بالعنف والإرهاب!.

وإزاء هذا الكشف الفاضح من جانب القرآن الكريم وسنة النبى العظيم عليه الصلاة والسلام. فقد وجهوا معظم سهام إرهابهم لهذا الدين الحنيف وإلى كل أتباعه، ولم يتركوا مناسبة أو موقفا إلا وانتهزوه حتى ولو مع الشيطان لأجل ضرب دين الإسلام الذى فضح إرهابهم ورد على كل ما جاء فى كل كتبهم المقدسة المزعومة.

ولقد كثفوا إرهابهم ضد كل ما هو إسلامى وعربى خاصة فى العصر

الحديث، مستغلين عوامل كثيرة، وإن كان المسلمون أنفسهم من أوائل المسئولين عن وجود بعضها.

ولما كان هدف هذه الأوراق، خاصة فى بابها الأخير، هو إلقاء الأضواء المبهرة على الإرهاب اليهودى من واقع ما سجلوه فى كتابهم المقدس المزعوم، فسوف نواصل بيان ذلك الإرهاب ودلائله فيما سجلوه من كلمات وتعليمات اتخذوها نبراساً لهم جيلاً بعد جيل بهدف واحد يسعى إلى إفنائهم البشرية بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة!.

ولا يجب أن نصدق فى هذه الحالة أنهم يستهدفون المسلمين ودينهم فقط!.. بل كل ما فى الأمر أنهم إذا ما نجحوا فى القضاء على الإسلام والعروبة والمسلمين فسيكون الطريق أمامهم ممهداً، ولكن ذلك لن يحدث أو يكون، فالله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وبالاطلاع والقراءة والدراسة المتأنية فيما يخص بيان الإرهاب اليهودى مما جاء فى كتبهم المقدسة خاصة فى التوراة المحرفة، والمعروفة بالعهد القديم، ثم التلمود وتعاليم حكماء صهيون، اكتشفنا أن هذا الإرهاب له خمس صور ظاهرة لكل صاحب عقل يفكر ويتدبر بحيدة وهدوء، ونحن ومن خلال هذا الفصل سوف نستعرض تلك الصور ونناقشها بالتفصيل.. مع الاستعانة بالأدلة المكتوبة فى الكتب المقدسة المزعومة.

والصور المقصودة هنا هى:

- العيب فى الذات الإلهية.
- السخرية من الملائكة.
- قتلهم الأنبياء والمرسلين.
- تحريفهم الكتب المقدسة والمنزلة من رب العالمين.
- إرهابهم الشعوب وإباحتهم قتل كل من هو غير يهودى!!.

ولابد أن يكون واضحًا للأذهان من قبل الانطلاق فى رحاب مناقشة كل هذه الصور للإرهاب اليهودى من واقع ما سجلوه فى كتبهم المقدسة. . ضرورة معرفة أن الإرهاب الذى نقصده. إنما نعنى به كلا من الإرهاب الفكرى والإرهاب الدموى، وقد اكتشفنا من واقع متابعة متأنية لتاريخ بنى إسرائيل أنهم قد تفننوا فى استخدام كل ألوان الإرهاب سواء على المستوى الفكرى أو العقائدى أو الدموى.

وقد وصل بهم الذكاء فى هذا الاستخدام حداً لم يصل ولن يصل إليه قوم آخرون!، حيث وظفوا كل إرهابهم بما يناسب الصورة التى تقترب منه أو تناسبه وتقضى عليه وذلك فى تصورهم الملعون.

لكننا مع ذلك نستطيع أن نقول فى الوقت نفسه ومن واقع نفس المتابعة أن صفة الإرهاب الدموى لدى اليهود كانت هى الغالبة على كل مؤامراتهم، سواء ما كان منها ما هو ضد أنفسهم أو ضد أنبيائهم أو ضد غيرهم من شعوب الأرض!.

وكذلك نراهم قد تفننوا وعلى مر كل العصور فى اختراع الوسائل التى كانت تسهل لهم تنفيذ كل صور الإرهاب الدموى وبشكل مؤثر وسريع، وقد استغلوا ما حباهم الله من علم ومال.

ونراهم فى هذا السياق قد تعلموا الكثير من الممارسات المشهورة للإرهاب عبر التاريخ. . حتى أنهم وكما سوف يمر علينا قد مجدوا الذين يمارسونه بشتى الوسائل، سواء بالقول أو بالفعل، وكما سبق أن نوهنا فإن كل كتبهم المقدسة المزعومة والمحرفة بها آلاف، بل ملايين الأمثلة والأدلة على احترافهم الإرهاب منذ فجر تاريخ الإنسانية.

وكل من سوف يتابعنا فوق أوراق هذا الفصل، سيقف على تلك الأدلة التى ذكروها كثيراً فى كتبهم المقدسة المزعومة أو المحرفة، والتى سوف تظهر أيضا بوضوح من خلال استعراضنا القادم لصور الإرهاب المتعددة والسابق الإشارة إليها وهم يروجون لها منذ فجر التاريخ وفى عصر الرسالات السماوية.

•• الصورة الأولى:

وفق التسلسل التاريخى والدينى لما دونه اليهود فى كتبهم المقدسة سواء ما شمل أحداث تاريخهم أو تاريخ كل البشرية على حد زعمهم.. تظهر بوضوح أولى صور هذا الإرهاب والذى بدا إرهاباً فكرياً خالصاً.. حيث نراه قد وجه للذات العلية.. رغم أنهم لا يملكون أبداً لا القدرة ولا الأسلوب.. لمواجهة رب العالمين مواجهة دموية.. ولا حتى فكرية.. لذلك نراهم قد تصوروا أنهم يوجهون إرهابهم الأسود ضد رب العالمين فيما تقولوا على ذاته العلية وما ألصقوه من صفات لا تليق بأى حال بمقام الإله العظيم، رب العالمين ورب كل شىء.

وهذا ما دعانا إلى أن نناقش هذا النوع من الإرهاب فى صورته الأولى وباعتباره أحط أنواع «الإرهاب الفكرى»..

وقد اعتمدوا فيه على كلمات متدنية وصفات ملعونة وتخاريف وصور لم يكن لها أساس من الصحة، محاولين إلصاقها برب العالمين خالقهم وخالق كل شىء!!!

هذه الصور وتلك الكلمات والصفات المزمومة قد ملأوا بها توراتهم المزيفة فيما أطلقوا عليه الأسفار فى عهدهم القديم!!.

بل وأضافوا إلى هذه الصورة الإرهابية الكثير من التفاصيل فى غير التوراة، خاصة فيما صدر منهم من كتب استكملوا بها هذا التخريف وهذا التحريف مثل التلمود وتعاليم حكماء صهيون.. وكتب وأسماء أخرى ما أنزل الله بها من سلطان!!.

والعجيب أنهم قد وصفوا هذه الكتب بالقداسة!!! أى المنزلة من عند رب العالمين.. وكيف يدعون ذلك، وكل هذه الكتب تمتلئ بالتخاريف والعبارات التى لا تليق أبدًا بهذا الرب الكريم مثل وصفهم إياه بالنقص والضعف والكذب والغفلة والجهل. كما أشركوا معه آلهة أخرى، ثم ارتدوا أحياناً إلى عبادة الأصنام والحيوان. وظهر تصورهم هذا فى كثير مما ورد فى كتبهم.

إنها والله لقضية فى غاية الخطورة وتحتاج إلى تضافر كل جهود العلماء لأجل فضح هذه التخاريف وبالتالى مقاومة هذا النوع الملعون من الإرهاب الفكرى!

وسوف تقدرون أنتم أيضا خطورة هذا النوع من الإرهاب حين استعراضنا لما جاء فى تلك الكتب المقدسة المزعومة فى حق رب العالمين تعالت قدرته وجل جلاله الكريم.

ولقد حدد لنا الدكتور على عبد الواحد وافى آفاق هذا النوع من الإرهاب الفكرى الذى ابتدعته اليهود ضد ذات الله العلية عندما قال: يبدو من التأمل فى أقدم سفرين من أسفار توراتهم المزعومة، وهما سفر التكوين وسفر الخروج، أن فكرة الألوهية ظلت مضطربة فى عقولهم إلى نهاية المرحلة التى تم فيها تدوين هذين السفرين، أى إلى نهاية القرن التاسع قبل الميلاد، وبعد موسى بنحو خمسة قرون، فتصوروا الله تعالى فى صورة مجسمة، ووصفوه بكثير من صفات النقص والضعف والكذب والغفلة والجهل وأشركوا معه آلهة أخرى، وارتدوا أحيانًا إلى عبادة الأصنام والحيوان. وظهر تصورهم هذا فى كثير مما ورد فى هذين السفرين[1].

وهناك عشرات العبارات التى ذكروها فى هذين السفرين وفى غيرهما أيضا. وهى تدل دلالة واضحة على موقفهم الإرهابى المتعمد ضد فكرة الألوهية، ثم الإيمان بالواحدانية. ولعل ذلك يبدو جليا فيما سوف نسوقه من عبارات هزلية وفاضحة وكاذبة نسبوها إلى رب العالمين.

**** ففى سفر التكوين يقول مزورو التوراة**

«وهكذا اكتملت السماوات والأرض بكل ما فيها. وفى اليوم السابع أتم الله عمله الذى قام به، فاستراح فيه من جميع ما عمله. وبارك الله اليوم السابع وقدسه، لأنه استراح فيه من جميع أعمال الخلق»!![2].

---

(١) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ـ مصدر سابق

(٢) الكتاب المقدس ـ كتاب الحياة ـ ترجمة تفسيرية.

●● **ثم قالوا فى نفس سفر التكوين:**

«ثم سمع الزوجان (آدم وحواء) صوت الرب الإله ماشيًا فى الجنة عند هبوب ريح النار، فاختبأ من حضرة الرب الإله بين شجر الجنة.. فنادى الرب الإله آدم: «أين أنت»؟! فأجاب:

«سمعت صوتك فى الجنة فاختبأت خشية منك لأنى عريان».

●● وفى قصة قابيل وهابيل شيء من هذا التخريف، حيث استباح كاتبو التوراة ومزوروها أن يخاطبوا الذات العلية وكأنما يخاطبون أنفسهم أو من هم أقل منهم فى منزلتهم!. حيث قالوا:

«وحدث بعد مرور أيام أن قدم قابيل من ثمار الأرض قربانا للرب، فتقبل قربان هابيل، وقدم هابيل أيضا من خيرة أبكار غنمه وأسمنها. فتقبل الرب قربان هابيل ورضى عنه ولكنه لم يتقبل قربان قابيل ولم يرض عنه. فاغتاظ قابيل جدًا وتجهم وجهه كمدًا. فسأل الرب قابيل: لماذا اغتظت؟! لماذا تجهم وجهك؟! لو أحسنت فى تصرفك ألا يشرق وجهك فرحًا وإن لم تحسن التصرف، فعند الباب خطيئة تنتظرك، تتشوق أن تتسلط عليك، لكن يجب أن تتحكم فيها»!!.

ثم يواصلون هذه القصة بأسلوب فيه سخرية واستهزاء بالذات العلية وقد ذكروها بالتفصيل فى سفر التكوين أيضا.. عندما قالوا: «وعاد قابيل يتظاهر بالود لأخيه هابيل. وحدث إذا كانا معاً فى الحقل أن قابيل هجم على أخيه هابيل فقتله، وسأل الرب قابيل: أين أخوك هابيل؟! فأجاب: لا أعرف. هل أنا حارس لأخى؟!. فقال الرب له: ماذا فعلت؟! إن صوت دم أخيك يصرخ إلى الأرض»[1]!

●● وتحت عنوان فرعى فى كتاب الحياة اليهودى: «حقبة الجبابرة» يواصل كتبة التوراة المحرفة الافتراء على الله بأن نسبوا إليه الأبناء.. وذلك فى قولهم:

«وحدث لما ابتدأ الناس يتكاثرون على سطح الأرض وولد لهم بنات، انجذبت أنظار أبناء الله إلى بنات الناس فرأوا أنهن جميلات فاتخذوا لأنفسهم منهن زوجات حسب ما طاب لهم»[2].

(١) التوراة والقرآن ـ مقارنة نصية ـ عادل المعلم ـ ج(١).

(٢) سفر التكوين ـ كتاب الحياة.. الإصحاح الرابع.

●● وسيراً على منهج التخريف والتحريف فيما نسبوه إلى رب العالمين، قال واضعو التوراة فى سفر التكوين عند الحديث عن قصة طوفان نوح عليه السلام: «ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر فى الأرض، وأن كل تصور فكر قلبه يتسم دائما بالإثم، فملأ قلبه الأسف والحزن لأنه خلق الإنسان، وقال الرب: «أمحو الإنسان الذى خلقته عن وجه الأرض مع سائر الناس والحيوانات والزواحف وطيور السماء، لأنى حزنت أنى خلقته» أما نوح فقد حظى برضا الرب!.

●● وفى قصة طوفان نوح عليه السلام كتب مزورو التوراة: «.. ثم افتقد الله نوحاً وما معه فى الفُلك من وحوش وبهائم، فأرسل ريحاً على الأرض فتقلصت المياه وانسدلت ينابيع اللجج وميازيب السماء واحتبس المطر وتراجعت المياه عن الأرض تدريجياً». سفر التكوين ـ الإصحاح الثامن.

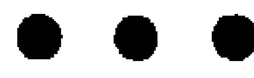
●● وفى الإصحاح الحادى عشر من نفس السفر كتب مزورو التوراة يتقولون على الله واصفين إياه بصفات بشرية لا تليق بالمقام العظيم لرب العالمين كقولهم: «وكان أهل الأرض جميعا يتكلمون أولاً بلسان واحد ولغة واحدة، وإذا ارتحلوا شرقاً وجدوا سهلاً فى أرض شنعار فاستوطنوا هناك، فقال بعضهم لبعض «هيا نصنع طوباً مشوياً أحسن شىء» فاستبدلوا الحجارة بالطوب والطين بالزفت. ثم قالوا: «هيا نشيد لأنفسنا مدينة وبرجاً يبلغ رأسه السماء، فنخلد لنا إسماً لئلا نتشتت على وجه الأرض كلها».

ونزل الرب ليشهد المدينة والبرج الذين شرع بنو البشر فى بنائهما، فقال الرب: «إن كانوا كشعب واحد ينطقون بلغة واحدة قد عملوا هذا منذ أول الأمر، فلن يمتنع إذن عليهم أى شىء عزموا على فعله.. هيا ننزل إليهم ونبلبل لسانهم حتى لا يفهم بعضهم كلام بعض»!.

●● وفى محاولة أخرى دنيئة ومفضوحة من جانب بنى إسرائيل للاستئثار بفضل الله ورحمته من دون بنى البشر.. كتب مزورو التوراة فى قصة سيدنا

إبراهيم الخليل مع زوجته سارة عليهما السلام: «ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذى أنجبته لإبراهيم يسخر من ابنها اسحق، فقالت، لإبراهيم، «اطرد هذه الجارية وابنها، فإن ابن الجارية لن يرث مع ابنى اسحاق».

فقبح هذا القول فى نفس إبراهيم من أجل ابنه. فقال له الله: «لا يسوء فى نفسك أمر الصبى أو أمر جاريتك، واسمع لكلام سارة فى كل ما تشير به عليك لأنه بإسحاق يُدعى لك نسل. وسأقيم من ابن الجارية أمة أيضاً لأنه من ذريتك»[1].



وتتويجاً لفكرة أرض الميعاد وارتباط اليهود بفلسطين ارتباطاً مزيفاً وقد أرادوا له سنداً دينياً فى كتبهم المقدسة التى كتبوها بأيديهم.. لذلك فقد ربطوا بينها وبين وعود الله المتعددة.. وهى وعود خصصوها لصالحهم فقط!.

وحتى عندما كتبوا هذا الكلام نراهم قد تعدوا حدود الله والتأدب معه تعالى، ويبدو ذلك فى قولهم عند الحديث عن علاقة يعقوب عليه السلام بهذه الأرض: «ورأى حلماً شاهد فيه سلماً قائمة على الأرض ورأسها يمس السماء، وملائكة الله تصعد وتنزل عليها والرب نفسه واقف فوقها يقول: أنا هو الرب إله أبيك إبراهيم وإله اسحق. إن الأرض التى ترقد عليها الآن أعطيها لك ولذريتك التى ستكون كتراب الأرض وتمتد غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً وتتبارك بك وبذريتك جميع شعوب الأرض. ها أنا معك وأرعاك حينما تذهب وأردك إلى هذه الأرض، ولن أتركك إلى أن أفى بكل ما وعدتك به»!.

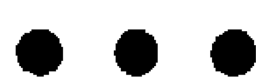
وحتى فى استكمال رواية كتبة التوراة شطط وإفتراء على الله، ويبدو ذلك بوضوح أيضا فى قولهم: «ثم أفاق يعقوب من نومه قال: حقاً إن الرب فى هذا الموضع وأنا لم أعلم!. واعتراه خوف وقال ما أرهب هذا المكان! ما هذا سوى بيت الله وهذا هو باب السماء[2].

(١) الإصحاح العشرون ـ سفر التكوين.

(٢) التوراة والقرآن ـ مصدر سابق.

●● ووصل التحريف مداه فى أذهان وعقول هؤلاء المعاتيه من كتبة التوراة الذين تخيلوا معركة نشبت بين النبى الكريم يعقوب عليه السلام وبين رب العالمين. . وقد انتصر فيها يعقوب عليه السلام!!!، ووحتى لا تندهشوا أكثر من ذلك تعالوا نقرأ معا هذه العبارات من سفر التكوين الإصحاح ٣٢:

«ثم قام فى تلك الليلة وصحب زوجتيه وجاريتيه وأولاده الأحد عشر وعبر بهم مخاضة يبوق، ولما أجازهم وكل ما له عبر الوادى وبقى وحده، صارعه إنسان حتى مطلع الفجر [لاحظ التشبيه وتضارب العبارات]. وعندما رأى أنه لم يتغلب على يعقوب، ضربه على حق فخذه، فانخلع مفصل فخذ يعقوب فى مصارعته معه وقال له «أطلقنى، فقد طلع الفجر»! فأجابه يعقوب: «لا أطلقك حتى تباركنى» فسأله: «ماسمك»: فأجاب: «يعقوب». فقال: «لا يُدعى اسمك فيما بعد يعقوب، بل إسرائيل ومعناه: (يجاهد الله)، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت». فسأله يعقوب: «أخبرنى اسمك»! فقال: لماذا تسأل عن اسمى؟! وباركه هناك!. ودعا يعقوب اسم المكان فنئيل (ومعناه وجه الله) إذ قال: لأنى شاهدت الله وجهاً لوجه وبقيت حياً»!!!.



●● وفى سفر الخروج اكتشفنا المزيد من التخريف والتحريف فيما كتبه هؤلاء المزورون من بنى إسرائيل فى التوراة المحرفة. وما زجوا به من عبارات تمس ذات الله العلية، وجاء ذلك فى أكثر من موضع وفى أكثر من إصحاح.

ومن ذلك على سبيل المثال الجدل الحاد الذى تصوره كاتب التوراة قد وقع بين موسى عليه السلام وبين رب العالمين عندما اختاره الله تعالى لرسالته إلى فرعون، وقد جاء فيما كتبه مزورو التوراة عن هذا الجدل:

«فقال موسى للرب: «إصغ يارب، أنا لم أكن فى يوم من الأيام فصيحاً، لا فى الأمس، ولا منذ أن خاطبت عبدك. إنما أنا بطىء النطق عيى اللسان «فقال الرب له: «من هو بارئ فم الإنسان؟ أو من يجعله أخرس أو أصم أو

بصيراً أو كفيفاً؟! ألست أنا الرب؟! فالآن انطلق فألقن فمك النطق، وأعلمك ماذا تقول». ولكن موسى أجاب: «ياسيد، أتوسل إليك أن ترسل من تشاء غيرى» فاحتدم غضب الرب على موسى وقال: «أليس هارون اللاوى أخاك؟! أنا أعلم أنه يحسن الكلام، وها هو أيضا قادم للقائك، وحالما يراك يبتهج قلبه فتحدثه وتلقن فمه الكلام»!.

●● وفى جانب آخر من قصة موسى عليه السلام وفرعون يقول رواة التوراة ومحرفوها فى تجرأ غير مسبوق على الله وعلى نبيه الكريم موسى: «فوجد رؤساء عمال بنى إسرائيل أنفسهم فى ورطة سيئة بعد أن قيل لهم أنتجوا من لبنكم فريضة كل يوم بيومه. لا تنقصوا منها شيئاً، وصادفوا موسى وهارون وهما واقفان فى انتظارهم عند خروجهم من لدن فرعون فقالوا لهما: «لينظر إليكما الرب ويقض لقد كرهتما بنا فرعون وحاشيته، وأعطيتماهم سيفاً فى أيديهم ليقتلونا». فرجع موسى إلى الرب وقال: «لماذا أسأت إلى شعبك يا رب؟! لماذا أرسلتنى؟ فمنذ أن جئت لأخاطب فرعون باسمك، أساء إلى الشعب، وأنت لم تخلص شعبك على الإطلاق»(1)!!!.

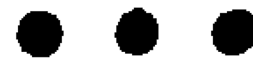
●● وبخلاف ما نسبوه من جدل لا يليق بأحد من رسل الله المقربين لله تعالى إذ قال فى كتابه العزيز «ولتصنع على عينى» موجهاً خطابه إلى نبيه الكريم موسى عليه السلام.. فقد وصفوا رب العالمين بالاحتيال لصالحهم أيضا.. وذلك فى قصة موسى وفرعون.

ومما قالوه فى هذا الشأن: «ثم قال الرب لموسى: «بقيت بلية واحدة أصيب بها فرعون والمصريين، وبعد ذلك يطلقكم من هنا.. وعندما يفعل ذلك فإنه يطردكم طرداً جميعاً. فقل الآن للشعب: ليطلب كل رجل من جاره وكل امرأة من جارتها آنية فضة وذهب». ذلك لأن الرب جعل الشعب يحظى

(1) الإصحاح الخامس من سفر الخروج!

برضا المصريين، كما أن الرجل موسى كان عظيماً فى مصر فى عيون حاشية فرعون والشعب»[1]. .

ولكى يضفوا الصيغة الدينية على خروجهم من مصر خلافاً لما جاء فى القرآن الكريم. . نراهم قد ألصقوا بالذات العلية عبارات لا تليق أبداً. . من ذلك على سبيل المثال قولهم: «وارتحلوا من سكوت وخيموا فى إثيام على طرف الصحراء. وكان الرب يتقدمهم نهاراً فى عمود سحاب لهديهم فى الطريق، وليلاً فى عمود نار ليضىء لهم. ولم يبرح عمود السحاب نهاراً وعموداً من النار ليلاً من أمام الشعب».



ولم يتوقف التخريف والتحريف عند حد هذين السفرين فقط، بل امتد ليشمل تقريبا معظم الأسفار الأخرى وإن بدا ذلك أقل حدة فى تلك الأسفار نظراً لانعدام العلاقة تقريباً بين الأحداث التى ترويها وبين رب العالمين، بل وامتد كذلك ليشمل ما جاء فى بقية كتبهم المقدسة مثل التلمود وخلافه!!.

•• الصورة الثانية:

يبدو أن انشغال كتبة التوراة ومحرفيها فى الاقتراب من ذات الله العلية، بناء على ما كان فى صدورهم من شك بوحدانية الله. . قد جعلهم يتناسون العيب فى الملائكة مثلما صدر منهم من عيوب ورذائل فى حق الله تعالى!.

وقد يكون ذلك مصدره أيضا عدم إيمانهم بوجود الملائكة أصلاً باعتبارهم من خلق الله وأصفيائه من الذين اختارهم فى خلق خاص ميزه بالنور، كى يسند إليهم رب العالمين مهام خاصة بهم، بدليل أنهم وفى كل ما كتبوه كانوا يشيرون إلى الملائكة على أنهم رجال بعث بهم الله تعالى كى ينقذوهم من مصيبة أو ليبلغوهم بعض الأخبار. . وقد ظهر ذلك بوضوح فى تناول كتب التوراة لقصة سادوم وعامورية وقصة تبشير إبراهيم عليه السلام وزوجته العجوز بالإنجاب فى

(١) الإصحاح الحادى عشر من سفر الخروج.

هذه السن المتقدمة. ومع ذلك فإن هناك فريقا آخر من اليهود من الذين ادعوا على الله كذباً بأنه تعالى يصطفى الملائكة الإناث! من دون الذكور!. وقد رد عليهم القرآن الكريم رداً عظيماً وفضح ادعاءاتهم فى هذا الشأن.

ولعلنا سوف نكتشف من بعد أن نورد بعض نصوص التوراة المحرفة فيما شمل الملائكة.. أن الحديث عن الملائكة والادعاء عليهم كذباً كنوع من الإرهاب الفكرى كان أقل الأحاديث المكذوبة لدى اليهود وما سجلوه فى كتبهم المزعومة بالقداسة!

وللأسف فقد عوضوا هذا النقص فى الإرهاب فى حديثهم ومسالكهم مع الأنبياء سواء بالقتل المعنوى أو الدموى.. وهو ما تحتوى عليه الصورة الثالثة.. من ملامح الإرهاب اليهودى كما جاء فى كتبهم المقدسة!.

ونقطة أخرى مهمة نشير إليها فى هذا السياق وهو القول بأن اليهود فى الأصل لم يؤمنوا بالملائكة باعتبارهم من خلق الله الذين اصطفاهم لعبادته سواء فى الدنيا أو فى الآخرة، إلى جانب مهامهم الأخرى والتى نعلم بعضها ونجهل البعض الآخر.

وهذا أيضا يبدو بوضوح فى كتبهم المقدسة المحرفة والمكتوبة بأيديهم! ولسوف نكتشف ذلك نحن أيضاً من خلال ذكر بعض العبارات التى جاءت فى أسفارهم عن الملائكة، وهى تصور لنا نظراتهم الضيقة والمتخلفة لملائكة الله ودورهم العظيم سواء فى الدنيا أو فى الآخرة، بل وتصور لنا كذلك إنكارهم لوجود هؤلاء الملائكة فى الأصل.

والمتتبع الواعى لكل ما جاء فى إصحاحات سفر التكوين يكتشف ذلك بوضوح، خاصة ما ارتبط بهذا السفر من خلق الله لجميع المخلوقات فى السماوات والأرض، حيث جاء فى هذا السفر وفى الإصحاح الأول عن بدء الخليقة: «فى البدء خلق الله السماوات والأرض. وإذ كانت الأرض مشوشة ومقفرة وتكشف الظلمة وجه المياه، وإذا كان روح الله يرفرف على سطح المياه»!.

ليس هذا فقط.. بل ويلاحظ كذلك كل من يتتبع فى وعى بقية قصة الخلق

كماء جاءت فى التوراة وفى نفس الإصحاح وجود نوع من إنكار خلق الملائكة من أصله!!، بدليل أنهم ذكروا أنه فى اليوم الأول: «أمر الله: ليكن نوراً. . فصار نور، ورأى الله النور فاستحسنه وفصل بينه وبين الظلام. وسمى الله النور نهاراً، أما الظلام فسماه ليلاً، وهكذا جاء مساء أعقبه صباح، فكان اليوم الأول.

وتوالى التوراة ذكر بقية قصة الخلق. . فتقول فى اليوم الثانى أمر الله: «ليكن جلد يحجز بين مياه ومياه، فخلق الله الجلد، وفرق بين المياه التى تحملها السحب والمياه التى تغمر الأرض. وهكذا كان. وسمى الله الجلد سماء. ثم جاء مساء أعقبه صباح فكان اليوم الثانى.

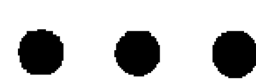
وفى اليوم الثالث، أمر الله:«لتتجمع المياه التى تحت السماء إلى موضع واحد. . ولتظهر اليابسة».

وفى اليوم الرابع: القمر والنجوم. حيث أمر الله «لتكن أنوار فى جلد السماء لتفرق بين النهار والليل، فتكون علامات لتحديد أزمنة وأيام وسنين. وتكون أيضا أنواراً فى جلد السماء لتضىء الأرض».

وفى اليوم الخامس: أمر الله: «لتزخر المياه بشتى الحيوانات الحية ولتحلق الطيور فوق الأرض عبر فضاء السماء».

وفى اليوم السادس: الحيوانات والإنسان، حيث أمر الله: «لتُخرج الأرض كائنات حية، كلا حسب جنسها، من بهائم وزواحف ووحوش وفقاً لأنواعها»!. ورأى الله ما خلقه فاستحسنه جداً. . ثم جاء مساء أعقبه صباح فكان اليوم السادس».

وفى اليوم السابع: يوم الراحة: «حيث اكتملت السماوات والأرض بكل ما فيها»!.



وعندما نفرغ من قراءة ما سبق من عبارات يتضح لنا. . أن اليهود لا يؤمنون حقًا بوجود الملائكة، وبالتالى فهم لم يتحدثوا عنهم بشكل منفرد. . مثلما جاء

بالقرآن الكريم وبقية الكتب المقدسة ـ باعتبارهم من أعظم مخلوقات الله سواء فى السماوات أو فى الأرض، ولذلك نجد أن تلك المخلوقات النورانية قد نجت من الإرهاب اليهودى فكرياً وعقائدياً!.

ورغم ذلك فقد جاء الحديث عنها فى أكثر من موضع فى التوراة فى الإصحاح الثامن عشر من سفر التكوين تحت عنوان: الزائرون الثلاثة» كقولهم: «ثم ظهر الرب لإبراهيم وهو جالس عند بلوطات ممرا وقت اشتداد حر النهار، فرفع عينيه وإذا به يرى ثلاثة رجال ماثلين لديه. فأسرع لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض. وقال. «يا سيدى، إن كنت قد حظيت برضاك فلا تبعد عن عبدك. بل دعنى أقدم لكم بعض ماء تغسلون بها أرجلكم وتتكئون تحت الشجرة، ثم آتى لكم بلقمة خبز تسندون بها قلوبكم، وبعد ذلك تواصلون مسيرتكم، لأنكم قد ملتم إلى بيت عبدكم». فأجابوه: «حسناً ليكن كما قلت»!.

فأسرع إبراهيم إلى داخل الخيمة إلى زوجته سارة وقال: «هيا أسرعى واعجنى ثلاث كيلات من أفضل الدقيق واخبزيها». ثم أسرع إبراهيم نحو قطيعه واختار عجلاً رخصاً طيباً وأعطاه لغلام كى يجهزه، ثم أخذ زبداً ولبناً والعجل الذى طبخه، ومدها أمامهم وبقى واقفاً فى خدمتهم تحت الشجرة وهم يأكلون».

وبصرف النظر عن هذا التخريف والتحريف، فإن المقصود مما جاء فى رواية التوراة أن الله تعالى قد زار إبراهيم واثنان من الملائكة كى يبلغوه أن امرأته سوف تنجب له ولداً وهو فى هذه السن المتأخرة من حياته!!! بدليل قول التوراة فى الرواية نفسها: «ثم سألوه: أين زوجتك؟! فأجاب: ها هى فى الخيمة فقال، إنى أرجع إليك فى مثل هذا الوقت من السنة القادمة فتكون سارة آنذاك قد ولدت لك إبنا. وكانت سارة وراءه عند باب الخيمة فسمعت حديثه. وكان إبراهيم وسارة عجوزين طاعنين جداً فى السن»!.

أما الموضع الثانى والذى جاء فيه ذكر الملائكة بشكل غير مباشر حيث

وصفتهم التوراة بأنهم مجرد رجال جاءوا بصحبة رب العالمين إلى إبراهيم عليه السلام، فكان فى الحديث عن قصة لوط عليه السلام..

ففى الإصحاح الثامن عشر أيضا وتحت عنوان فرعى: «تصميم الله على دمار سدوم وعمورة». قالت التوراة: ثم نهض الرجال وتطلعوا نحو سدوم فتمشى إبراهيم معهم ليودعهم. فقال الرب: «أكتم عن إبراهيم ما أنا فاعله؟! وإبراهيم لابد وأن يصبح أمة كبيرة وقوية. وبه تتبارك شعوب الأرض جميعا. لأننى قد اخترته ليوصى بنيه وأهل بيته من بعده كى يحفظوا طريق الرب عاملين البر والعدل حتى ينجز الرب ما وعد به إبراهيم».

وقال الرب: «لأن الشكوى ضد مظالم سدوم وعمورة قد كثرت وخطيئتهم قد عظمت جداً. أنزل لأرى إن كانت أعمالهم مطابقة للشكوى ضدهم وإلا فاعلم».. وانطلق الرجلان «يقصدون الملاكين» من هناك نحو سدوم وبقى إبراهيم ماثلاً أمام الرب!!

واستكمالاً لهذه القصة التى رواها لنا القرآن الكريم بالتفصيل الحق مبيناً لنا فيها دور الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى لعقاب هذه القرية الظالم أهلها.. تذكر التوراة ولأول مرة اسم الملائكة فى هذه القصة وذلك فى قولهم، فى الإصحاح التاسع عشر تحت عنوان «لوط يستضيف الملاكين»:

وأقبل الملاكان على سدوم عند المساء. وكان لوط جالساً عند باب سدوم، فما أن رآهما حتى نهض لاستقبالهما، وسجد بوجهه إلى الأرض، وقال: «يا سيدى، إنزلا فى بيت عبدكما لتقضيا ليلتكما، وإغسلا أرجلكما، وفى الصباح الباكر تمضيان فى طريقكما». لكنهما قالا: «لا، بل نمكث الليلة فى الساحة».. فأصر عليهما جداً حتى قبلا الذهاب معه والنزول فى بيته. فأعد لهما مأدبة وخبز فطير فأكلا»!!.

ولسنا فى حاجة مرة أخرى إلى التعليق على هذا التخريف وهذا التحريف الذى أملاه كتبة التوراة بعضهم البعض وقد صوروا فيه الملائكة الكرام كبشر يأكلون ويشربون، وذلك عين الإرهاب ذاته. . وهو ليس بغريب عليهم. . حيث استخدموه من قبل وكما أوضحنا مع رب العالمين. . خالق كل شىء!.

وحتى عندما استكملنا الاطلاع على بقية حكاية سدوم وعمورة ولوط عليه السلام. . لمعرفة كيف عبر كتبة التوراة ومحرفيها عن الملائكة الكرام. . اكتشفنا أن هؤلاء الكتبة قد أصابتهم الحيرة فى اختيار أيهما من الألفاظ يصلح لاستكمال سير هذه القصة، فمرة يستخدمون كلمة «الملاك». . ومرات أخرى يستخدمون بدلاً منها كلمة «الرجل»!!.

وهذا يعنى بالضرورة وجود تخبط واضح لديهم سواء فى التناول أو فى التعبير، مما يوحى لنا وللآخرين الإصرار على التحريف فيما يخص كل ما هو كريم وعظيم من مخلوقات الله تعالى الذين كرمهم كثيراً فى العديد من الكتب المقدسة غير المحرفة وعلى رأسها القرآن الكريم.

وقد وصل بهم هذا التحريف إلى حد تأليف رواية تظهر من خلالها قوة لوط عليه السلام فى مجادلته للملائكة وتنفيذهم لأوامره وعدم إنصياعه لما جاءوا به من أوامر من رب العالمين.

ويبدو ذلك بوضوح فى قول كتبة التوراة المحرفة، وفى الإصحاح التاسع عشر من سفر التكوين: «وما إن أخرجاهم بعيداً حتى قال أحد الملاكين: «إنج بحياتك لا تلتفت وراءك ولا تتوقف فى كل منطقة السهل، إهرب إلى الجبل لئلا تهلك». فقال لوط: «ليس هكذا يا سيد. ها أنا عبدك قد حظى برضاك، وها أنت قد عظمت لطفك إذ أنقذت حياتى، وأنا لا أستطيع اللجوء إلى الجبل لئلا يدركنى مكروه فأموت!. ها هى المدينة قريبة يسهل الهرب إليها. إنها مدينة صغيرة، فدعنى ألجأ إليها، أليست هى مدينة صغيرة جداً فأنجو فيها بحياتى؟». فقال له الملاك: «إنى قد قبلت طلبتك بشأن هذا الأمر، ولن أدمر هذه المدينة التى ذكرتها. أسرع واهرب إليها، لأننى لا أستطيع أن أصنع شيئاً إلى أن تبلغها»!!!.

ورويداً رويداً سوف نلاحظ اختفاء الإرهاب اليهودى الموجه ضد الملائكة.. إذ نراهم قد نسوا أو تناسوا تكرار هذا الإجرام ضد هذه المخلوقات النورانية والتى خلقت لعبادة الله الواحد الأحد. وكان ذلك من فضل الله تعالى على تلك المخلوقات.

ويبدو أن انشغالهم فى توجيه إرهابهم الفكرى والدموى ضد الأنبياء والرسل قد لعب هو الآخر دوره فى الإقلال من الافتراء على الملائكة، وذلك هو حديث الصورة الثالثة من صور الإرهاب الفكرى والدموى الذى تمتلئ به كتبهم المقدسة خاصة ضد الأنبياء والرسل الذين بعثهم الله تباعاً لنبى إسرائيل كى يخرجوهم من الظلمات إلى النور بإذنه.

وهذا النوع من الإرهاب كما هو ثابت فى هذه الكتب لم يقتصر فقط على الأنبياء والرسل الذين بُعثوا من بعد رحيل موسى عليه السلام، بل نراه قد طال النبى موسى عليه السلام نفسه!!.

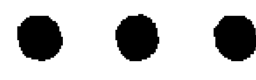
•• الصورة الثالثة:

إن الوقوف على تفاصيل الإرهاب اليهودى من واقع ما سجلوه فى كل كتبهم ضد أنبيائهم ورسلهم المكرمين، سوف يوضح لنا بجلاء كيف تمكن بنو إسرائيل وعلى مدى تاريخهم الطويل من تطوير أساليبهم الإرهابية والتى لم تترك أية ناحية من نواحى الخير التى كان مقصدها هداية هؤلاء القوم الظالمين. ولسوف يتجلى لنا فى هذه الصورة من صور الإرهاب اليهودى كما سجلوه بأيديهم.. كيف طوروا إرهابهم هذا من مجرد كلمات وعبارات وأفكار وشائعات وتزوير.. إلى جرائم قتل دموى يرتكبونها ضد أصفياء الله من خلقه من الذين بعثهم لهدايتهم على مدى تاريخهم ومن قبل ظهور عيسى عليه السلام. والذى قاسى أيضا من يلات هذا الإرهاب، إلى حد تصورهم الملعون بأنهم قد صلبوه ثم قتلوه.

ولولا تدخل رحمة الله حين شُبه لهم لكانوا قد نالوا منه بالقتل صلباً كما كانوا قد عقدوا العزم عليه!.

ونظراً لخطورة هذا الإرهاب وأهميته فى الوقت ذاته، فقد خصصنا فصلاً كاملاً له فى كتابنا الذى صدر من قبل تحت عنوان: «جرائم اليهود ضد الأديان السماوية».

واليوم ومن خلال موضوع الكتاب الذى بين أيدينا نستكمل بيان تلك الجرائم خاصة ضد رسل رب العالمين وأنبيائه، وذلك من واقع ما سجلوه فى كتبهم المقدسة، وهى اعترافات يعاقبون عليها فى الدنيا وفى الآخرة.



ولقد رأينا ضرورة أن نبدأ حديث الإرهاب اليهودى ضد الأنبياء والرسل، بموقفهم المعاند من كل من موسى وأخيه هارون عليهما السلام.. ونراهم قد سجلوا ذلك وبأمانة غريبة فى كل كتبهم المقدسة المزعومة، وهم بذلك يعترفون صراحة بجرائمهم وإرهابهم حتى ضد هؤلاء الأنبياء من الذين بعثوا لهدايتهم إلى الحق وإلى عبادة الله الواحد الأحد.

بل ولقد رأينا من الواجب، وفى سياق الحديث ذاته، ضرورة بيان إرهابهم ضد نبيهم الكريم يعقوب عليه السلام، ثم ضد ابنه يوسف الصديق، لأجل تأصيل تلك الصفة المذمومة فى حياة بنى إسرائيل والتى بنيت على الإرهاب والعنف حتى ضد أقرب الناس مودة إليهم كشعب أو كأمة!.

ثم نستكمل حديث إرهابهم وعنفهم ضد بقية الأنبياء الذين قتلوهم بأيديهم، قتلاً مع سبق الإصرار والترصد كما يقول أهل القانون ورجال الشرطة!

بالنسبة لجرائم الإرهاب اليهودى ضد يعقوب عليه السلام وابنه يوسف الصديق، فقد بدأت بوصفه بالاحتيال والغدر والخيانة!! مع أنه صاحب الفضل كنبى كريم وأحد أحفاد نبى الله إبراهيم عليه السلام فى تسميته لهذا الشعب الضال ببنى إسرائيل نسبة إليه، إذ اختار الله له هذا الاسم الجديد.

ومن تخاريف وإرهاب كتبة التوراة ضد هذا النبى الكريم قولهم فى الإصحاح السادس والعشرين من سفر التكوين: «فكبر الغلامان، وكان عيسو إنساناً يعرف الصيد. إنسان البرية. ويعقوب إنساناً كاملاً يسكن الخيام. فأحب اسحق عيسو لأن فى فمه صيداً، وأما رفقة فكانت تحب يعقوب، وطبخ يعقوب طبيخاً فأتى عيسو من الحقل هو قد أعيا. فقال عيسو ليعقوب: أطعمنى من هذا الأحمر (قيل إنه العدس الأحمر) لأنى قد أعييت. لذلك دعى اسمه أدوم [نسبة إلى العدس الأحمر الذى اشتهاه، وقيل أيضا نسبة إلى حمرة كانت فى جلده].. فقال يعقوب: بعنى اليوم بكوريتك، فقال عيسو: ها أنا ماض إلى الموت. فلماذا إلى بكورية. فقال يعقوب: إحلف لى اليوم. فحلف له. فباع بكوريته ليعقوب، فأعطى يعقوب عيسو خبزاً وطبيخ عدس. فأكل وشرب وقام ومضى.. واحتقر عيسو البكورية»[1].

ولخطورة اتهام التوراة ليعقوب عليه السلام بالاحتيال على أخيه.. فيما يخص البكورية، وفق ما جاء فى كتبهم المزيفة، يوضح لنا الأستاذ الدكتور رشدى البدراوى أهمية أن يكون الإنسان بكراً لأبيه، خاصة فى هذا الزمان الذى تواجد فيه يعقوب عليه السلام، حيث يقول: الابن البكر هو أول ما يولد من الأولاد للرجل.. وبالطبع فإن له مكانة خاصة عند والده.

وكان للبكورية فى ذلك الوقت إمتيازات خاصة، منها نيابة البكر عن أبيه فى البيت عند غيابه. كذلك كان العرف فى ذلك الزمان أن الرجل فى أخريات أيامه، وعند شعوره باقتراب الأجل يقسم ماله على أبنائه.

وكان الشرع وقتذاك أن يُعطى الابن البكر نصيب اثنين من أولاده فى كل ما وجد عنده، ولا يترك ذلك لهوى النفس[2].

بل وتستمر التوراة فى تخريفها وإرهابها لهذا النبى الكريم فى العديد من المواضع فيما سطرته أيديهم.

---

(١) قصص الأنبياء والتاريخ - د. رشدى البدراوى - ج (٣).

(٢) المصدر السابق.

ولولا ضيق المساحة لاستعرضنا كل ما كتبوه فى هذا السياق كى نبين مدى احترافهم الإرهاب مثل احترافهم التزوير، لكن وعلى أية حال سوف تتضح تلك الصفات المذمومة أكثر وأكثر حين استعراضنا بقية ما سجلته أقلامهم ضد بقية أنبيائهم. وقد اتهموا نبى الله يوسف عليه السلام بالسرقة!! وكانوا من قبل قد اتفقوا على قتله والتخلص منه، لولا تدخل رحمة الله فى الوقت المناسب، وقد اكتفوا آنذاك بالتخلص منه فى البئر العميقة!.

وقد تجلى ذلك بوضوح فيما كتبته أيديهم فى الإصحاح السابع والثلاثين من سفر الخروج حيث قالوا: وما إن رأوه من بعيد، وقبل أن يقترب منهم حتى تآمروا عليه ليقتلوه، وقال بعضهم لبعض هاهو صاحب الأحلام مقبل.. هيا نقتله ونلق به فى إحدى الآبار وندع أن وحشاً ضارياً افترسه، لنرى ماذا تجديه أحلامه». وإذا سمع رأوابين حديثهم، أراد أن ينقذه فقال: لا نقتله ولا تسفكوا دماً، بل اطرحوه فى هذه البئر فى البرية ولا تمدوا إليه يداً بالأذى «وقد أشار رأوبين بهذا لأنه أراد أن يخلصه منهم ويرده إلى أبيه».



وبالمثل فعلوا بنبيهم الكريم موسى عليه السلام.. عندما تمردوا عليه، بل وادعوا عليه كذباً فى توراتهم أنه يجادل الله فى أمرهم ولصالحهم! خاصة أثناء وجودهم بصحراء سيناء من بعد أن أنجاهم الله من آل فرعون.

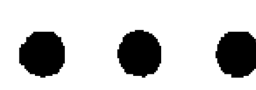
وكانوا من قبل قد حاولوا البحث عن إله آخر.. يعبدونه من دون الله الذى أعطاهم الكثير من فضله، بل وأكثر من ذلك نراهم قد اتخذوا العجل إلهاً لهم من دون الله، وكل ذلك وأحداثه مدونة بمنتهى الدقة والأمانة فى كتبهم المقدسة!!.

وتنقل لنا التوراة إحدى صور الإرهاب الفكرى التى أوضحت مدى عنف وجبروت اليهود حتى مع نبيهم عليه السلام.

ففى الإصحاح السابع عشر من سفر الخروج قالوا: «وتنقل بنو إسرائيل على

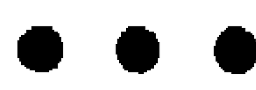
مراحل، من صحراء سينين بمقتضى أمر الرب إلى أن خيموا فى رفيديم حيث لم يجدوا ماء الشرب، فتخاصم الشعب مع موسى قائلين: «أعطونا ماء لنشرب»، فأجاب موسى: «لماذا تخاصموننى»؟! ولماذا تجربون الرب «ولكن الشعب كان ظامئاً إلى الماء، فتذمروا على موسى وقالوا: « لماذا أخرجتنا من مصر لتميتنا وأولادنا ومواشينا عطشاً؟!». فصرخ موسى إلى الرب: «ماذا أصنع بهذا الشعب؟» إنهم يكادون يرجموننى «فأجاب الرب: «تقدم الشعب وخذ معك بعض شيوخ بنى إسرائيل وخذ بيدك عصاك أيضا التى ضربت بها النهر. إضرب الصخرة فينفجر منها الماء ليشرب الشعب».

وهكذا فعل موسى أمام شيوخ إسرائيل ودعا اسم الموضع مسة ومريبة «ومعناه الامتحان والمخاصمة». . نتيجة لتخاصم بنى إسرائيل وامتحانهم للرب قائلين: «هل الرب فى وسطنا أم لا؟».



وهناك بخلاف هذا الاعتراف عشرات الاعترافات الأخرى بما ارتكبه اليهود فى حق نبيهم موسى عليه السلام من إرهاب وعنف، وقد سجلوها جميعاً فى توراتهم المزورة.

ولا ننسى أن نشير فى هذا السياق إلى ما ذكره القرآن الكريم بشأن تجبر هؤلاء القوم عندما طلبوا من نبيهم أن يريهم رب العالمين وجهاً لوجه كمكافأة لهم على إيمانهم به وبالله العظيم، وذلك فى قوله تعالى: **﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة﴾**. . صدق الله العظيم.

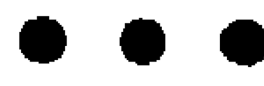


ثم استداروا بعد ذلك للنيل من نبى الله هارون. . حيث ادعوا عليه الكثير من الأقاويل الباطلة. . وكان من أعظمها عند الله. . أنهم كتبوا فى توراتهم أن هذا

النبى الكريم قد ساعدهم على صنع العجل الذى عبدوه فى غياب موسى عليه السلام!

ويبدو ذلك فيما ذكروه فى الإصحاح الثانى والثلاثين فى سفر الخروج عندما كتبوا يقولون: «ولما رأى الشعب أن موسى قد طالت إقامته على الجبل، اجتمعوا حول هارون، وقالوا له: «هيا، اصنع لنا إلهاً يتقدمنا فى مسيرنا، لأننا لا ندرى ماذا أصاب هذا الرجل موسى الذى أخرجنا من ديار مصر».. فأجابهم هارون انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبناتكم وبيتكم وأعطونى إياها»، فنزعوها من آذانهم وجاءوا بها إليه فأخذها منهم وصهرها وصاغ عجلاً. عندئذ قالوا: «هذه آلهتك يا إسرائيل التى أخرجتك من ديار مصر». وعندما شاهد هارون ذلك شيد مذبحاً أمام العجل وأعلن غداً هو عيد الرب. فبكر الشعب فى اليوم الثانى وأصعدوا محرقات وقدموا قرابين سلام. ثم احتفلوا فأكلوا وشربوا، ومن ثم قاموا للهو والمجون»!!.

وأيضا ما سبق أن ذكرناه هو أحد الأمثلة على إرهاب بنى إسرائيل ضد نبى الله هارون، تماماً مثلما ضربنا من قبل مثالا أو مثالين على إرهابهم ضد كل من يعقوب ويوسف وموسى عليه السلام. والتوراة المزورة والمحرفة بها عشرات العبارات المسفة والظالمة التى نسبوها سواء لأنبيائهم كأفعال أو كصفات!.



ولا يمكن أن يكتمل الحديث عن الإرهاب اليهودى فى صورته الثالثة والتى تتمثل فى إرهابهم وعنفهم ضد أنبيائهم إلا بالحديث عن الإرهاب الدموى الذى سلكوه ضد هؤلاء الأنبياء من الذين بعثهم الله لهدايتهم من بعد رحيل موسى عليه السلام وأخيه هارون.

هذا النوع من الإرهاب قد تمثل فى قتلهم لهؤلاء الأنبياء، ونراهم يفتخرون أيضا بتلك الجرائم وبتصويرها فى كتبهم المقدسة وكأنما هى علامات مضيئة فى حياتهم وفى تاريخهم يحرصون على توريثها إلى الأبناء والأحفاد.

وهناك عشرات من الأنبياء من الذين عاشوا مع بنى إسرائيل، وكان مصيرهم القتل، ويأتى فى مقدمة هؤلاء النبى «ميخا عليه السلام»، هذا النبى الذى ظهر فى عصر الملك آخاب أحد ملوك المملكة الشمالية التى عُرفت بإسرائيل والتى حكمها ١٩ ملكاً بخلافه ومن مختلف الأسرات اليهودية.

ويقال إن الملك آخاب قد تخلص من هذا النبى لصدق حديثه بأن أمر بسجنه طوال حياته.. إلا أن المؤرخ يوسيفوس قد ذكر بأنه تم التخلص من هذا النبى بطريقة غير معروفة!.

ثم النبى «أشيعاء» عليه السلام وتؤكد التوراة أن الملك منسى أحد ملوك بنى إسرائيل من الذين تولوا الحكم فى مملكة يهوذا.. قد أمر بقتله نشراً بالمناشير! وكان هذا النبى من طائفة كبار الأنبياء الذين بعثهم الله لهداية بنى إسرائيل.

وكذلك النبى «آرميا» عليه السلام الذى ظهر فى عصر الملك «يهوياقيم» أحد ملوك مملكة يهوذا من قبل سقوطها وانهيارها فى الأسر البابلى، واسمه كما جاء فى التوراة «أرميا بن حلقيا». وقد تعرض فى حياته للعديد من المؤامرات للقضاء عليه وقتله عندما قُبض عليه على يد أحد كهنة هذه المملكة وتم حبسه داخل آلة تعذيب خشبية وبها ثقوب حتى مات. أما آخر هذه النماذج البشعة فى مذابح قتل الأنبياء على أيدى اليهود، فكان إقدامهم على قتل نبى الله «أوريا».

ولعل خير دليل على ما ارتكبه اليهود من مذابح ضد أنبيائهم يتبين فيما جاء فى بعض كتبهم المقدسة غير المحرفة.. عندما قال النبى إيليا المعروف فى القرآن الكريم باسم النبى «إلياس» عليه السلام فى سفر الملوك: «إن بنى إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك»..

ولسنا فى حاجة إلى التأكيد على أن هذه الجرائم الإرهابية التى ارتكبها اليهود فى حق أنبيائهم قد أفصح عنها القرآن الكريم بوضوح وفى أكثر من آية وسورة

كريمة ومنها قوله تعالى: فى سورة البقرة: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾. . الآية ٨٧.

•• الصورة الرابعة:

كان علينا حين الحديث عن الصورة الرابعة من صور الإرهاب اليهودى. . والخاصة بالكتب المقدسة. أن نتساءل ما هى هذه الكتب وما هو مقياس قدسيتها؟!

وبدون الدخول فى إجابات أكاديمية تبعدنا عن المقصود من وراء هذا السؤال. . نقول: إننا نعرف جميعا وفق ما جاء فى القرآن الكريم. . أن الكتب المقدسة المعنية بالحديث هنا. . هى التوراة والإنجيل والقرآن ومزامير داود عليه السلام. . وصحائف إبراهيم، ونظراً لكثرة التداول فيما يخص لفظ المقدس من الكتب، فقد اصطلح على تسمية التوراة والإنجيل والقرآن بالكتب المقدسة لأنها ارتبطت برسالات سماوية معروفة.

ولكن بالبحث والدراسة خاصة فى مجال علوم مقارنة الأديان، اكتشف العلماء وتأييداً لما جاء بالقرآن الكريم أن كلا من التوراة والإنجيل قد حرفتا بأيدى بنى إسرائيل، وبالتالى فقد ذهبت عنها تلك الصفة المقدسة المزعومة!.

ولولا أن كتاب الله المجيد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قد حفظه الله، وأكد على حفظه فى هذا الكتاب العزيز، لنجح بنو إسرائيل فى تزويره أيضا، لكن الله سلم.

من هنا نجد أن هذا التحريف وكذلك التزوير قد انحصرا فيما يسمونه الآن بالعهدين القديم والجديد وهما التوراة والإنجيل، عندما أضافوا وحذفوا إليهما بل وأعادوا كتابتهما لأهواء شخصية معروفة الأهداف، وبطبيعة الحال فإن البحث عن دليل أو أدلة تبرهن على وقوع هذا التزوير داخل تلك الكتب المقدسة المزورة لن يحتاج إلى مجهود كبير.

ويكفى لأصحاب البصيرة التى تريد أن تعرف، الرجوع إلى نصوص

تلك الكتب المحرفة وهى كلها مليئة بالإرهاب والعنف والعنصرية والدموية، وبالتالى كل ما يخالف دين الله وشرائعه.

وقد قدمنا من قبل صوراً عديدة لمثل هذا الإرهاب والذى يبين لنا بوضوح تفاصيل جريمة هذا التزوير، وفى تصورنا أن أعظم جريمة إرهاب فكرى ارتكبها اليهود ولايزالون تتمثل فى إصرارهم على نشر تلك الكتب المزورة، وتنفيذ ما جاء بها بعد تصديقها! بل ونجاحهم فى إقناع من هم فى غير ملتهم خاصة من المتطرفين باتباع ما فيها من تعاليم مزورة لا تمت بصلة لدين الله أو لشرائعه التى أنزلها على رسله لهداية الناس ولصالح البشر.

وعلى أية حال فإن هناك عشرات الدراسات الغربية القديمة والحديثة التى دخلت هذا الميدان.. واكتشفت فيه العجائب. ولكن نظرًا لقوة وسلطان بنى إسرائيل وتسلطهم وإرهابهم ضد الآخرين، خاصة من المسلمين.. فقد نجحوا فى إخفاء تلك الدراسات، بل ومحاربة أصحابها بكل عنف! سواء من كان منهم فى أوروبا أو أمريكا. ولكن سيأتى اليوم الذى سوف نتمكن فيه وبعون الله من كشف هذا التزوير وإقناع الآخرين بخطورته، وبالتالى ضرورة محاربته والقضاء عليه! ونظن أن هذا الآتى، إنما هو قريب جداً. لأن الله تعالى لن يرضيه الظلم أبداً، وأى ظلم وأى إرهاب يفوق اليهود وما يرتكبونه سواء فى الماضى أو فى الحاضر. وقد وعد الله المؤمنين بالنصر، والانتقام من هؤلاء اليهود، وندعو الله أن يمد فى أعمارنا كى نرى ذلك اليوم المبين!.

الفصل الثالث

أشهر جرائم اليهود ضد الإنسانية

لقد سبق لنا أن أوضحنا بالأدلة والبراهين. ضلوع بنى إسرائيل فى الإرهاب إلى حد غير مسبوق من دون غيرهم من الأجناس البشرية. حيث ناقشنا من خلال الفصل السابق.. أربع صور من صور ذلك الإرهاب الذى تمكن من بنى إسرائيل ولم يتركهم إلى اليوم.

وبقى لنا من حديث تلك الصور، صورة واحدة نستكمل بها مشوار ذلك البيان، وهى المتمثلة فى ضلوعهم فى ارتكاب جرائم قتل جماعية ضد كل شعوب الأرض والتى لسوء الحظ، يقعون تحت سيطرتهم بالخديعة والمكر وبمساعدة الآخرين!!.

ولا نستطيع أن نقول إن ما سوف نذكره عن ملامح جرائمهم الإرهابية، إنما يعتبر من أخطر هذه الأنواع، ذلك لأننا قد بينا من قبل أنواعًا أخرى كانت فى تفاصيلها أكثر خطورة لمثل هذا النوع من الإرهاب، سواء ما كان منهم فى حق الله تعالى أو حقوق أنبيائهم ورسلهم، ثم إقدامهم فوق كل ذلك على ارتكاب أخطر جريمة تحريف وتزوير إرهابية فى تاريخ الإنسانية والمتمثلة فى إقدامهم على تزوير كتبهم المقدسة خاصة التوراة.

وبطبيعة الحال فإن إرهابهم أيضا للشعوب وللبشرية كذلك يدخل ضمن حالات هذا الإرهاب الأسود والذى اتسم بكل ما هو غير إنسانى.. وشمل كل أنواع التدمير والإبادة والحرق والتعذيب، مصاحبًا لهم فى كل مكان يحلون به.

حاملين فوق أكتافهم نبوءات كاذبة ووعود دينية زوروها، مع الادعاء بأنها صادقة! من أجل إضفاء صفة الشرعية السماوية لكل ما يرتكبونه من جرائم اتصفت بالدموية والعنف غير المسبوق.

ولاشك أن الرجوع لتاريخهم وتاريخ الإنسانية، خاصة منذ بدايات عصر الرسالات يثبت بقوة ضلوعهم فى ارتكاب جرائم الإبادة الجماعية، وقد بدا ذلك بوضوح منذ دخولهم أرض كنعان لأول مرة. بعدما أنعم الله عليهم بها، من بعد خروجهم من مصر، ومن أرض سيناء!، ثم تواصلت تلك الجرائم، ضد كل الشعوب المجاورة آنذاك، ولم يراع ملوكهم أو حكامهم حرمة دينهم الذى ينص على التعامل بالإحسان مع الآخرين!.

ولقد ظلوا لآلاف السنين ماضين فى غيهم هذا وفى إرهابهم غير المسبوق حتى سلط الله عليهم أمماً أكثر منهم قوة ومنعة فوقع عليهم القول.. وتم تشريدهم وتقطيع أوصال جمعهم ودولهم حتى باتوا لا يملكون لأنفسهم مكاناً يبيتون فيه أو يعيشون به كما كانوا من قبل.

ونظراً لما يتصفون به من ذكاء ومكر.. استمروا فى جمع شتاتهم جيلاً بعد جيل. حتى إذا ما قويت شوكتهم سواء وهم يعيشون عالة على المجتمعات فى أوروبا أو فى الشرق، فهم يعاودون كرة الإرهاب من جديد.. ولكن بأساليب ووسائل متنوعة كى تناسب مقدرتهم ومن حيث هم فيه!!.

من هنا نرى مدى ضلوعهم فى الانقلابات العسكرية والحركات الانفصالية لدى كل الشعوب، واشتراكهم فى المؤامرات ضد حكام هذه البلدان ومن ثم ضد حكامهم أيضا.

ومن فضل الله أن ملامح إرهابهم المستمر، لم يكن خافياً على أبناء هذه الشعوب على مدى كل العصور.. إذ سرعان ما يكتشف هؤلاء ظلم وإرهاب وخسة وخديعة بنى إسرائيل، والويل لهم حين يتم الكشف عن مخططاتهم الإرهابية. عندئذ ينالهم العقاب الشديد.. إضافة إلى عذاب يوم القيامة!.

وهم فى المقابل سرعان ما نراهم يتراجعون عن مخططاتهم. . ولكن إلى حين. وعندما يستردون عافيتهم. وبالمكر والخديعة، والتعاون مع الشياطين. . سرعان ما يعودون إلى ما كانوا عليه من قبل، بل وأكثر قوة وتدميراً مما كانوا فيه.

ولقد تبين لنا ذلك ولسوف تكتشفون أنتم أيضا أن من يعتبرونهم اليهود أعداء لهم لم يتغيروا عبر التاريخ، وفق ما جاء فى كتبهم من تعليمات ومعتقدات! . وإنما يصيبه فقط التغيير فى فترات زمنية بعينها خاصة فيما يتعلق بحسن اختيارهم للأعوان من الذين يجب أن يقفوا معهم أو يساندوهم لأجل ارتكاب تلك الجرائم! ، وهم فى الوقت نفسه ينظرون إلى هؤلاء الأعوان على أنهم من أعدائهم أيضا، ولكن الوقت قد لا يسمح لهم فى بعض الحالات للوقوف ضدهم، إلا فى أحايين ومناسبات يختارونها بدقة! .

إن جرائم بنى إسرائيل ضد الإنسانية، لا يسعها هذا الكتاب وكلمات هذا الفصل أيضا وكل ما هنالك أن ما سوف نرويه بالأدلة والبراهين سواء مما جاء فى كتبهم أو مما سجلوه فى تاريخهم الأسود وبأيديهم، إنما يمثل نماذج مختارة بعناية.

وقد يظن البعض أن ارتكاب اليهود لجرائم الوحشية والانتقام من كل ما هو غير يهودى! ، كان يتم على وتيرة واحدة، أو تستخدم فيه وسائل بعينها!! ولكن المتتبع الواعى لما حوته كتبهم من تفاصيل جرائمهم ضد الإنسانية يكتشف مدى تنوعها، وبالتالى مواكبتها لظروف كل عصر.

وبشكل عام فقد استطعنا ـ ومن خلال الاعتماد على الأدلة والبراهين التاريخية كما سبق أن أشرنا ـ حصر جرائم اليهود ضد الإنسانية فى أكثر من شكل وأسلوب، كان يتنوع بتنوع ظروف كل عصر من العصور التى عاشوا فيها! .

ومن أشهر هذه الجرائم، ارتكابهم لمذابح القتل الجماعية ضد الشعوب التى كانوا يحاربونها مع الاعتماد على وسائل القسوة والانتقام! .

ولو قلنا إن التتار والمغول. . وكل حركات التخريب والترويع التى ظهرت على مدى تاريخ الإنسانية، وما حكاه التاريخ عن جرائمهم وسفكهم دماء رعايا البلاد التى كانوا يستولون عليها، إنما كان مصدره فى الواقع ما عرفوه من تفاصيل عن أنواع الجرائم التى كان ولايزال يرتكبها اليهود على طول تاريخهم الطويل، لما جاوزنا بذلك الحقائق التاريخية.

ولعل السبب الرئيسى وراء تعطش بنى اسرائيل للانتقام من غير اليهود، إنما يكمن فى تلك الكراهية المدفونة داخل صدورهم ضد أبناء الشعوب التى يعيشون بداخلها أو بجوارها. هذه الكراهية هى التى كانت تدفعهم باستمرار للهرب فى وسط تجمعات خاصة بهم، وقد عرفت فى التاريخ بأسماء مختلفة!

ليس هذا فقط، بل أوضحت لنا فى الوقت نفسه مدى ما اتصف به اليهود من عنصرية زادت من كراهية الناس لهم، سواء قديما أو حديثا. لذلك نراهم حين يتمكنون بالغدر والخيانة، يحولون تلك الكراهية إلى جرائم إرهابية للانتقام، وهو ما يجرى الآن أمام أعيننا فوق أرض فلسطين.

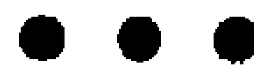
وإلى جانب ما يرتكبونه من جرائم من نوع الإرهاب الأسود القائم على القتل والاغتيال والمشاركة فى المؤامرات وقلب أنظمة الحكم والتجسس بهدف طمس معالم الإنسانية والشعوب التى يستولون عليها. نراهم كذلك يلجأون إلى أساليب إرهابية متنوعة سواء فى السياسة أو الاقتصاد أو فى العلوم، وأغلبها معروف لنا ويكون هدفها الأول والأهم نفس الأهداف التى تقوم على ضرورة التخلص من الآخرين من غير اليهود!.

وكما سبق أن أكدنا فإن ذلك غالباً لا يحدث إلا عندما يصيبهم الضعف والتشتت، ويتم ذلك على سبيل التقية أو الاختفاء إلى حين!.

ولعل الربا الفاحش ونشر الشيوعية وكل المبادئ السياسية التى تقوم على الخديعة والغدر والانتقام، إضافة إلى ما يبثونه فى العصر الحديث من سموم فى وسائل الإعلام الدولية أو المحلية أو الإقليمية، ما هى إلا وسائل حديثة،

يحلمون من وراء تحقيقها ونشرها إلى الوصول إلى هدفهم الأكبر فى الانتقام من كل الإنسانية وشعوبها، بلا تفرقة، سواء فى الشرق أو فى أوروبا أو حتى فى أمريكا نفسها!!.

والله وحده الذى يعلم ما فى أذهانهم وقلوبهم من جرائم أخرى ضد الإنسانية إضافة إلى نشرهم الانحلال الأخلاقى والاقتصادى والسياسى والذى فرضوه بكل وسائلهم على معظم بلدان العالم!.



إن جرائم اليهود ضد الإنسان قديمة قدم الإنسانية نفسها.. وقد ذكروها تفصيلاً فى كل كتبهم ومقدساتهم، ولسوف نحاول أن نقف على أشهر جرائمهم المدونة فى تاريخهم الأسود، وبيان ماجاء فى كتبهم من مظاهر إرهابية سجلوها بكل فخر وكبرياء، إضافة إلى بيان جرائمهم الأخرى خاصة ما نراه من أهوالهم فى عصرنا الحديث.

مع الإشارة إلى تنوع تلك الجرائم الناجمة عن هذا الإرهاب وأهم أهدافه وفق ما صورته الصهيونية الجديدة بعدما وجدت ضالتها فيما كتبه الأجداد فى كتبهم المقدسة. وكسبيل لتحقيق آمالهم التى تقوم فى الأساس على استيلائهم على كل العالم والسيطرة عليه، ما داموا جميعا لا يدينون باليهودية!!.

وقد عبر عن هذا المعنى الأستاذ الدكتور أحمد شلبى أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية فى قوله: «لقد لعب اليهود فى الخفاء دوراً ضخماً لتحقيق أهدافهم، وهو لا يقل خطورة عن الدور الذى لعبوه فى العلانية، وقد اتسع نطاق هذا الدور فشمل التآمر والاغتيال والتجسس وإشعال الثورات وغيرها من ضروب الغدر[1].

ولا يكتفى الدكتور أحمد شلبى بالحديث المجمل عن جرائم اليهود وإرهابهم بمختلف الوسائل والأساليب.. بل ويحاول أن يضرب لنا الأمثلة على ذلك مقتطفاً من تاريخهم الأسود بعض جرائمهم كى يدلل على ما ذكره.. وقد

(١) مقارنة الأديان ـ اليهودية ـ د. أحمد شلبى.

خصص الباب السادس من كتابه «اليهودية» لبيان خطورة هؤلاء على الإنسانية خاصة فى عصور الظلام. وقد بدأ الحديث بقوله: «يقرر الباحثون أن الدور الذى قام به اليهود فى بث روح الثورة وإنشاء الجمعيات السرية وإثارة الحركات الهدامة فى العالم وضد الإنسانية عظيم جداً ومؤكد جداً. فهم دعاة الثورة وقادة التقويض وإثارة الحركات الهدامة، وعنهم يقول الكاتب العظيم برنارد لازار: «اليهودى يضطرم بروح الثورة وهو داعية للثورة سواء شعر بذلك أو لم يشعر».

ومما يؤكد ارتباط معظم الحركات السرية الهدامة باليهود ما ذكره محمد عبد الله عنان فى كتابه عن تاريخ الجمعيات السرية، من أنه تظهر دائما فى هذه الحركات آثار التعاليم اليهودية الفلسفية، كما أن اليهود أنفسهم قد اعترفوا بذلك، بدليل ما ورد فى مجلة الجامعة الإسرائيلية وهو نص خطير بهذا الشأن اقتطفه «لويس دستا» ووضعه على غلاف كتاب عن اليهود والجمعيات السرية، وجاء فى هذا النص: «نصادف فى كل التغييرات الفكرية الكبرى تقريباً عملاً يهودياً، سواء كان ظاهراً واضحاً أو خفياً سرياً، وعلى هذا فإن التاريخ اليهودى يمتد بإمتداد التاريخ العالمى بجميع مجالاته حيث تغلغل فيه بآلاف الدسائس».

وعلى أية حال فقد قربنا النص السابق إلى ما أردنا الكشف عنه من مخططات الإرهاب اليهودى ضد كل ما هو إنسانى وعلى مدى كل العصور.

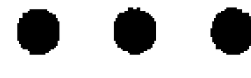
ولقد آثرنا أن تكون البداية فى هذا السياق مما سطرته أيديهم فى كتبهم المقدسة والتى تتحدث عن حالات الانحراف والإرهاب والتدمير والوحشية التى اتصف بها هؤلاء القوم الظالمون استكمالاً لمشوارنا الذى بدأناه فوق هذه الأوراق عن الإرهاب فى الديانة اليهودية المزورة.

ونبدأ رحلتنا فى الكشف عن الإرهاب اليهودى ضد كل ما هو إنسانى مما جاء فى التوراة بكل أسفارها، ثم ما جاء فى التلمود الذى يعتبر مستودع شرور اليهود وقد بدأوا فى وضعه وكتابته بعد جمع أسفار التوراة بنحو قرنين[1].

---

(١) بروتوكولات حكماء صهيون ـ نصوصها، رموزها، أصولها التلمودية عجاج نويهض.

وكذلك الإشارة إلى ما جاء فى بروتوكولات حكماء صهيون باعتبارها التلمود الثانى لليهود والذى كتبوه فى العصر الحديث إذ يغلب على نصوصها روح سفك الدماء بأساليب بربرية، تطبيقا لدستور هذه البرتوكولات.



وبالبحث والتنقيب عما جاء فى التوراة من دعوات متكررة للإرهاب بمختلف صورة اكتشفنا أن هذا النوع من الإرهاب وكذلك الدعوة إليه قد بدت فى إصحاحات سفر الخروج، خاصة ضد المصريين الذين أكرموا وفادة النبى الكريم يوسف عليه السلام ورحبوا بإخوته ثم بأبيه يعقوب عليه السلام وبالتالى ببنى إسرائيل.

فقد حل بنو إسرائيل وكما تقول سطور هذا السفر أرض مصر، فأكرموا وأدخلوا فى وظائف الدولة، بل وتسلموا وزارة المالية، ولكنهم لم يستطيعوا التخلى عن جشعهم وأنانيتهم واحتكارهم وميلهم إلى الوحشية.

وهنا تجلى الأمر لملوك مصر من الفراعنة الذين تحققوا أن معروفهم مع هؤلاء الضيوف لم يصادف أهلاً، فانقلب ذاك الإكرام إلى تأديب، قاسى فى ظله بنو إسرائيل العديد من الصعاب، وكانت تلك الآلام التى انتباتهم وهذه الكوارث التى أحاطت بهم قد هيئتهم إلى حب العودة إلى فلسطين، فعاشوا حياة العزلة والتكتل وأصبح هذا الحب تسليتهم وأملهم، ثم خرجوا من مصر سالبين من أموال المصريين ومتاعهم وحليهم ما استطاعوا حمله بالحيلة والكذب، ملقين تبعة هذا السلب وللأسف الشديد على إلههم، ومبررينه بأمره لهم(١).

ومما ذكرته التوراة عن هذا الحادث قولهم بعد أن ذكروا ما أحل بشعب مصر من بلاء وبلايا: «فصر الشعب فى معاجنهم وعجينهم قبل أن يختمر وحملوها على أكتافهم وطلبوا من المصريين آنية فضة وذهبا وثياباً بحسب قول موسى، وجعل الرب الشعب يحظى برضا المصريين، فأعطوهم كل ما طلبوه، فغنموا من المصريين»(٢).

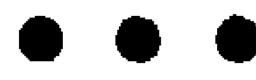
---

(١) إسرائيل بنت بريطانيا البكر ـ محمد على الزعبى.

(٢) الإصحاح الثانى عشر من سفر الخروج.

والمؤسف كما تقول توراتهم أيضاً أنهم قد استخدموا هذه الأموال التى استولوا عليها من المصريين بالحيلة والدهاء فى صنع عجل عبدوه كإله، فى غياب موسى عليه السلام!!.

ويعلق محمد عزة دروزه على هذا الفعل الإرهابى الشنيع من جانب بنى إسرائيل فى حق المصريين بقوله: «ويلفت النظر إلى خبر سلب رجال ونساء بنى إسرائيل أمتعة جيرانهم الذهبية والفضية بحجة الاستعارة، ونسبة ذلك إلى الله تعالى وتنزه. ومهما كان من أمر هذا الخبر فإن تسجيله بهذا الأسلوب يدل على ما كان وظل يتحكم فى نفوس بنى إسرائيل من فكرة استحلال أموال الغير وسلبها بأية طريقة ولو لم يكن فى حالة حرب ودفاع عن النفس. كما أنه كان ذا أثر شديد بدون ريب فى رسوخ هذا الخلق العجيب فى ذراريهم ثم مَن دخل فى دينهم من غير جنسهم»[١].



وفى سياق الحديث عن الإرهاب اليهودى كان لابد من التنبيه إلى شىء مهم. وهو أن فكرة الاستيلاء على مقدرات الغير. وأموالهم وأرضهم، إنما ارتبطت بشدة بمسيرة بنى إسرائيل وتاريخهم حتى من قبل وصولهم إلى مصر.. خاصة عندما كانوا يعيشون فى أرض كنعان التى دخلوها على سبيل الضيافة، بعدما كانوا يعيشون على أطراف تلك البلدان، كجماعات رعوية ترحل هنا وهناك.

ونراهم قد ادعوا بعد ذلك أن تلك الأرض التى استضافتهم فيها قبائل كنعان ـ بعدما رحموهم من جو الصحراء القاتل والعيش معهم.. وقد فتحوا لهم أبواب مدنهم كى ينعموا بها ـ إنما هى أرضهم ـ بل هى أرض الميعاد التى وعدهم بها الله

(١) تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم. ج (١) ـ محمد عزة دروزة.

تعالى على حد زعمهم. وللأسف فقد ظل هذا التخريف قائماً فى كل العصور.. إلى أن وصل إلى ذروة أكاذيبهم فى عصرنا الحاضر!.

كما نراهم قد سجلوا هذا الوهم فى كل كتبهم، ولكن حين رجعنا إلى عمدة الكتب المقدسة وأصدقها على الإطلاق وهو القرآن الكريم، لم نلحظ فيه حتى ولو على سبيل التورية ما يتعلق بمثل هذا الوعد ولا حتى الحديث عن هذه الأرض!.

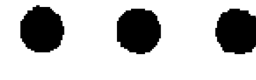
ونظراً لأن السلب والنهب والاستيلاء على مقدرات الشعوب قد صار مخططًا من أهم مخططات الإرهاب اليهودى فقد استداروا بعد خروجهم من مصر، والعيش مرة ثانية فى الصحراء مدة أربعين عاماً.. للبحث عن وسائل يجددون بها طريق الإرهاب فى الاستيلاء على أراضى فلسطين!، مستندين فى ذلك على ما سطروه من كلمات مزيفة ومحرفة عن أسطورة أرض الميعاد، تلك التى تركها لهم أجدادهم من قبل!.

ويؤكد الكاتب محمد على الزعبى أن العشائر التى أحاطت بفلسطين آنذاك ومن قبل نزوحهم إليها قد تنبهوا إلى أطماع بنى إسرائيل، حيث قص عليها أسلافها أطماع بنى إسرائيل وأنانيتهم فوقفت فى طريقهم وردعتهم عن الدخول. حتى أن موسى عليه السلام وكما يقول تاريخهم قد طلب بنفسه من ملك الأموريين المرور من أرضه، على ألا يشربوا من الماء الذى يجتازونه، ولكنه صدهم بالقوة، كما صدهم الكنعانيون والعماليق والمرابيون والمديانيون.. وهذا ما اضطرهم إلى السير مع الصحراء من البحر الأحمر حتى أريحا(١).

كما يؤكد محمد عزة فى السياق نفسه أن المواجهات التى قوبل بها بنو إسرائيل من قبل عبورهم الصحراء فى اتجاه أرض كنعان كانت تدل دلالة كبيرة على أن

(١) إسرائيل بنت بريطانيا البكر ـ مصدر سابق.

سيرتهم مع أهل البلاد كانت أسوأ سيرة.. غدراً وعدواناً وشرهاً وقسوة وأنانية حتى الذين سالموهم لم يسلموا من شرهم.



وحتى عندما كانوا يستولون على بعض البلاد وهم فى طريقهم إلى أرض الميعاد، لم يكن بينهم من يراعى حرمة السطو والقتل والعنف، ويبدو ذلك فيما يرويه سفر العدد عن استيلائهم على بلاد فى شرق الأردن بعد هزيمة أهلها، إذ يؤكد الإصحاح الثانى من هذا السفر أنهم قد قتلوا كل الرجال والنساء والأطفال ولم يبقوا باقياً وأخذوا كل ما وجدوه من بهائم وأموال، وكان ذلك سلوكهم ودأبهم فى كل مكان ينجحون فى الاستيلاء عليه بالقوة والغدر والخديعة!

وللأسف نجدهم فى كل مرة لا يستحيون من الادعاء بأن موسى نبى الله هو الذى كان يأمرهم بتلك الأفعال وهذه السلوكيات الإرهابية.. ولكى يؤكدوا هذا الادعاء ذكروا ذلك بالتفصيل فى توراتهم المزورة والمحرفة!، بل والأكثر من ذلك سخرية نراهم قد نسبوا إرهابهم ضد هذه الشعوب إلى أوامر صدرت إليهم من الله تعالى رب العالمين!.

ولنذكر هنا مثالاً واحداً لما كتبوه بأيديهم.. لكى نبين ظلمهم وافتراءهم على الله تعالى وعلى نبيه الكليم وعلى كل الإنسانية.. فقد ذكر الإصحاح الثالث والثلاثون من سفر العدد: «وقال الرب لموسى فى سهل موآب بالقرب من نهر الأردن مقابل أريحا: أوصى بنى إسرائيل وقل لهم: إنكم لابد عابرون نهر الأردن نحو أرض كنعان فاطردوا جميع أهل الأرض من أمامكم ودمروا تماثيلهم المنحوتة، وأبيدوا أصنامهم المسبوكة، واهدموا كل مرتفعاتهم واملكوا الأرض واستوطنوا فيها، لأننى قد وهبتكم الأرض لكى ترثوه. اقتسموا الأرض بالقرعة حسب أسباطكم.

وفى موضع آخر من هذا الإصحاح نسبوا لله تعالى هذا القول فى التوراة المحرفة: «. . ولكن إن لم تطردوا أهل الأرض من أمامكم، يصبح الباقون منهم أشواكاً فى عيونكم ومناخس فى جوانبكم، ويضايقونكم فى الأرض التى أنتم مقيمون فيها. . عندئذ أنزل بكم ما أنا مزمع أن أنزله بهم»!!.



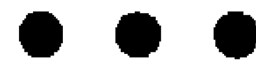
ليس هذا فقط، بل ونراهم فى توراتهم المزورة. . يتحدثون عن خطة الاستيلاء على هذه الأراضى التى سوف يدخلونها بأمر ربهم على حد زعمهم!، هذه الخطة ـ لو استعرضنا كل تفاصيل تاريخهم الذى يحوى صراعهم مع الأمم الأخرى ـ لسوف نجدها متكررة فى كل هذه الصراعات!. . حتى فى عصرنا الحديث. ولعل ذلك يتجلى فى قولهم فى الإصحاح السابع من سفر التثنية: «إذا أدخلك الرب إلهك الأرض التى أنت صائر إليها لترثها واستأصل أمما كثيرة من أمام وجهك. . الحيثيين والجرجاشين والأمورين والكنعانيين والغرزيين والحويين واليبوسيين، سبع أمم أعظم منك وأكثر منك، وأسلمهم الرب إلهك، وضربهم فأبسله إبسالاً. [بمعنى الإبادة والإفناء] ـ ولا تقطع معهم عهداً ولا تأخذك بهم رأفة ولا تصاهرهم. إبنتك لا تعطيها لإبنه وإبنته لا تأخذها لإبنك. لأنه يغوى إبنك عن اتباعى»!!.

ويعلق محمد عزة دروزة على هذه الخطة التى نسبوها أيضا إلى رب العالمين بقوله: «الخطة توجيه نحو العدوان المباشر الهادف إلى إبادة السكان فى غرب الأردن والحلول محلهم. . بذريعة أنهم مشركون دون ما أعذار ولا دعوة إلى سلم وتوحيد، مما لم يكد أن التاريخ يسجل مثيلها فى الوحشية والقسوة والشمول تعالى الله وتنزه»[1].

---

(١) المصدر السابق.

وتستمر التوراة فى بث حكايات بنى إسرائيل الإرهابية ضد الشعوب التى زحفوا نحوها، واستولوا على أرضها بالقوة، حيث خصص المزورون اليهود سفر «يشوع» كاملاً للحديث عن قصة زحفهم نحو غرب الأردن التى هى أرض كنعان، وذلك فى ظل وتوجيه الخطة الرهيبة والعدوانية السابق الإشارة إليها، ثم سفر القضاة الذي تحكى بعض إصحاحاته تفاصيل كثيرة عن حقبة عهد القضاة، والذى نتبين منه أن بنى إسرائيل حاربوا بعض الذين ظلوا أصحاب اليد الطولى فى مدنهم ومناطقهم فى غرب الأردن، ونجحوا بوسائلهم الملعونة والخبيثة فى بعض هذه الحروب، وأنهم تعرضوا لغارات وغزوات وإزعاجات كثيرة من داخل الأرض ومن خارجها، وأنهم كانوا ينحرفون انحرافات دينية وخلقية واجتماعية متعددة، وقد عزا هذا السفر تسليط الرب عليهم المغيرين والغزاة المزعجين[١].



وإذا ما تركنا التوراة المزورة وبقية أسفارها وإصحاحاتها التى تحض على الإرهاب جانباً.. كى نبحث فى بقية الكتب المقدسة اليهودية عن ملامح ذلك الإرهاب الذى استحلوه ضد الإنسانية كلها. لابد أن نقف كثيراً أمام كتابهم المقدس والمعروف باسم التلمود.. كى نستخرج منه ما فيه من إرهاصات إرهابية، ووسائل ملعونة استخدموها كثيراً ولايزالون ضد كل البشر، سواء فى العالم القديم أو الجديد! بإعتبارها تعليمات موضوعة بدقة كى يتم تنفيذها بدقة أيضا، مهما اختلفت الأمم والشعوب، ومهما باعدت بينهم الأيام والسنوات!.

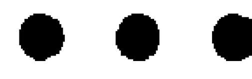
ولقد ادعوا كذباً أن ما جاء بالتلمود إنما هو شريعة موسى عليه السلام الشفهية!!!. وذلك من أجل إعطاء ما جاء به من تعليمات صفة القدسية.

ولكى نعرف أهمية ما جاء بهذا الكتاب الإرهابى من نصوص تحض على الفسوق والعصيان ضد كل ما هو إنسانى.. كان لابد لنا من الوقوف على بعض لمحات من تاريخ ذلك الكتاب. لأنه يبين لنا، كيف انتقل بنو إسرائيل من مرحلة

(١) المصدر السابق.

الفعل الإرهابى المجرم فى العصور القديمة أو عصر الرسالات إلى التورية والكمون والعمل فى الخفاء، من بعد تعرضهم للمحن والبلايا الشديدة والتى سُلطت عليهم من قبل رب العالمين، عقاباً على ما اقترفته أيديهم من مظالم وشرور، وما حالات السبى والتشريد إلا واحدة من تلك البلايا التى أصيبوا بها وسجلها تاريخهم القديم.

ونظراً لتلك المضايقات التى قوبلوا بها وفق ما يحكيه التاريخ القديم، لتغلغل صفة الإرهاب والدموية فى حياتهم. فقد خافوا أن تضيع تلك الصفة من أجيالهم الجديدة، ونراهم لذلك قد عكفوا وأحبارهم وعلماؤهم على مر العصور على كتابة وصايا وتعاليم تحض على القتل والترويع والإرهاب، بعضها ظهر فيما أسموه بالتلمود الذى بدأ بمباحث بسيطة شملت ستة أبواب بدائية كانت تدل على مجتمع فى أبسط أطواره الأولى.. ثم أخذت تلك المباحث البسيطة تمتد من هذه الأبواب الستة وتزداد الآراء والشروح جيلا بعد جيل حتى وصلت إلى اثنى عشر مجلداً ضخماً، وقد انتهى العمل فى تدوينه فى القرن السادس الميلادى[1].



أما الجزء الآخر وهو الأكثر خطورة فيما يخص تعاليم ووصايا الإرهاب اليهودى والتى يجب أن يتوارثها اليهودى جيلا بعد جيل.. فقد دونت فيما يسمى حاليا «بيروتوكولات حكماء صهيون» والتى قيل أنها قد خرجت للحياة منذ ٤٧ عاماً فقط!. وذلك عندما ظهرت فى طبعة باللغة الإنجليزية منقولة من اللغة الروسية بعد الحرب العالمية الأولى. كما قيل أن مصدرها هم زعماء اليهود الثلاثة والعشرون الذى اجتمعوا فى عام ١٨٩٧ فى بال بسويسرا لبحث خطة التهجير اليهودى إلى إسرائيل.

هذه البروتوكولات على حد قول هنرى فورد تحتوى على خطة محكمة للاستيلاء على العالم بأسره.. إذ يتضح من قراءة وثائقها والتى تبلغ ٢٤ وثيقة أنها لا تهدف إلى مناوأة الطبقة الأرستقراطية لأنها أرستقراطية، ولا تهدف إلى محاربة رأس المال على أنه رأس المال، فهناك نصوص محدودة فيها لاستخدام

(١) بروتوكولات حكماء صهيون ـ مصدر سابق.

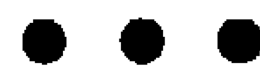
الارستقراطية ورأس المال والحكومات لتنفيذ المخطط. إنما الهدف هو شعوب العالم كلها من الأغيار، ولا ريب أن تكرار ذكرهم لهؤلاء الأغيار هو الذى يقرر ذلك الهدف الحقيقى من هذه الوثائق[1].

ويضيف المؤلف تفسيراً آخر لأهم أهداف حكماء صهيون فيما كتبوه فى بروتوكولاتهم.. فيقول: إن الأشكال الهدامة من المخططات الليبرالية اليهودية والصهيونية تهدف إلى الإفادة أيضا من أفراد الشعب كأنصار ومؤيدين.

أما هذا المخطط فيهدف إلى إنحلال الشعب بقصد الهبوط به إلى مستوى الاضطراب العقلى لتسخيره بعد ذلك فى تنفيذ أغراض ذلك المخطط.

وكذلك يهدف إلى تشجيع كل الحركات الشعبية من الطراز الليبرالى، وكذلك تشجيع كل الفلسفات الهدامة فى الدين والاقتصاد والسياسة والحياة كلها، وذلك عن طريق نشر بذورها.

ومتى تحقق انحلال التضامن الاجتماعى وشُرع فى تنفيذ المخطط الموضوع دون أية ملاحظة أو اهتمام، يبدو فى الإمكان تهيئة هذه الشعوب لهذا المخطط!!



وإذا ما انتقلنا من الحديث عن أهداف وتاريخ كل من التلمود وبروتوكولات وحكماء صهيون.. للوقوف على بعض ما جاء فيهما من نصوص وتشريعات ووصايا تحض على الإرهاب.. سوف يتأكد للمتابعين لنا فوق هذه الأوراق ما توصلنا إليه آنفا من أن هؤلاء هم أصحاب اليد العليا فى مجال بث الإرهاب الأسود بأشكاله المتنوعة وفى مختلف العصور.. والذى يكون هدفه فى المقام الأول ليس العرب أو الفلسطينيون وحدهم.. كما سبق أن أكدنا ذلك من واقع ما ذكروه فى التوراة المزيفة، بل إنما هدفه أيضا، كل بلاد العالم شرقه وغربه، جنوبه وشماله!.



(١) اليهودى العالمى ـ المشكلة الأولى التى تواجه العالم. تأليف هنرى فورد ترجمة وتعريب خيرى حماد.

ونبدأ رحلتنا هذه. . بقراءة متأنية لبعض نصوص التلمود والتى تمتلئ بسموم ذلك الإرهاب المخيف.

ولسوف نبتعد عما جاء فيه من سب وقذف وعيب فى الذات الإلهية، لأننا قد سبق أن أوضحنا هذا النوع من الإرهاب الممقوت فى الفصل السابق وعلى ذلك سيكون تركيزنا فيما سوف نذكره حالاً من هذا الكتاب الملعون على ما يخص البشرية والإنسانية بلا تفرقة!.

يقول اليهود فى التلمود الملعون:

●● تتميز أرواح اليهود عن باقى الأرواح بأنها جزء من الله. كما أن الابن جزء من أبيه. . وأرواح اليهود. . عزيزة عند الله بالنسبة لباقى الأرواح لأن الأرواح غير اليهودية هى أرواح شيطانية تشبه أرواح الحيوانات!.

●● إن نطفة غير اليهودى كنطفة باقى الحيوانات!

●● يجب على كل يهودى أن يبذل جهده لمنع استهلاك باقى الأمم فى الأرض لتبقى السلطة لليهود وحدهم. . وإذا تسلط غير اليهود وحق لهؤلاء أن يندبوا ويقولوا: ياللعار ياللخراب. وقبل أن يحكم اليهود نهائياً على باقى الأمم، يلزم أن تقوم الحرب على قدم وساق. وبعد النصر تنبت أسنان أعداء بنى إسرائيل بمقدار اثنين وعشرين ذراعاً خارج أفواههم!

●● الإسرائيلى معتبر عند الله أكثر من الملائكة. . فإذا ضرب أممى (غير إسرائيلى) إسرائيلياً فكأنه ضرب العزة الإلهية ويستحق الموت!.

●● الأجانب كالكلاب، والأعياد المقدسة لم تخلق للأجانب ولا للكلاب. . والكلب أفضل من الأجنبى لأنه مصرح لليهودى فى الأعياد أن يطعم الكلب وليس له أن يطعم الأجنبى أو أن يعطيه لحماً. . بل يعطيه للكلب لأنه أفضل منه.

•• الأمم الخارجة عن دين اليهود أشبه بالحمير، ويعتبر اليهود بيوتهم أشبه بزرائب الحيوانات.

•• بما أن اليهود يساوون أنفسهم مع العزة الإلهية، فالدنيا وما فيها ملك لهم. ويحق لهم التسلط على كل شىء فيها، والسرقة مسموح بها من مال غير اليهودى، ولا تعتبر هذه سرقة، بل هى استرداد لمال اليهود! الذى يحلله الدين اليهودى ويحلل سرقته.. وأموال غير اليهود مباحة لليهود، فخذوا منها دون شغل أو تعب!!.

•• حياة غير اليهودى ملك لليهودى، فكيف أمواله!

•• إذا جاء أمامك الأجنبى والإسرائيلى بدعوى.. فإذا أمكنك أن تجعل الإسرائيلى رابحاً فافعل واستعمل الفن والخداع فى حق الأجنبى حتى تجعل الحق لليهودى!.

•• مسموح غش الأجنبى وسرقة ماله بواسطة الربا الفاحش!

•• محرم على اليهودى أن يساهم فى نجاة أحد من الأجانب من هلاك أو يخرجه من حفرة يقع فيها، بل عليه أن يسدها بحجر!!.

• • •

وهناك غير ذلك آلاف الوصايا الإرهابية والتعليمات والتشريعات التى يحفظها كل يهودى، بل ويعمل بأوامر ذلك الكتاب المقدس المزيف على تحقيقها وإلا صار من وجهة نظرهم كافراً!!

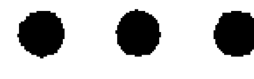
ويحسن بنا أن نختتم هذه المقتطفات من قراءتنا السريعة لبعض نصوص التلمود بهاتين الوصيتين الإرهابيتين:

•• نحن شعب الله المختار فى الأرض.. وقد فرقنا الله لمنفعتنا.. ذلك لأن الله سخر لنا الحيوان والإنسان، وأهل كل الأرض من الأمم والأجناس.. سخرهم لنا لأننا نحتاج نوعين من الحيوانات: نوع أخرس كالدواب والأنعام

والطيور، ونوع ناطق كالمسيحيين والمسلمين والبوذيين وغيرهم من أمم الشرق والغرب.. وقد سخر لنا هؤلاء لخدمتنا، وفرقنا في الأرض لنمتطي ظهورهم ونحركهم كما نشاء(1).

هذه واحدة أما الثانية فتقول كلماتها:

•• المخلوقات نوعان، علوى وسفلى. العالم يسكنه سبعون شعباً بسبعين لغة. والإسرائيلى صفوة المخلوقات، واختاره الله كى تكون له السيادة العليا على بنى البشر جميعا، سيادة الإنسان على الحيوان المدجن!!.



وعندما نترك أوراق وصفحات التلمود.. وما جاء به من أكاذيب إرهابية مفضوحة. كى نستكمل رحلة البحث فيما جاء من وصايا وتعاليم إرهابية أيضا فى بروتوكولات حكماء صهيون، سوف نفاجأ بالطامة الكبرى، التى هى فى الأساس تفاصيل تعبر عن مخطط محكم يتم تنفيذه بين الحين والحين منذ نصف قرن وذلك للاستيلاء على البشرية كلها.

وكأنما يريد اليهود الآن أن يعيدوا أمجادهم القديمة.. تلك التى توارثوها بالدم والعنف والاستيلاء والغش والخديعة، ولكن بأشكال وأساليب جديدة تتناسب مع روح ذلك العصر، إذ يتجلى ذلك بوضوح فيما ذكرته هذه البروتوكولات السرية التى تم الإفصاح عن مضمونها فى روسيا فى عام ١٩٠٢ بعد أن تمت سرقتها من أحد المحافل الماسونية السرية فى فرنسا. وقد أهداها أحد زعماء روسيا هو «أليكس نيقولا فيتش» إلى صديقه العالم الروسى الكبير «سرجى نيلوس» الذى درسها دراسة تحليلية كاملة ووافية، مع مقارنتها بأحداث العالم التى وقعت آنذاك.. وقد هاله ذلك التطابق التام بينهما.

كما يقال فى هذا السياق أيضا. أن الزعيم الروسى أليكس.. أصابه الذعر لما احتوته هذه البرتوكولات من مخططات شيطانية وإرهابية للاستيلاء على العالم واستعباده!.

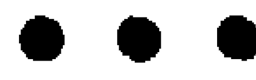
---

(١) بروتوكولات حكماء صهيون وتعالم التلمود. شوقى عبد الناصر.

ومنذ عام ١٩٠٢ وحتى اليوم. . تمت طباعتها أكثر من مرة. كما تم تداولها فى العالم كله. حيث أثارت العديد من الجدل المصحوب بالخوف والفزع.

ولكن يبدو أن شطارة اليهود الدائمة فى تعاملهم مع مثل هذه الأزمات الفكرية، ونجاحهم فى إحراز تقدم لصالحهم على الرغم من إدانتهم دائما، قد مكنهم من الخروج من هذه المعركة منتصرين.

لذلك فقد ظلت البروتوكولات على ماهى عليه. خير شاهد على إرهاب اليهود فى العصر الحديث، وهم كذلك لا ينفون علاقتهم بها. . بل بالعكس، فقد فرحوا للترويج لها. . لأن ذلك يخدم أكبر مخططات تلك البروتوكولات وبالتالى يساهم فى تنفيذ ما جاء بها من أصول وأحكام وشرائع ووصايا! تحض على الاستيلاء على العالم كله.



يقول شوقى عبد الناصر فى حديثه التفصيلى عن تاريخ عن هذه البروتوكولات:

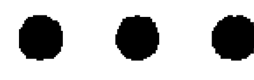
كان اجتماع بال بسويسرا فى عام ١٨٩٧ تنفيذاً لتعليمات واضحة عثر عليها ضمن نص خطبة ألقاها الحاخام ريتشورن فى اجتماع سرى عقده اليهود على قبر قد يسهم «سيمون بن يهوذا» سنة ١٨٦٩ فى مدينة براغ، وورد فيه ما يلى: «لقد وكل آباؤنا للنخبة من قادة يهودا أمر الاجتماع مرة على الأقل فى كل قرن، وحول قبر إستاذنا الأعظم الرابى المقدس «سيمون بن يهوذا» الذى يعطى تعاليمه للصفوة من كل جيل للسيطرة على العالم وسلطة نسل يهوذا»[١].

ورغم خطورة هذه البروتوكولات وأحكامها وشرائعها ونصوصها. . إلا أننا لم نجد لدراستها صدى كبيراً سواء فى العالم العربى أو الإسلامى أو غير الإسلامى. . ولعلها دعوة من جانبنا لكى تتبنى جامعاتنا دراسة تلك

(١) المصدر السابق.

البروتوكولات خاصة من جانب أساتذتنا المتخصصين. حتى تأخذ حقها من التوعية ولبيان ما فيها من إرهاب أسود ينتظر كل البشرية. أو على الأقل من جانب العلماء المسلمين من الذين يعتبرونهم العدو الأول والأخير!

وبشكل عام سوف نكتشف نحن أيضا مدى هذه الخطورة التى تتسم بها تعليمات هذه البروتوكولات حين نستعرض معا بعضا منها سواء بالتفصيل أو بالإجمال، وذلك من خلال ما هو آت من حديث.



لقد سبق لنا القول بأن عدد هذه البروتوكولات يصل إلى أربعة وعشرين بروتوكولا، ويشمل ما جاء فيها كل نواحى الحياة التى تدعو إلى الإرهاب والوهن والخنوع والضعف والكيد ونقض العهود والاغتيال والمؤامرة. ونظراً لضيق المساحة.. بما لا يستوعب إلقاء الأضواء عليها جميعاً. فسوف نكتفى بذكر بعضها مختصراً.. خاصة مما أشار إليه الدكتور رمضان حافظ الذى يفتتح حديثه عن تلك البروتوكولات بقوله: «إن اليهود من حيث الكم ضعفاء.. ولكنهم من حيث الكيف أقوياء.. ورغم قلة عددهم وضعفهم كماً، لم يحاولوا أن يضاعفوا هذا الكم من خلال التكاثر والتناسل أو التبشير بالدين بضم أتباع جدد إليهم، بل على النقيض من ذلك هم يتقوقعون على ذواتهم وقد يسمحون لبعض أتباعهم بالدخول فى ديانة أخرى شكلاً ليفسدها مضموناً بعد ذلك».

ومنذ نهاية القرن التاسع عشر اجتمع حكماء بنى صهيون ووضعوا أسساً لقيام مملكة بنى صهيون العالمية وهى تدل على النبوغ والفهم، وأعلى مستوى من الدهاء والخبث لاختراق الأمم والمبادئ وتطويعها لخدمة أهدافهم الدنيئة وهذا بيان بها.. حيث يقول الحكماء الصهاينة:

●● من البروتوكول الأول:

فلنكن صرحاء ونناقش دلالة كل تأمل ونصل إلى شروح وافية بالمقارنة والاستنباط. وهذه بعض الحقائق:

* ذوو الطبائع الفاسدة من الناس أكثر عدداً من ذوى الطبائع النبيلة لذا فخير النتائج ما ينتزع بالعنف والإرهاب لا بالمناقشات الأكاديمية.

* كل إنسان يسعىٰ إلى القوة ويريد أن يصبح ديكتاتوراً إن استطاع يهدد مصالح غيره وصولاً إلى مصلحته الشخصية، لذا فقانون الطبيعة الحق يكمن فى القوة.

* إن السياسة لا تتفق مع الأخلاق فى شىء.. والحاكم المقيد بالأخلاق ليس بسياسى بارع وهو غير راسخ على عرشه ومهدد بالسقوط والزوال.

* إن حق اليهود يكمن فى القوة وهو يعنى: «أعطنى ما أريد لأبرهن لك على أننى أقوى منك».

•• من البروتوكول الثانى:

«يجب ألا تحدث تغييرات إقليمية عقب الحروب.. كما يجب أن تكون إدارة البلدان لأناس لهم ميول العبيد، جهلة بفنون الحكم ويكونون كقطع الشطرنج فى أيدى مستشارينا العلماء الحكماء المدربين على فن الحكم وخطط السياسة وقراءة التاريخ. وإن نجاح دارون وماركس ونيتشه قد تبناه من قبل، والأثر غير الأخلاقى لاتجاهات هذه العلوم فى الفكر الأممى غير اليهودى سيكون واضحاً لنا.

* الصحافة سلاحنا العظيم فى توجيه الناس من خلال إظهارها المطالب الحيوية للجمهور وإعلان شكوى الشاكين وتوليد الضجر بين الغوغاء.. وهكذا نظل نحن خلف الستار من خلال إعلان حرية الكلام فى الصحافة، وبفضل الصحافة أيضا كدسنا الذهب ولو أن ذلك كلفنا أنهاراً من الدماء.

•• من البرتوكول الثالث:

على مدى خطوات قليلة سنحاصر كل أوروبا بأغلال لا تكسر نتيجة لفقد التوازن.. إن سوء استعمال السلطة يفتت كل الهيئات لا محالة حيث تعتبر

المجالس البرلمانية والإدارية مجالس جدلية عديمة القيمة، فيها حوار الثرثارين الوقحاء.

* إن المسيحيين من الناس فى خستهم الفاحشة ليساعدوننا على استقلالنا، حينما يخرون راكعين أمام القوة ويتحملون إساءات حكامهم الديكتاتوريين الكبيرة، بينما فى الماضى كانوا يقتلون من أجل أصغر إساءة لعشرين ملكا. إن السبب يرجع إلى قدرة عملائنا ووكلائنا على إقناع الشعب بأن سوء استعمال السلطة أو النكبات والكوارث الناجمة منها قد حدثت من أجل الشعب وتقدمه ورخائه وسلامة وحدته، لهذا نرى الشعب بدلاً من أن يحاكم المسئول المسىء يتهم البرىء ويبرئ المجرم مقتنعاً بأنه يستطيع دائما أن يفعل ما يشاء، وتفسد الحالة العقلية للرعاع وتخلق الفوضى ويحطم كل تماسك.

•• من البروتوكول الرابع:

* الصراع من أجل الذهب وليس المبادئ.

* إن تطبيق الحكومات لمبدأ الحرية النافعة الذى لا يسبب ضرراً للناس لا يمكن أن يوجد إلا إذا كان هذا التطبيق مؤسساً على خشية الله وإيمان قوى وعلى مبدأ الأخوة الإنسانية. لذلك يجب علينا أن ننزع فكرة الله ذاتها من عقول الناس ونضع مكانها الضرورات المادية والعمليات الحسابية من التجارة والصناعة.

•• من البروتوكول الخامس:

* فرق تسد

* لقد بذرنا الخلاف بين كل واحد وغيره فى جميع أغراض الأمميين الشخصية والقومية بنشر التعصبات الدينية والقبلية خلال عشرين قرناً.

* يجب أن نجرد الشعب من سلامة (الإرادة والعزيمة) بدلاً من دفعه إلى الحرب.. وأن نشيع اليأس والاستسلام، ويجب أن نضعف عقول الشعوب

بالانتقاد والجدل، كما يجب أن يعطل فهم الناس بعضهم لبعض عن طريق إغراق البلاد فى ظلام الرؤية والفكر بكثرة القوانين وتضاعف الأخطاء والعادات والعواطف وتضخيم المساوئ. وهكذا تتفكك القوى المجتمعة وتتضارب الآراء والامتيازات الشخصية.

●● من البروتوكول السادس:

فلنشجع الاستهلاك والترف. فلكى نخرب صناعة الأمميين علينا أن نشجع فعلاً حب الترف والاستهلاك. . وعلينا كذلك أن نبذر بذور الفوضى بين العمال ونشجعهم على تعاطى المسكرات وإدمانها ونقوم بالدعاية لنظريتنا الاقتصادية التى تهتم بالعمال ومشاكلهم!!

●● من البروتوكول السابع:

ضرورة أن تحكم السلطة. . الشعب بقوة الجيش والشرطة. لذلك علينا الاهتمام بشيئين هامين لتحقيق إنجازين كبيرين، هما ضخامة الجيش والثانى هو زيادة القوة البوليسية، وذلك لخلق الفتن والمنازعات والعداوات المتبادلة فى الوقت الذى نريد.

●● من البروتوكول الثامن:

صناع اليهود هم نجوم المجتمع. . لذلك يجب أن نهتم بصنائع اليهود الذين يقودون بلدان الأمميين من رجال إدارة ودبلوماسيين ومحامين وأطباء وناشرين ومعلمين فى مدارسنا التقدمية الخاصة. كما يجب أن تسند وظائف رجال البنوك والاقتصاد فى البلدان الأممية إلى اليهود أو صنائعهم لأن كل شىء يقرره المال. وفى حالة اختيار بدائل غير يهودية يجب أن يكونوا من ذوى العاهات الخلقية وأصحاب السوابق والمحاكمات والاتهامات حتى إذا عصوا الأوامر وقعوا فى المحاكمات وأدخلوا السجون. لذا فإنهم سيدافعون عن مصالحنا حتى النفس الأخير.

•• من البروتوكول التاسع:

تحريف المعنى والمضمون يفسد قوة القانون. كما أننا أصحاب طموح لا يحد وشره لا يشبع ونقمة لا ترحم، وبغضاء لا تحس.. إننا مصدر إرهاب بعيد، وإننا نسخر فى خدمتنا إناساً من جميع المذاهب والأحزاب. وقد وضعناهم جميعا تحت السرج. وكل واحد منهم على طريقته الخاصة ينسف ما بقى من السلطة ويحاول أن يحطم كل القوانين القائمة. وقد خدعنا الجيل الناشئ من الأممين وجعلناه فاسداً متعفناً بما علمناه من مبادئ ونظريات مزيفة دون الحاجة إلى تعديل فعلى للقانون. وذلك بتحريف المعنى والتفسير المقصود للقانون. ثم أقمنا مذهب عدم التمسك بحرفية القانون، والحكم بالضمير!!

•• من البروتوكول العاشر:

* ضرورة خداع الجماهير بنواب جهلة وسفلة!.

* ذات يوم ستصرخ الشعوب المتخلفة الأممية التى مزقتها الخلافات وتعذبت تحت إفلاس حكامها بتخطيط مناقائلة: إخلعوهم وأعطونا حاكماً عالمياً واحداً يمحق أسباب الخلاف، وهى الحدود والقوميات والأديان الدولية ونحوها.



وأقول الحق.. إننى اكتشفت أن القلم يرفض مواصلة بث تلك السموم فوق هذه الأوراق.. ولولا الضرورة المعرفية لما أقدمنا على تسجيل بعض نصوص من هذه البروتوكولات العشرة. وهى من أصل أربعة وعشرين بروتوكولاً باعتبارها أكثر إرهاباً وقسوة وعنفاً..

وبالبحث والتنقيب فوق أرض الواقع ومنذ أكثر من خمسين عاماً هى تقريباً عمر تلك البروتوكولات.. اكتشفنا أنهم قد نجحوا نجاحاً غير مسبوق فى تطبيق ربما أكثر من عشرين بروتوكولاً منها وبحرفية شديدة!

وهذا ينبئ فى القريب العاجل بأنهم فعلاً قادرون على الاستيلاء على العالم

كله، وبالتالى معاملة البشر والإنسانية كالحيوانات وفقا لما جاء فى كتبهم سواء فى التلمود أو فى هذه البروتوكولات!.

ومع ذلك فإننى شخصياً مع الذين لم يفقدوا الأمل أبداً فى قوة الله وجبروته تجاه هؤلاء. وقد تذكرت حديث رسول الله ﷺ الذى جاء فيما معناه.. أنه سوف تقوم حروب دينية متعددة. بين المسلمين وبين اليهود وستكون إحدى هذه المعارك كإحدى علامات الساعة.. عندما تشارك الحجارة فى تلك الحرب.. ترشد المسلمين إلى اليهود المختبئين خلفها وذلك عندما يستنطق الله تلك الحجارة فتنادى: «يا مسلم تعال. فاقتل هذا اليهودى الذى يختبئ منك خلفى»..

وهكذا سوف يتمكن المسلمون بفضل الله وجنوده ورعايته فى آخر الزمان من القضاء على هؤلاء القتلة الإرهابيين وتخليص الأرض منهم ومن شرورهم، استعداداً لليوم العظيم. يوم يقوم الناس لرب العالمين.

وربما يحدث ذلك مرة أو مرات من قبل يوم القيامة على أيدى المسلمين أيضا.. ذلك لأن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

وفى المقابل فقد منح الله تعالى هؤلاء البشر من بنى إسرائيل امتيازات عظيمة ولكنهم لم يشكروه عليها. ثم استخدموها للإضرار بإخوانهم من البشر، ولذلك فإن الله لهم بالمرصاد.. مصداقاً لقوله تعالى فى كتابه العزيز: **﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٦٧) وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾** سورة الأعراف.. الآيات ١٦٧-١٦٨.

المراجـع

- لسان العرب: لابن منظور طبعة بيروت.
- بنو إسرائيل فى القرآن والسنة: د. محمد سيد طنطاوى.
- مختار الصحاح للإمام أبى بكر الرازى.
- التعريفات: للجرجانى.
- الأصول المصرية فى اليهودية والمسيحية: أحمد عثمان.
- منهجية التغيير الاجتماعى فى القرآن الكريم : د. عبد الصبور مرزوق.
- الثقافة العربية والحضارة الإسلامية: د. محمد الجوهرى حمد الجوهرى.
- القرآن والسلطان، هموم إسلامية معاصرة: فهمى هويدى.
- عالمية الإسلام: د. شوقى ضيف.
- القرآن فى شهر القرآن: د. عبد الحليم محمود.
- معجزة القرآن - ج (٤) ج (٢) : للشيخ محمد متولى الشعراوى.
- الله فى العقيدة الإسلامية: أحمد بهجت.
- ملك الموت والأنبياء: عبد العزيز الشناوى.
- مع أنبياء الله الذين ورد ذكرهم فى القرآن الكريم: د. أحمد شلبى.
- مقدمة ابن خلدون.
- الإسلام والآخر: د. محمد عمارة.
- نظام المواطنة فى الإسلام ومنجزاته للحضارة العربية: إبراهيم العدوى.
- الدين والسياسة فى الولايات المتحدة الأمريكية: مايكل كوربت، وجوليا ميتشل كوربت.

- الإسلام دين العلم والمدنية: للشيخ محمد عبده تحقيق ودراسة د. عاطف العراقى.
- التوراة والإنجيل والقرآن بمقياس العلم الحديث: د. موريس بوكاى ترجمة على الجوهرى.
- الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام: د. على عبد الواحد وافى.
- هموم الأمة الإسلامية: د. محمد حمدى زقزوق.
- العهد الجديد (إنجيل لوقا - إنجيل متى وبقية الأناجيل)
- العهد القديم .
- قصة الاضطهاد الدينى فى المسيحية والإسلام: د. توفيق الطويل.
- الامبراطورية الأمريكية: رضا هلال. ج (٢).
- اليهود انثروبولوجيا: د. جمال حمدان.
- اليهود وتذكرة. . قبل أن نفقد الذاكرة:د. رمضان حافظ.
- الكتاب المقدس - كتاب الحياة ترجمة تفسيرية.
- التوراة والإنجيل مقارنة نصية: عادل المعلم جزء (١).
- قصص الأنبياء والتاريخ: د. رشدى البدراوى - ج (٣).
- مقارنة الأديان - اليهودية: د. أحمد شلبى.
- بروتوكولات حكماء صهيون، نصوصها، رموزها، أصولها التلمودية: عجاج نويهض.
- إسرائيل بنت بريطانيا البكر: محمد على الزعبى.
- تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم - ج (١) : محمد عزة دروزه.
- اليهودى العالمى - المشكلة الأولى التى تواجه العالم: هنرى فورد - ترجمة وتعريب خيرى حماد.
- بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود: شوقى عبد الناصر.
- تراث الإسلام: ج ٣ - تصنيف جوزيف شاخت كليفورد بوزدت وترجمة د. محمد زهير السمهورى وحسين مؤنس وإحسان صدقى.

- صور الإسلام فى التراث الغربى: هوبرت هيركومر وجيرثوت روتر ترجمة ثابت عيد.
- محاكم التفتيش: د. رمسيس عوض.
- الحرب عبر التاريخ: الفلدمارشال مونتجمرى وتعريب وتعليق فتحى عبد الله النمر.
- تاريخ أوروبا فى العصر الحديث: هـ. ا. ل فشر وتعريب أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع.
- المسيحية والحرب: د. رفيق حبيب.
- تاريخ حرب الصليب للعلامة مكسيموس مونروند.
- الإسلام وأمريكا حوار أم مواجهة: د. محمد مورو.
- الفرصة السانحة: ريتشارد نيكسون ترجمة أحمد صدقى مراد.
- الدراسات الاستعمارية فى الإحياء الإسلامى فى القرن ١٩: مروان بحيرى.

المحتويات

